الدفاع الوطني اللبناني

LEBANESE NATIONAL DEFENSE

موقع العرب في الخريطة الدوليّة

استراتيجيّة الصراع على القطب الشماليّ

تداعيات الهجرة غير الشّرعيّة على أوروبا وأبعادها

مجلة الدفاع الوطني اللبناني
LEBANESE NATIONAL DEFENCE
العدد الثامن والتسعون – تشرين الأول ٢٠١٦

حماية الحدود

نحن نقول عن وطن من الأوطان بأنّه جار لوطن آخر في الحالات الطبيعية، يقيم معه العلاقات التجاريّة والأمنيّة والصحيّة والثقافية. ويتأثّر بظروفه، لا بل يتبادلان التأثّر، ويتعاونان، ويتقاربان، ويتباعدان... كما أنّ الوطن الثاني هو بدوره جار لوطن ثالث ورابع، إلى ما هنالك من الأوطان الكثيرة والديار الواسعة على مدى الكرة الأرضيّة.

الجميع يتأثّر ويؤثّر، فلا وطن من الأوطان معلّق في الفضاء معزول عن غيره، مكتفٍ بموارده، محصور في علمه وخيره، مقفل نوافذه، مقيم السواتر في وجه الأمواج والرياح، لكنّ ذلك كلّه لا ينفي أن تكون هناك أوطان تتأثّر وتؤثّر أكثر من غيرها، ممّا قد يفيض عليها خيرًا، أو يحمّلها الأعباء والمسؤوليّات.

ولبنان، كما هو معروف، من الأوطان التي لم تنقطع عن التواصل مع الغير باستثناء العدو الإسرائيلي المغتصب للأراضي العربية. والعوامل التي تؤكّد هذه الصّفة واضحة لدى الجميع: موقعه الجغرافي، إطلالته في الغرب على أوروبا، وفي الشرق على الأشقّاء العرب وعلى دول الشرق الأوسط قاطبة، تضاف إلى ذلك إمكاناته المصرفيّة والإعلاميّة، هذا عدا عن مناخه وغناه الثقافي والتراثي. إنّه بذلك واسع التفاعل مع غيره، وتأتيه التأثيرات متلاحقة من قبل جواره المباشر، وممّا يليه ويليه إلى أبعد الحدود.

إنّ ما شهدته المنطقة العربيّة ولا تزال، من حروب وأزمات متوالية، تحوّل إلى كرة لهب كبيرة تضرب رأسها بحدود الوطن، في حين يستغلها العدو الإسرائيلي لتنفيذ مخططاته الإجراميّة وأطماعه التاريخيّة. وبذلك يكون الجيش مسهمًا فعالًا في ردّ انعكاسات الجوار الملتهب، المتمثّلة بتصاعد خطر الإرهاب، فيتلقى الجيش كرة النار هذه بيديه ويردّها إلى مصادرها المظلمة. من هنا، يحقّ للمؤسسة العسكريّة أن تنبري قائلةً بلسان قيادتها أنّها تتصدّى لإرهاب إقليمي وعالمي لا حدود له، وهذا ما تعترف به الدول العظمى وتتحدث عنه، وتكبر من خلاله بطولات وحداتنا العسكريّة الّتي يستحق جنودها التهنئة والتقدير، كما السلاح الذي يليق بتضحياتهم وكفاءتهم.

العميد علي قانصو
مدير التوجيه

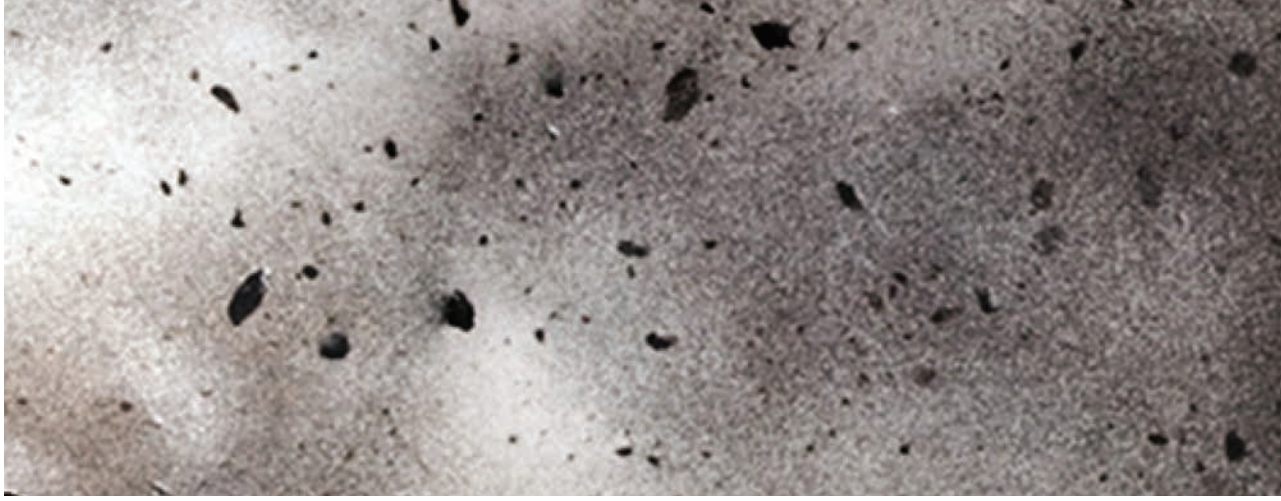

الهيئة الإستشارية

أ.د. عدنان الأمين	أ.د. ميشال نعمة	أ.د. نسيم الخوري
أ.د. طارق مجذوب	العميد (ر.م.) نزار عبد القادر	أ. د. عصام مبارك

رئيس التحرير :أ.د. عصام مبارك

مديرة التحرير : جيهان جبّور

شروط النشر

١- «الدفاع الوطني اللبناني» مجلة فصلية تعنى بالأبحاث والدراسات الفكرية والعسكرية، وسائر النشاطات الثقافية ذات الاختصاص.

٢- تشترط المجلة في الأعمال الواردة عليها ألا تكون قد نشرت سابقًا أو مقدمة للنشر في مطبوعات أخرى.

٣- تشترط المجلة في الأعمال المقدمة إليها، الأصالة والابتكار ومراعاة الأصول العلمية المعهودة، خصوصًا ما يتعلق منها بالإحالات والتوثيق وذكر المصادر والمراجع. كما نتمنى على الكاتب أن يُرفق عمله ببيان سيرة C.V. (التخصّص، الدرجة العلمية، المؤلفات، الخ.) وبملخص لمقاله المرسل بالإنكليزية أو بالفرنسية.

٤- المجلة محكّمة وتحيل الأعمال المقدمة إليها قبل نشرها على لجنة من ذوي الاختصاص تقرر مدى صلاحية هذه الأعمال للنشر.

٥- تُعلِم المجلة الكاتب خلال شهرين من تسلمها عمله ما إذا كان مقرَّرًا للنشر، محتفظة بخيار إدراجه في العدد الذي تراه مناسبًا. كما تحتفظ المجلة بحقها في أن تقترح على الكاتب إجراء أي تعديلات في النص تزكيها هيئة التحكيم.

٦- تتوقع المجلة في الكتابات المرسلة أن تكون مطبوعة أو مكتوبة بواسطة Microsoft Word وأن يكون حجم المقال ما بين ٦٠٠٠ و٦٥٠٠ كلمة.

٧- تعتبر «الدفاع الوطني اللبناني» جميع ما يُنشر فيها ناطقًا باسم أصحابه، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو قيادة الجيش.

٨- تحتفظ المجلة بجميع حقوق النشر والتوزيع، ولا يجوز الإقتباس من المواد المنشورة كليًا أو جزئيًا إلّا بإذن منها.

• الأبحاث المنشورة في أعداد «الدفاع الوطني اللبناني» متيسرة على موقع: *www.lebarmy.gov.lb www.lebanesearmy.gov.lb*

عنوان المجلة	:	قيادة الجيش اللبناني. مديرية التوجيه. اليرزة. لبنان. هاتف : ١٧٠١
العنوان الالكتروني	:	*tawjih@lebarmy.gov.lb & tawjih@lebanesearmy.gov.lb*
السعر	:	٥٠٠٠ ليرة لبنانية.
الاشتراك السنوي	:	في لبنان : ١٠٠,٠٠٠ ليرة لبنانية. *
		في الخارج : ١٥٠ دولارًا أميركيًا. *
الاعلانات والاشتراكات	:	مجلة «الدفاع الوطني اللبناني».
التوزيع	:	شركة ناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.م.

* بدل الإشتراك السنوي يتضمّن الرسوم البريدية

المحتويـات

العدد الثامن والتسعون – تشرين الأول ٢٠١٦

موقع العرب في الخريطة الدوليّة

أ.د نسيم الخوري ٥

استراتيجيّة الصراع على القطب الشماليّ

العقيد الركن ناجي بوزيّان ٤٥

تداعيات الهجرة غير الشّرعيّة على أوروبا وأبعادها

المقدّم الركن الطيّار رولان مرعب ٧٩

ملخصات ..... ١٠٧ – ١١١

موقع العرب في الخريطة الدوليّة

أ.د نسيم الخوري *

المقدمة

يقودنا واقع العرب الراهن الدموي المتشظّي إلى طرح فكرة إخراجهم أو خروجهم من مصطلح "الوطن العربي" التاريخي إلى مصطلح "العالم العربي" وهما مصطلحان لم يبلغا الإكتمال، مع التنبيه إلى مخاطر ما يعنيه التمييز الراهن بين الوطن والعالم من فروق هائلة في تحديد الهويتين المفترضتين في المستقبل. وللوصول إلى تحقيق كلتا التسميتين أو الهويتين، كانت تؤرقهم وتترصّدهم، على الدوام، أحداث وحروب كثيرة وأعباء وأزمات حضارية وتحدّيات كبرى مستنسخة عبر قرن تقريبًا امتدّ منذ إلغاء دولة الخلافة الإسلامية واستبدالها مع مصطفى كمال أتاتورك بالجمهورية التركيّة (٣ آذار/مارس ١٩٢٤) حتى إعلان "داعش" دولة الخلافة الإسلامية ومبايعة أبي بكر البغدادي خليفة المسلمين (٢٩ حزيران/يونيو ٢٠١٤).

* باحث وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه

لم يبلغ هذا الواقع المرير أو يستقرّ خلال هذا الزمن الطويل على معنى الأمّة أو الوطن أو حتّى العالم المتجانس كي لا نقول الموحّد، على الرغم من مقوّماته الحضارية وأبعاده وحضوره الفاعل والمتفاعل مع العالم. يمكن الافتراض أنّ العرب قد خسروا قرنًا من المراوحة أو الإنشداد الفكري بين الشرق والغرب أو بين العروبة والدين مع ما تحمله هذه الكلمة الأخيرة بدورها من رؤى متعدّدة واتّجاهات أو اجتهادات مذهبية كثيرة. وقد يتضاعف احتساب هذه الخسائر، خلال هذا القرن، إذا اعترفنا بأنّ الكشوف العلميّة الاتّصاليّة قد تمكّنت من شدّ الكرة الأرضية بهدف تخليصها من ظلالها، وبأننا بلغنا زمنًا باتت فيه الشركات العملاقة العابرة للقارّات تتجاوز قدرات الدول والحكومات، على أكثر من مستوى، الأمر الذي يجعل الواقع العام محفوفًا بالضبابيّة والفوضى والعجز عن إيجاد ملامح جديدة لصورة العالم المقبل.

كيف؟

يحصل هذا الأمر وهو مستمر بوتائر سريعة، في زمنٍ وصل فيه البشر إلى ابتكارات حضارية جريئة تبدو فيها الأرض مسطّحة أو تميل إلى التسطيح بعدما كانت كرويّة، وهذا يعني، بالطبع، الدلالة على تأثير تقنيات حضارة التواصل والتبادل الواسعين والقويين في جعلنا نتصوّر العالم بشعوبه وحضاراته ممدودًا كما البساط، خصوصًا وأنّه عالم يعجّ بالصور والمعلومات والثقافات والتجارة والاقتصاد والأسواق الحرّة الواسعة التي ما عادت تشبع اتّساعًا. وقد يبلغ هذا الطموح حدود سقوط الحواجز بين الشعوب ومن الأذهان والقواميس، بالمعنى الحضاري، حتّى ولو أنّ تجربة خروج بريطانيا المفاجئة للعالم من منظومة الوحدة الأوروبيّة قد حصلت مؤخّرًا لدوافع اقتصاديّة وسياسيّة أو إرهابيّة أو نزوح نحو التشدّد في الخطاب أو الموقف السياسي من الشعوب الأخرى وغيرها من الأسباب التي

لا مجال لها في هذه الورقة. وعلى أيّة حال، هذا المناخ يكاد يكون المحرّك السياسي للحملات الانتخابيّة الرئاسيّة التي تتبعها الأحزاب أو الدول سواء في أوروبا أو أميركا بشكلٍ عام.

ونجد أنفسنا، بالمعنيين الوطني والقومي، مشدودين حكمًا إلى البحث مجدّدًا في جدوى فكر التأرجح أو الحيرة أو التوفيق أو ردود الفعل السريعة بين الشرق والغرب أو بين الوجهة الدينية وضروراتها وديمومتها، ووجهة التحديث والحداثة التي أفرزتها أساسًا الثورة الصناعية الغربيّة وصولًا إلى "صدمة" كشف الأغطية عن المجتمعات الراكدة لدعوتها بجاذبيّة التواصل الرائعة إلى الانفتاح على العالم عبر تشريع النوافذ Windows في معظم الإتّجاهات والثقافات.

وهنا تلتبس الأمور كثيرًا عند التحديق في مدى الكوارث ومشاهد العنف الهائلة في البقع أو الدول العربيّة المغرية تاريخيًا للدول العظمى في الشرق الأوسط من ناحية، مقابل فتور الجاذبيّة العالميّة الناشئة والمحيّرة حيال هذا القسم من العالم. صحيح أنّ العالم كلّه تقريبًا يشارك بشكلٍ أو بآخر، في تحالفات متعدّدة لوقف العنف، ولكنّ زمن العنف يبدو بطيئًا متثاقلًا، وتظهر تلك الدول وكأنّها متروكة للمزيد من الدماء ونبش الأحقاد الدفينة، أو أنّها أصيبت عبر تطوّرها بما يشابه أسطورة "سيزيف" اليونانية هذا البطل الذي يدفع بالصخرة جاهدًا نحو القمّة لكنها تنزلق من بين يديه قبل بلوغها، فيتدحرج وراءها نحو القعر ليعاود رحلات الدفع والهبوط المتكرّرة فلا يكفلها سوى التمسّك الضروري والطبيعي بالقديم والاحتماء بعصوره ومنجزاته الدينية والعلمية وشهرها شواهد لا جدوى منها في وجه العالم.

وهنا يمكن طرح سؤالين كبيرين:

الأوّل: أين يقع العرب اليوم فوق الخريطة الدوليّة الممدودة أمام إنتباه الدنيا؟

والثاني: كيف لنا أن نفهم أو نفسّر شراسة الإمعان في الحروب المشبعة بالعنف والإجرام وتكديس السلاح في ما يتجاوز أو يقفز فوق معظم القيم الإنسانيّة والقوانين والمنظّمات والأعراف الدولية، التي حاولت بعد الحربين العالميتين تهذيب الحروب وتشذيب مدى عنفها أو لجم شراستها بين قوّة الحق وحقّ القوّة؟

تتحوّل إشكاليات السؤالين والأسئلة الكثيرة المتفرّعة عنهما في سياق هذا البحث، إلى التفكير بالمظاهرالعمرانية والثقافية الكثيرة والجميلة في تشابهها الملحوظ بين العرب والعالم عبر الإقبال الهائل على شراء المعدّات المعاصرة وتشييد المدن وتجديدها لتزهو عند حدود الأشكال والحضارات بمعناها الخارجي من دون النفاذ الواضح نحو ما تختزنه تلك التجارب والأفكار المتعدّدة التي تحمل الكثير من قوّة المضمون والتحدّيات الثقافية المحكومة بالتحوّلات الدائمة المقيمة في الأفكار والقناعات والابتكارات.

تتحوّل الحضارة العمرانية أحيانًا إلى نوعٍ من تشابه في بناء ناطحات السحاب وتحديث الحياة الاجتماعية، لكنّها قد تبقى مهدّدة باستبدادية غير واضحة المعالم في ضرورات الاستيراد والاستهلاك وصرف الميزانيّات والطاقات التي يمكن الركون إليها بوصفها طاقات كفيلة بتأمين الاستقرار لكنها تدفع قطعًا إلى البحث عن طاقات بديلة عندما يحاول العالم الغربي التملّص من تأمينها. بالمقابل، كان العقل العربي يعمل جاهدًا محاولًا فهم هذه المستوردات حتّى العسكرية منها وتفكيكها وتطويرها، وبغفلةٍ عمّن صنّعها وعرضها وصدّرها. قد يفكّر المرء أنّها محاولات كانت تدرج، عبر العقود الطويلة، في خانة الصراع العربي "الإسرائيلي" التي تدهورت اليوم إلى حدود وصلت فيه إلى ما دون الصراع الفلسطيني "الإسرائيلي" الذي يتهدّده بدوره نوع من التراجع المستمرّ في تلطيف العدائية والجنوح نحو التسويات غير المتكافئة كي لا نقول السلام المعقّد المعالم والنتائج.

وكان من المقدّر أن يوصلنا البحث، تلبية لحاجات الطموح العلمي والتقني والتحدّيات السياسيّة والعسكرية إلى مراحل متقدّمة، لكنّ النتائج، جاءت للمفارقة العظمى، بعيدة من الإسهام في سقوط بعض هذه الأنظمة، بل إلى تحطيم جغرافياتها وبعثرة مجتمعاتها وتحويلها إلى أرضٍ خراب، ودفعها عقودًا إلى الوراء عبر "ربيع العرب" الذي أغرى طموحات الشرائح من أجيال التواصل في التغيير، مع أنّ الأحداث القاسية كانت قد تأسّست فوق سقوط العراق (٢٠٠٣)، وخصوصًا بعد قتل الكثير من العلماء أو تشريدهم نحو المجتمعات الغربيّة المتعدّدة، أو تهميشهم لأسباب ومغريات وأهداف واسعة.

بهذا المعنى تفاقم طغيان مشاهد التخريب والإرهاب والقتل متلازمًا مع الأفكار والخطب والاجتهادات الغريبة المثقلة بالأحقاد في أرض العرب كظاهرة باتت مطلوبة ومزمنة ومألوفة، تختلط فوقها الهويات الإثنية والدينية والمذهبية عربيّةً كانت أو إسلامية غربيّة أو شرقية. وبانت الصورة العامّة للسياسة العالمية أو للنظام العالمي الجديد في موقعٍ من التحالفات المعلنة أو الخفيّة التي لا تحسم ما يحصل فوق أرض العرب، بانتظار أن تفرج الدماء العربيّة المهدورة عن فكرة جديدة سواء كانت مجتمعًا أو وطنًا أو أمّة أو عالمًا بصيغة المفرد أو بصيغة الجمع.

تلك حروب لا هوية لها. ليست هي بالحروب الكبرى أو التقليدية المعلنة ولا هي بالحروب الباردة المعروفة الأسباب والأحداث والنتائج، هي ليست حروبًا أهلية أو طائفية محضة أو حروبًا عالمية صغيرة بنسخٍ متعددة فوق أرضنا وقد أسماها غسّان تويني لبنانيًا "حروب الآخرين على أرض لبنان". إنّها شيء من هذا كلّه مزدانًا بالفوضى الشاملة، وترهّل الحكمة، إلى حدود القول أنّ العالم، بغربه وشرقه بمعناه السياسي وبأنساق العيش فيه وأطماعه، صار مشغولًا بالإرهاب والتكفير والأصوليات الدينية والتطرف

ويقيم في تطلّعاتها وتحدّياتها فلا يستقرّ، خصوصًا بعدما قرعت أبوابه من مختلف الجهّات.

وما يزيد أو يفاقم غموض هذه الحروب وعبثيتها، السقوط الجميل للحدود المرسومة بين دول العالم وشعوبه المشغولة بتواصلها وألعابها، بعدما دفع العالم الكثير من الدماء والكوارث والضحايا، قبل أن يتمكّن من ترسيم هذه الحدود ورفعها بعد الحربين الكبيرتين ليعود العقل، لا إلى ابتكار أفكار حضارية تليق بالقرن، بل إلى التلويح بدفن تقسيمات سايكس/ بيكو، مثلًا، والتبشير بحللٍ وأفكار وخرائط جديدة ومتعدّدة قد تكون أشرس في وقف التطوّر. تتغيّر الأسماء لكن التاريخ العربي يبدو وكأنّه محكوم ليعود بأوضاعه ومستقبله عربيًا وإسلاميًا حيثما كان.

وهنا ملاحظة لغوية طريفة ذات مدلول حضاري قفزت أمامي حول هذا الفعل الماضي الناقص أعني "كان".

تنتسب كان مثل أخواتها أمسى، أصبح، أضحى، صار، ما زال، ما برح، ما انفك...الخ إلى ما يعرف بالعربيّة بالأفعال الماضية الناقصة. وبالمقاربة الأفقيّة البسيطة، يمكن السؤال عن معنى الفعل الماضي الناقص الذي نجده ربّما ينتظر الحاضر أو المستقبل كي يكتمل أو يلحق به، لكن أن يجتمع هذا الماضي بنقصه وتعثّره أو بطئه ليجذب الحاضر والمستقبل إلى خانته فمسألة تحتاج إلى ما يتجاوز الرياضيات الحديثة بحثًا عن إيجاد البراهين المنطقيّة. قد يفترض الباحث أنّ الزمان عرف إكتماله، بهذا المعنى، مع بدايات الأديان التوحيدية، وبشكلٍ خاص مع الإسلام الذي أخرج العرب من حياتهم القبلية التي اكتسبت وهجها وحضارتها سمات خاصّة، بما فيها تساوق الماضي والحاضر والمستقبل الذي يستظلّ زمن الوحي. لكن مع تحوّل العالم في ما يسمّى عصر العولمة إلى مساحة شاسعة، وبمتناول الجميع، لعرض الأفكار والمبتكرات والتحدّيات، تضاعف التحدّي الحضاري

بين حدّي الحوار والصراع بهدف إيقاظ الصراعات المتنوّعة والتي لا حدود لمخاطرها. لم يجد العرب سوى العوربة كردّة فعلٍ غير قادرة على صدمة العولمة.

١- العولمة والعوربة

يمكن الإقرار، بأنّ العالم قد تمّت إعادة رسمه، في عصر الفضاء، بظاهرتين متناقضتين غير مسبوقتين من التحدّيات القويّة والخيارات الكبرى التي تهزّ الدول والسلطات التقليديّة من جذورها، وخصوصًا تلك الأنظمة الشمولية منها حتّى ولو زجّتها تلك الخيارات في ميادين الحروب الانتحارية. الظاهرة الأولى هي اللحاق السريع بالعصر والمضي فوق جادّات التواصل والمعرفة والتفاعل العام مع مفاهيم الحريّة والديمقراطية ومشتقّاتهما، أو رفض هذا الخيار الذي يعني الاحتماء الأقوى بالماضي في ظاهرة ثانية. ويبدو أنّ الالتحاق اللطيف غير المكلف بمن يصنع ثورات "الدوت كوم" والانخراط مع من يشارك فيها من الشعوب، بصرف النظر عن جغرافياتها وحضاراتها وإستراتيجياتها وثقافاتها ولغاتها، ظاهرة عمّت العالم وأورثت ازدواجيات ومفاهيم جديدة بين الأجيال قديمها وحديثها. لقد بدت العولمة وكأنّها قفزت بأجيال الشباب فوق الأدبيات المتجدّدة حول الغرب والشرق والماضي والمستقبل في المجتمع الواحد بصرف النظر عن نظمه أو تقاليده. حلّت العولمة ومشتقّاتها وأدواتها عنوانًا واسعًا ومقبولًا لمفاهيم المستقبل ومعانيه بدءًا من أواخر القرن المنصرم وتحديدًا في القرن الواحد والعشرين مع انحسار مخاطر الهجوم النووي بين الدولتين العظميين، أعني أميركا والاتحاد السوفياتي، اللتين كانتا مشغولتين بالحفاظ على عظمتيهما وأسرارهما عبر ما عرف بالـ Arpanet آنذاك.

وكان يفترض، إبّان الحرب الباردة بين الجبّارين، الخروج من مركزية

المخابرات الأميركيّة وما تحويه من أسرار ووثائق، درءًا للمخاطر والتهديدات النووية، فكان مشروع لامركزيّة المعلومات التي عرفت بالـ Arpanet الرباعيّة التي توسّعت مراكزها وتعدّدت ثمّ فتحت النوافذ الاتّصالية على مصراعيها بعد تنقية مضامينها أمام الجمهور العالمي منذ نهايات الـ١٩٦٢. يمكن القول أنّ عصر الإنترنت يحمل البصمات العسكرية التي اجتاحت مجتمعات العالم وأشاعت التلاقح والتفاعل، ودفعته بسرعة فائقة نحو الانبهار بعالم فضائي إعلامي جديد يصعب بل يستحيل إنكاره ومنحه عناوين وشعارات ومواقف سياسية غابرة، وما عاد ممكنًا الفرار من جاذبيته وأجهزته الاتّصالية للاحتماء أو التشاوف فقط بمنجزات الأزمنة الماضية.

يغيّر الإعلام الفضائي الواسع المشهد العالمي بالكامل بعدما حقّق الإنسان عناصر وجوده الأربعة الفلسفيّة.

كيف؟

من المعروف فلسفيًّا أنّ عناصر الوجود البشري ترتكز على أربعة أساسيّة هي التراب والماء والهواء والنار. ويمكن الافتراض بأنّ الإنسان عبر تاريخ طموحه العظيم قد حاول تحقيق عناصره تلك بإستطالات ربّما توؤلّف جوهر الأفكار والمنجزات الحضارية العلمية والثقافية.

لقد كشف الإنسان الأرض عندما تعرّف إلى جغرافيتها اليابسة حتّى طوّع البقع العذريّة منها وعرفها بحدودها وحواجزها ووعورتها، وسخّرها وطوّعها لمصالحه وحضاراته ساحبًا حتّى ما بجوفها لتطوره وبناء حضوره، ثمّ عبر بعدها البحار والمحيطات بعدما خضعت الأرض لقدرته، مسخّرًا ما في أعماقها أيضًا وحدّدها وطوّعها كما الأرض بالحروب والقوانين والحدود الإقليمية والمنظّمات الدولية. وكان لا بدّ له تحقيقًا لاستطالاته في

الكشف، من العبور نحو التحليق في الفضاء بمعنى الهواء تحقيقًا لعنصر وجوده الثالث ليزرعه بالأقمار والمواقع الطيّعة لحرب النجوم، وامتلاك السيطرة على مقدّرات الدنيا بطرائق وتقنيات وكشوف اتصال وبث معاصرة جعلت من المستحيل، حتى الآن، وضع قوانين نهائية تحدّد هذا الفضاء أو ترعى خصوصيات الشعوب الأرضية والمائية المعروفة أو تساير هوامش الثقافات والدول والأنظمة والهويات الضيّقة أو العالمية. وللمفارقة، لم يتمكّن الإنسان في تداخل رحلاته الطويلة الثلاث المتكاملة من التخلّص من عنصر النار (عنصر وجوده الرابع) الذي كان وسيبقى العنصر القاسي المقيم عبر استطالاته المحكومة بالحروب الدائمة وابتكارات الأسلحة عبر التاريخ.

أيقظت العولمة بوجهها الأخير الفضائي، إذًا، وهي توقظ الشعوب تباعًا، مناخًا من الجدل العربي العام طاول الكثير من الكتّاب وأساتذة الجامعات والسياسيين الذين هزّتهم تلك الظاهرة التي لم يكن ميسّرًا تلافيها، وخصوصًا عبر تدفّقات وسائلها الإعلامية الجاذبة والمغرية للأجيال بمختلف أعمارها. وهنا يمكن أن نسوّق ملاحظة جديرة بالبحث وهي أنّ تداخلًا بات ينضج ملحوظًا بين الأجيال إذ قرّبت المسافات والأزمنة التي كانت في بداياتها تنعت بكونها غربيّة بالمعنى السياسي والتاريخي، وقرّبت المسافات أيضًا بين الأجداد والأبناء والأحفاد بفضل قوّة العولمة وأجهزة التواصل الدائمة التطوّر أو عبر تداخل الشاشات ومضامينها وبرامجها بين الشرق والغرب.

ومن الملاحظ أنّ المناخ العام كان مشوبًا بحجج الرافضين لهذه المظاهر الجديدة المتمكّنة من الثقافة (بمعناها الفرنسي أي العادات والتقاليد والقناعات وسبل العيش والحياة وغيرها) لكونها تأتي من الغرب ومن أميركا تحديدًا، وهو الذي ظهر في ابتكار العرب لمصطلح جديد مناهض

ورافض للعولمة هو "العوربة" التي كان وقعها صادمًا وغريبًا ومغريًا ومشدودًا بين أنواع ثلاثة من الأفكار في الكثير من الدول العربيّة: القبول الكامل والرفض الكامل غير المبرّر، والتوفيق بين الرافضين والقابلين، والمعلوم أنّ الفكر التوفيقي هو من أسوأ أنواع الفكر.

عُقدت حوّل العوربة والعولمة مؤتمرات وكُتب عنهما الكثير. وكان معظم ما كتب بالعربيّة، يرجّح الآراء التي تدين العولمة، وتتطلّع إلى العوربة كمنقذٍ من براثن العولمة الزاحفة بمظاهر "استعمارية" جديدة. وقد يكون مفيدًا سوق بعض الأمثلة والعناوين[١] التي تفصح عن معنى العوربة في زمنٍ بدأت فيه فكرة العروبة والقوميّة العربيّة بالانزياح والتشتّت، ولربّما وصلت هذه الأفكار إلى حدود الضمور والانقراض، مع أنّ هناك فروقات ظاهرة جوهرية بين العروبة والعوربة التي راحت تتسلّح بالدين بأشكالٍ حادّة:

أ- "**العوربة والأسلمة في مواجهة الأمركة والعولمة**" هو عنوان المؤتمر الضخم الذي أقامه مجمع اللغة العربيّة في القاهرة (١٠ أيّار/مايو ٢٠٠٥) بمشاركة أكثر من مئة باحث ومفكّر في محاولة جادة للإحاطة الثقافية التأصيلية لمصطلح "العولمة" الذي دخل أدبياتنا كمصطلح إعلامي وسياسي وإستراتيجي واقتصادي، ولم يدخل أدبياتنا العربيّة والإسلاميّة كمصطلح ثقافي أو أدبي أو فني الأمر الذي اعتبر العولمة نوعًا من "أمركة" العالم وتحويل ثقافاتها إلى عنصر دائم للرؤية الأميركية التي تملي الأوامر والتعليمات فى رؤية مصلحية مأزومة، وصبغه وصهره بإعادة التعبئة الاتّباعيّة، وفق سلسلة قاسية وحازمة من الأوامر والنواهي، وعلى من يخالف أو يتباطأ أن يتحمل التبعات بالحرب والتدمير الشامل". وعلى الرغم من اللون السياسي الذي ظهر في الآراء، خلص المؤتمر بعد عشرين جلسة إلى عدة توصيات أهمّها "صياغة مشروع عربي لعتق الثقافة العربية

من هذا الاجتياح وتلك الأعباء في الهيمنة الأميركية التى تضع نيرها على عنق مجموعة من (المارقين) الذين يؤدّون ما يطلب منهم، ويعملون معاولهم تهديمًا في تراثنا ومبادئنا ولغتنا وحضارتنا وديننا".[٢]

ب- "العوربة والعولمة": سلسلة مؤتمرات عربيّة، دعت إلى ايجاد صيغة تجميعية للدول العربية لمواجهة التحديات المتعددة التي تواجهها في إطار العولمة، وحضّت التجارب في مجلس التعاون لدول الخليج العربية والاتحاد المغاربي والأردن "إلى ضرورة ظهور تكتلات عربية تجمع بين الدول العربية بهدف بلورة مشروع حضاري عربي يأخذ العرب من خلاله دورًا في إطار العولمة التي تؤدي إلى بروز نظام عالمي جديد... فهل يملك مشروع "العوربة" الذي نبشر به وندعو إليه قدرة على تجاوز التصادم الحضاري وإقناع الآخرين بأنّه مشروع حضاري وليس مجرد مخطط عدائي مصادم...مع أنّ موضوع العولمة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحياة اليومية للإنسان العربي؟...لا يمكن للفكر أو العقل العربي أن يظل بعيدًا عن هذه الظاهرة التي تركت تأثيراتها على العالم العربي الذي يمكن أن تكون له رؤيته الخاصة لهذه الظاهرة الخطيرة انطلاقًا من حق الشعوب في أن تكون لها مشاركتها في بناء الحضارة الإنسانية وذلك امتدادًا لمكاسبها الحضارية في الماضي".[٣]

ج- في ٢٨ نيسان /أبريل ٢٠٠٩ عقدت الجامعة الأردنية في عمّان، ندوة على مدى ثلاث جلسات ناقش فيها ١٢ أكاديميًا "دور العولمة وأثرها في العلوم الإنسانية والعروبة، وانقسمت الآراء المصرية بين مؤيّدٍ أو رافض بالمطلق، إلى آراء مسالمة تقع أيضًا في الخانة التوفيقية بينهما.[٤]

د- وتدليلًا على صدمة العولمة الواسعة، نقع على عناوين كثيرة للمؤتمرات والدراسات والمحاضرات التي تطرّقت بحماسة عربيّة ممانعة

لمعضلة العولمة تبرز تلك جليّة في نماذج مثل: "العوربة في مواجهة إلحاح العولمة"، "العوربة قبل العولمة"، "العوربة مقابل العولمة"، "العوربة والعولمة والخيار"، "إشكالية الهوية في الجزائر بين الأمزغة (من أمازيغ) والعوربة والعولمة"،"رؤى تربويّة وتعليميّة متجدّدة بين العوربة والعولمة"، "بؤس العولمة"، "العولمة والعوربة وفكر الإنتحار القومي".[٥]

جاء في نصّ بعنوان "العوربة تصرع العولمة بأدواتها": إنّ العوربة الإعلامية انتصرت مرحليًا على العولمة، من حيث أنّها وحدّت الشارع العربي على الأقل وجدانيًا وسياسيًا ضد السياسات الغربية الجديدة شبه الاستعمارية، ووسعت الاهتمام بقضايا العرب الرئيسة من المحيط إلى الخليج، وصهرت الهموم السياسية العربية في بوتقة واحدة... لكنّ نجاح العوربة كان سياسيًا فقط. أمّا ثقافيًا، وهو الأخطر والأهم، فقد راح الإعلام العربي يضطلع بدور عولمي واضح، بحيث أصبحت بعض وسائل الإعلام العربية، السلاح الأمضى في أيدي سادة العولمة لنشر فكر العولمة عربيًا وصهر العرب في البوتقة الغربية... وترافق التضاد السياسي بين الغرب والعرب مع تهافت ثقافي عربي كاسح على منتوجات العولمة الإعلامية الغربية... فقد أفرز عصر الفضاء إقبالًا هائلًا على الفضائيات التي بدت في معظمها غربيّة التوجّه في الشكل والإخراج كما في المضامين وطبيعة البرامج المستنسخة للهياكل الإعلاميّة الغربيّة من منوّعاتٍ وموسيقى ومسابقات وترفيه ورقص، وبدت المذيعات العربيات حاملات مواصفات غربيّة ومزايدات على الغرب في مواصفات الموضة والجمال وحسن المظهر... وفي هذا انتصار ساحق للتغريب جعلنا نقفز إلى الديمقراطية إعلاميًا... وكأنّه مطلوب منا أن نتحول إلى أمة (مقلّدة) كما ألمح إلى ذلك البروفسور والإعلامي الأميركي المعروف عبد الله شلايفر عندما قال:"إنّ التأثير الإعلامي الأميركي حوّل العرب إلى أمة (تتمثّل) بمايكل جاكسون".[٦]

أين وصلت أدبيّات العوربة وأنشطتها وأفكارها من العولمة؟

ذابت العوربة وانطفأت في محيطات العولمة التي أغرقت الأرض بفيضان التواصل وما عاد أصحابها يذكرونها، لكنّ الشاشات التي جمعتها اللغة العربيّة مثلًا، بتنوّعاتها وعاميّاتها وبرامجها (وهنا تركيز على دور وسائل الإعلام وسلطاتها)، انقسمت بين فضائيات متماهية مع مجتمعات الغرب بشاشاته وبرامجه مقابل فضائيّات تتسلّح بصيانة اللغة والمحافظة على القيم والمبادىء، لتصل إلى مرحلةٍ خطرة من الصراع، راح عبرها الكثير من الأنظمة العربيّة يتنافس عبر الشاشات الدينيّة المحضة في خلافات مذهبيّة قديمة تجعلها تبدو وكأنّها نسيت الغرب أو هي لا تتنافس معه وحسب، بل تتصادم مع الفضائيات العربيّة الأخرى المشدودة بشكلٍ حادّ بالمغالاة في انعكاس حاد لهوّة عربيّة عميقة بين الشاشات المحليّة والإقليمية.

٢- ظاهرة ربط العولمة بالحروب

استهلك مصطلح العولمة الكثير من تفكير البشر وحبرهم ولمّا يزل، لكنّ اللافت أنّه مصطلح مطّاط عالمي على الرغم من هويّته الأميركيّة. كان يصعب هضمه أو ضبط تداعياته التغيّرية بالمعنى النقدي العلمي لا من العرب والمسلمين وحدهم، ولكن من الكثير من الشعوب الأخرى أيضًا، لأنّه حوّل الكرة الأرضية بأنظمتها وسلطاتها وشعوبها إلى "عالمٍ مسطّح"[٧] اختلطت فيه المواقع والثقافات وهو ما سيستوقف الباحثين في تأريخهم للقرن الحادي والعشرين أمام ألفيّة جديدة قائمة على الكومبيوتر المختلف الأحجام والمتعدّد الوظائف، والذي يتجاوز باعتباره نقطة الانتباه والجذب والتحدّي والتطوّر الأكثر وقعًا ربّما من هجمات ١١ أيلول/سبتمبر أو حرب العراق أو غيرهما.

لقد أورث تزاوج التكنولوجيا مع الأحداث فتح الطريق أمام الهند والصين والكثير من بلدان العالم لأن تصبح أكثر انخراطًا في عالم التوريد الواسع للصناعات والخدمات. ولربّما تحوّل العالم المكشوف جاذبًا يفرض السرعة التي تفرضه الـMouse أي الفأرة التي تحتضنها قبضة اليد أو الحضارة التواصلية المقيمة بكلّ ما فيها تحت نقرة الإصبع (السبابة) بعد إنزلاق السهم فوق الشاشات، لا للحفاظ على المواقع، بل للقبض على العصر بحيث يصبح على البشر ونظمهم السياسية التكيّف معه بطريقةٍ مستقرّة لا فرار منها[٨]. لا مغاور أو كهوفًا في العالم أمامنا في الشاشات، ولا نتوءات أو حواجز أو تقاليد أو حدودًا تحجب العين أو العقل والطموح، بل الانصراف الطبيعي إلى إعادة تأسيس المجتمعات وعرض مشاهد حروبها وحتّى تدميرها أو محو تواريخها ونسف آثارها وتراثها بالحروب "الضروريّة" لمعامل السلاح ومخازنه، تحت لافتة فكرتين أساسيتين هما التغيير والتحوّل الدائمين، ولو بالقوّة النابعة من داخل، ومحاولة بسط المعرفة واللغة الإنكليزية سوقًا سهلًا ولا متناهيًا لتطلّعات البشر. وعندما تتأهّب الدول العظمى للتغيير في أرجاء العالم تسبقها لغاتها نحو الميادين.

وهنا يطرح السؤال: ما علاقة الحروب بالعولمة؟

هذا سؤال واقعي والمفارقة اللافتة بدرجةٍ أقوى، هي أنّ العولمة بحضورها النظري، ارتبطت ولادتها بكتابين نشرا بالإنكليزية، وترجما إلى العديد من اللغات الأخرى في العالم. الأوّل لمارشال ماكلوهان (١٩١١ ـ ١٩٨٠) أستاذ الإعلام الكندي ومطلق "القرية الكونية" تسمية عالميّة في كتابه: "الحرب والسلام في القرية الكونية"، والثاني لزبيغنيو بريزنسكي (مستشار الأمن القومي للرئيس الأميركي جيمي كارتر بين ١٩٧٧ و١٩٨١)، بعنوان "الدور الأميركي بين جيلين على ضوء الثورة التقنيّة"[٩].

يركّز المؤلف الأول على تجربة الحرب الأميركية في فيتنام والدور الهائل الذي أدّاه التلفزيون الذي أخرج الناس من خانة المشاهدين إلى ميدان المشاركين في الآراء والمواقف، ليختلطوا أو يندمجوا بشكلٍ كامل بالعسكريين حيث صارت الحروب العسكرية والإعلاميّة تمشي معًا ولو افترقت بخطواتٍ تمهيدية أو لاحقة. وذهبت الشاشات والوسائل الإلكترونية في زمن السلام تنحو لإنهاض المناطق غير الصناعية من العالم. هكذا، بدت بصورها الحيّة محفزات قويّة للتغيير الاجتماعي في العالم ولو هي خرجت من قلب الكوارث والدماء المهدورة. وظهر، في الوقت نفسه، في أميركا شعار "ثورة الاتصالات التي طوّرت الرغبة في الإنفاق والمسؤولية الاجتماعية الجماعية، والتقرّب من حاجات الشباب ورفضهم، وكشف الأغطية بقوّة عن عصر الأحكام الفردية والتبشير الزاهي بكلّ ما يؤلف مجتمعًا جديدًا"[١٠]. وصارت فكرة "القرية الكونية" فكرةً متنقّلة تحتل الأذهان والأساطير والجامعات والأبحاث الجامعيّة، مشكّلة منذ ظهورها الفكرة الجاهزة تمامًا لرسم ملامح بذرة السوق العالمية الواسعة التي تدحض الأفكار الجامدة الكليّة التي كانت تزيد من تأكيد فشلها الأزمات العالمية المتنامية وتداعياتها الواسعة النطاق.

فضّل برزنسكي، في المؤلَّف الثاني، استعمال تعبير أشمل هو "المدينة الكونية" على "القرية الكونية" في ردّة فعل حادّة على المفهوم المهتزّ للجماعة، وفي مناهضة لمسائل القرابة والعلاقات الحميمة التي تنتجها غالبًا الحياة في القرى والأرياف، وهذه أمور غير واقعيّة بالنسبة إلى المحيط الدولي. وقد يكون من العدالة استبدال تسمية "القرية الكونية" بالمدينة المتوحّشة احترامًا لما تحمله القرى من وداعة وهدوء وقيم وبساطة، حتّى ولو كانت المدن الكبرى مزدانة بالمساحات الخضراء تظلّلها الأبراج

الشاهقة والواسعة والمتداخلة لكنّ جوانبها المظلمة تحمل الكثير من سوء العدالة وتفاوت الرفاهية، والبؤس والانتحارات البطيئة.

لقد حوّلت مقولات الاختلاط بين التلفزيون والكمبيوتر والاتصالات التقنية العالم إلى جبال شاهقة من العلاقات البشرية المتوترة والعصبية والمتحركة التي تسهم في إزالة الفروق بين القرية والمدينة. يبدو الناس، وبفعل تكنولوجيا المعلومات، وعلى الرغم من دوافعهم الفطرية للارتباط بالآخرين، أكثر طواعيّةً لطاقاتهم الاتّصالية ولو أدّت إلى تجاوز عاداتهم أو تليينها عندما تحضر الأسباب القوية لذلك، ويصبحون أكثر قابليّةً لاختراق الموانع الصلبة حتّى الارتباطات الدموية والقرابة منها، بهدف الإنخراط بالعصر أو اللحاق به، يحدوهم الميل الحار على تعلّم لغات وعادات جديدة، في زمن باتت المعلومة الشائعة تسبق الفكر، وتستقطب الرأي العام، ولربّما "تولّد الحدث" بعدما كانت تلحق به [١١].

٣- مثلّث الحرب والسلم والإعلام

هناك ربط تاريخي محكم بين زوايتي الغريزة والعقل أو بين الحرب والسلم ليكتمل المثلّث ويصلب، بعدما شغل الإعلام الزاوية الثالثة. كانت الحروب ولمّا تزل تحمل هويّة واحدة هي القتل. وتسقط في أثنائها المشاعر والقناعات والمواقف التي تصاحبها من بعيدٍ أو قريب إقرارًا بعدم جدواها. إنّها التحقيق العملي للهواجس العنفية والغرائزية التي يألفها المقاتل متلذّذًا بتبادل النيران التي تخيّم على الجميع موتًا وبكاءً وتشويهًا وتدميرًا من ناحية، لكنّها تتّخذ لونًا آخر عندما تضع الحروب أوزارها عبر الاحتفالات بالنصر وتوزيع الأوسمة ورفع النصب التذكارية التي غالبًا ما تترجم المجد العسكري شواهد على التاريخ.

يمكنني كباحثٍ متخيّل الآن، وأنا أتصدّى لفهم أو هضم هذا العنف والإرهاب

القائم في الشرق الأوسط، أن أجازف في الافتراض (كي لا أجزم) بأنّه قد لا يمكن التخلّص من الحروب لأنّها ترتبط بتطوير الإنسانية وإنضاج حكمتها وحفر عبرها ودروسها، لكنّني أعتقد أن الحروب تسكن عقل الإنسان وهي تستغرق معظم النشاط البشري إلى حدود تسمح بالربط المتخيّل تاريخيًا بين عبسة قايين الأسطورية في وجه أخيه هابيل، وسقوط القنبلة الذريّة فوق هيروشيما (١٩٤٥). وها نحن نجد أنفسنا في بلاد الشام التي قتل فيها هابيل وفق الأسطورة أو مدونات اليعقوبي والمقدسي وابن جبير والبلاذري وابن بطوطة وفيها التدوينات أن قايين وهابيل أقاما في سوريا، الأوّل في "قينيّة" والثاني في "مقرى"، وأنّ العاصمة السوريا دمشق هي أقدم مدينة في التاريخ يرتبط اسمها ببداية الخليقة مع أنّها لم تشهد إجرامًا ووحشيةً كاللذين نشهدهما فيها اليوم من قتل وذبح وتهجير لسكانها، وتهديد لجيرانها وللمستقبل العربي بشكلٍ عام[١٢].

يحفل التاريخ، بالمقابل، من هذه الزاوية الأليمة، بكتب المذكّرات والمسامحة التي يبرّر فيها القادة والسياسيون (والإعلاميون اليوم)، الضحايا والآلام والإعاقات التي أورثوها بحروبهم والتي قد تقرأها الأجيال المتعاقبة بنهمٍ واحتقار وضياع أكيد بين السرد الموثوق والمحرّف أو الناقص والكاذب للوقائع والأحداث. وتذهب الأمور أحيانًا إلى حدود اعتذار الأبناء والأحفاد عمّا ارتكبه أجدادهم من المصائب والندوب القبيحة عبر خوضهم للحروب التي أفلت، وهي لا تدخل خانة النسيان، فتبقى جروحها ودماؤها طريّة في ندوب قدامى المحاربين، الجسدية والنفسية، أو مع عائلات الشهداء ولو حفرت أسماؤهم في الساحات وأمام أعمدة المتاحف وعلى اللوحات في المواقع العسكرية التي سقطوا فيها.

يمكننا التذكير هنا بمثال قريب، هو الزيارة التي قام بها الرئيس

الأميركي باراك أوباما إلى فيتنام (٢٣أيّار/مايو ٢٠١٦)، وهي الثالثة بعد زيارتي بيل كلينتون العام ٢٠٠٠ وجورج بوش الإبن في الـ ٢٠٠٦ في أثناء الغزو الأميركي للعراق، وكذلك زيارته في ٢٧ أيار/مايو ٢٠١٦ مدينة هيروشيما اليابانية التي شهدت أول هجوم نووي في التاريخ من الولايات المتحدة، ليصبح بذلك أول رئيس أميركي يقوم بهذه الخطوة التي تحمل دلالات تاريخية ورمزية مهمة على ما نحن فيه في ظلّ حالة من انعدام الثقة والتوجس والخوف السائد من أهوال الماضي. صحيح أنّ الزيارة جعلت من إرث الحرب جزءًا من الماضي لا يمكن إدراجه في خانة التطبيع كما حصل مع زيارته إلى كوبا أو إيران، لكنّ الذهاب نحو آسيا وتعزيز العلاقات التجارية معها جاءا شعارًا واضحًا لأوباما منذ بداية عهده في البيت الأبيض، وهو ما يفصح عن إستراتيجية نقل مركز ثقل السياسة الخارجية الأميركية نحو آسيا لأسباب اقتصادية وعسكرية، وفي طليعتها الحشود العسكرية لبكين في بحر الصين الجنوبي، تحت وطأة الأزمات المتلاحقة في الشرق الأوسط، وهو ما يضمر الكثير من النزاعات والحروب المستقبليّة.

قد يكون مارشال ماكلوهان مستشرفًا في ربطه فكرة "القرية الكونيّة" بشاشة التلفزيون، وربّما اعتبره البعض "نبي" الربط بين الحرب والإعلام، غير أنّ سقوط جدار برلين كان، المحطّة الأبلغ في زواج الحرب والإعلام، لأنّه كان النتوء العالمي الأخير الذي يجب إزالته لكونه الشاهد الضخم على الانقسام الحضاري ومآسي الحربين الكونيتين. كان هذا الجدار يسدّ القدرة على التفكير في العالم كمساحة واحدة أو سوق عالمية لأنّه طبع العقل العالمي بالوقوع الدائم في تبنّي الخيار بين الشرق والغرب أي بين الاتحاد السوفياتي وأميركا. وكان التلفزيون الغربي بصوره الزاهية وبرامجه المتنوّعة هو السجّادة التي أسهمت في سقوط الجدار أو أسّست لسقوطه بعدما

عبر من فوقها الأميركي، من دون دماء، ليلهب مشاعر الروس وشعوب المنظومة الاشتراكية وطموحاتهم، ويسمّر انتباههم ويقظتهم على فضائل الوفرة في الحريات وصورة الرغد والديمقراطية في الغرب.

بهذا المعنى يمكننا أن نرى الوجه المظلم لحدث القرن أو سقوط البرجين عندما نقرأ نصًّا قابلًا للمجادلة: "إنّ العالم أصبح مكانًا أفضل للعيش بعد ٩/١١، لأنّ كلّ تفجّر للحريّة كان يحفّز تفجّرًا آخر، ولتلك العملية بحدّ ذاتها تأثير تسطيحي عبر المجتمعات، يقوّي الموجودين في الأسفل ويضعف الموجودين في الأعلى ... وعندما يظهر معيار اقتصادي أو تكنولوجي إعلامي... يتمّ تبنيّه بسرعةٍ أكبر بكثير بعد زوال الجدار"[١٣].

قد يكون سقوط البرجين قد عبّد، بالفعل، الطرق الوعرة أمام توسيع الاتحاد الأوروبي الذي قفز إلى ٢٨ بلدًا بعدما انضمت إليه كرواتيا في الـ٢٠١٣، بعدما كان ١٥ بلدًا قبل سقوط الاتحاد السوفياتي الذي وجد عظمته مدفوعةً إلى الانهيار السريع وإعلان إفلاسه وتحوّلات مجتمعاته. وبالاختصار، كان لثورة المعلومات الدور البارز في تحقيق النصر الأميركي، بإجهاض الأممية الشيوعية كفكرة إذ لم يبق سوى كونيّة واحدة في الأفق هي أميركية تسيطر على الأسواق العالمية للاتصالات... بما خلق ثقافة جماهيرية لها سلطة يتأهّب العالم لتقليدها والتطلع الدائم نحوها"[١٤]. وفي المقابل، قد يكون من المبكر التكهّن بحجم المتغيّرات وتداعياتها التي ينتظرها الاتّحاد الأوروبي والتي بدأت، كما أشرنا، بالصدمة التي فاجأت أوروبا التي لم تتمكن من استيعاب تصويت الناخبين البريطانيين لصالح خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي بعد إستفتاء ٢٠١٦/٦/٢٣، بما شكّل صدمة هائلة للاقتصاد الدولي وتهديدًا كبيرًا لمستقبل تكتّل الاتّحاد المهدّد بالتفكّك بعد عمليّة اندماج ناجحة دامت لعقود.

وكان أول تحقيق للغة العولمة ملامح السوق الشاملة أو سوق العولمة والأفكار التي هجمت بها الشركات الرأسمالية الكبرى لتشريع فيضانها وفق حدود الدول، وأصبح في الإمكان تحقيق الأمبراطورية الكونية التي جاءت نتيجة تضافر جهود العلماء والتقنيين لتفرز الأسواق الهائلة لرؤوس الأموال، ومنتجات الخدمات اللانهائية التي جعلت من العالم مركزًا واحدًا للعرض Market Place، وقادت هذه النظرة في العولمة إلى ترسيخ حرية التعبير التجارية، وبدت معها الكرة الأرضية في خدمة الاعلان لغة العالم الجديدة أو السوق البشري الشاسع(١٥).

٤- ملامح التغيير العامّة

ظهر الصراع بين العالمية والخصوصية وبين سلطات الدول والحكّام وأمزجة الشعوب أو بين "ديانة" الآباء و"ديانات" الأبناء بالمعاني الثقافية والحضارية والقناعات ولمّا يزل. وظهرت الآراء المتعدّدة في العولمة التي تحمل مخاطر التفكيك وإعادة التركيب على مختلف المستويات والتي قد تبلغ حدود الفوضى التي يصعب الخروج منها بسهولة. إنّها الفوضى الشديدة التصويب على الغايات والأهداف من دائرة اللاعبين العالميين الجدد، الذين يرسون في بقعهم الوطنية خلف شاشاتهم، ويفكرون على مستوى العالم في تقديم المعلومات المكثّفة السهلة، وجعلها مناحي عصرية للمتغيرات المتلاحقة المنتظرة في العالم. صحيح أنّ الطابع الاقتصادي والعسكري يساعد في تفسير تلك المتغيّرات، لكنّ الصحيح أيضًا أنّ وجهتين غير منفصلتين تسهّلان تلك العمليّة الانتقالية في العالم:

الأولى شاهدة على الإنبهار الساحر والممعن بتقنيات التواصل والصور وإغراق الأسواق وانشغال الثقافات بها وشيوع مبدأ التنافس العالمي بين الشركات العابرة للقارّات والمتجاوزة لكلّ الحدود في ابتكار أجيال من

الوسائل الاتّصالية القصيرة الأعمار التي تتبدّل في كلّ عام. تأثّرت بها شعوب العالم، بمن فيهم العرب والمسلمون، بعدما باتت أجهزتها دليلًا على المعاصرة واللحاق بالعصر. وصارت العمليّة التواصليّة والثقافة والأبحاث خاضعة لصفتي المصادفة والمشاعيّة. المشاعية حيث لم يعد بإمكان العالم وضع قوانين تضبط فوضى الإختلاط والبث والتفاعليّة في ميادين التبادل المعرفي، والمصادفة التي وسّعت ميادين المعرفة من دون أن تزيل ضرورات الاختصاص العلمي الدقيق. فأيّ مقتنٍ أو حاملٍ لهاتفٍ أو أي شاشة تواصلية، هو صاحب قدرات فائقة لا للتعرّف على الدنيا والتواصل بين البشر ولا لتصوير الحاضر والماضي لقطةً لقطة وحسب، بل لخلق مشاعر اتّصالية قويّة لديه بأنّه مالك للعالم.

أمّا الوجهة الثانية فتبدو في وقوع العالم بشكلٍ لطيف وغير منفّر في قبضة العين العالمية التي ترصد كلّ ما يكتب أو ينشر في العالم، وهي العين المتأرجحة صورتها بين تذكية الإرهاب والإرهابيين وملاحقتهم، أو النيل منهم وإعمال الفكر في عمق التاريخ العربي والإسلامي لتذكية الأحقاد المذهبية والحزبية...هكذا يتناقش الناس بسذاجة أحيانًا حول وجود تلك العين التي ترصد العالم في سماء وادي السيليكون[١٦] في الولايات المتّحدة الأميركية، ويعتقدون بأنّ هذه الحريّة المشابهة للفوضى العارمة هي "أفخاخ" شديدة الانضباط وخاضعة لمنظومات شديدة التعقيد والتطوير وتجديد البرمجة المفصّلة. تفتح هذه المنظومات الأبواب لمفاهيم الحريّات والديمقراطيات وحقوق المرأة والطفل ومعظم أساليب التحديث وإمكاناته من ناحية، والمفصّلة في تقارير التنمية الأميركية، لكنها، من ناحية أخرى، قد تفتح العيون والسجون والقمع والترويج لأساطير تتناول شعوبًا وأنظمةً ما زالت متشبّثةً بجذور الماضي أمام قوّة التواصل والانصراف نحو المستقبل.

٥- موقع العرب في "القرية الكونية" الجديدة

افترقت صورة العرب والمسلمين عن غيرهم من الشعوب في الوجهتين خلال العقد الأخير، وخصوصًا، في كيفيّة تلقّيهم لصدمة تكنولوجيا المعلومات وطرائق استعمالها وممارستها. لقد أمعنت الفصائل الإسلاميّة الدموية الإرهابية والتكفيرية التي انتشرت منذ سنوات خمس تحديدًا، في تحميل فظاعاتها وصورها التدميرية القاسية من ذبحٍ وحرق وتفجير ملامح التواريخ الغنيّة الغابرة، وتدمير التماثيل القديمة والمعاصرة وبيع النساء وتجنيد الأطفال...الخ. وعمدت إلى بثّها باستعراضيّةٍ لافتة بحماسة ودقّة ومهارة تقنيّة عبر ساحات العالم وتحت أنظار البشر. وبلغت درجة التباهي بالعنف والإرهاب وتظهيره، وكأنّه إستراتيجية مطلوبة أو مصنوعة عالميًّا ومستوردة وهي بحاجة إلى عقود لحصرها والتخلّص منها. كان من نتيجة ممارساتها في التوحّش التشويه لإنسان الزمان والمكان العربي بكلّ ما يعنيه ويختزنه من ناحية، وتصليب الشراسة والمشاعية في القتل والتخريب وتوظيفه إلى درجة قض المضاجع الغربية والتهديد بالحروب "المقدّسة" المقبلة المستعادة من الشرق إلى الغرب، مع وعيهم النسبي بكونهم خاضعين، كيفما اتّجهوا للمراقبة الدائمة عبر التقنيات عينها من ناحية أخرى.

يطرح هذا الإفتراق السؤال الآتي:هل تغيّر موقع العرب في العالم؟

يمكن مقاربة هذا الطرح من الزوايا الآتية:

أ- **الزاوية الأولى**: قريبة وملتهبة بأحداثها ونتائجها وخرائبها منذ الـ٢٠٠٣ في العراق صعودًا نحو الـ٢٠١١ تاريخ بدايات "ثورات الربيع العربي". تضعنا هذه الزاوية في ظلّ تشابك وتعقيدات وإفرازات تتجدّد بين الشرق والغرب كما بين الإرهاب والعالم. ويظهر العرب فيها وكأنّهم محاصرون في اختيارات صعبة تشوّه الإسلام من ناحية وصمه ظلمًا بالإرهاب، وتؤلّب

المسلمين في البحث الغريب عن الدين بنسخه الكثيرة والمقترحة لأنّه مسائل لا تؤدّي سوى إلى الدروب والأجوبة الدموية المستحيلة.

البحث عن التغيير بالقوّة لا ينتبه إلى كوننا نعيش في ملامح حرب عالمية ثالثة غير معلنة قد تناسب هويتها الجديدة ملامح عصر العولمة الذي يجذبنا لأن نفتن فيه ونعيشه وكأنّنا نقبض على العصر كلّه، لكنّنا لا نهضمه ونعجز عن متابعة ابتكاراته ومقتنياته الاتّصالية ونوازعه. هكذا يستمرّ المسلمون والعرب بتوجّهاتهم وتطلّعاتهم التاريخية وبأصواتهم المتعدّدة والمتشابهة منقسمين يتوحّدون بين نقد الغرب ورفضه أو قبوله وتحدّيه، ويكابدون بسياساتهم المشتّتة وأنظمتهم المتحيّرة وحضارتهم الكوارث التي قد تتجاوز كثرتهم. هم للأسف، حيال أزماتٍ فكرية وحضارية كبرى تجعلهم مجددًا بين دولتين عظميين واحدة أميركية وأخرى روسيّة تحاول استعادة عظمتها المفقودة من أرضهم العائمة بالنفط والغاز، والتقاتل لإستعادة مجد النصوص والأفكار من ناحية، المشغولين بلعبة التقنيات والمستوردات العالمية والهائمين، في الوقت نفسه، بين مفاهيم الحداثة والتحديث والتراث والمعاصرة والغير والتغيير للإبقاء عليهم بلادًا من الكنوز الأرضية المهدّدة بالنفاذ والجمود المفروض بين استبدادية الانتاج واستبدادية الاستهلاك.

ما يستحقّ التأمّل هنا أنّ الحلول الافتراضية تبدو مسنودة بشكلٍ دائم إلى فكرة القدريّة النهائيّة بالمعنى المألوف التي لا تحتاج إلى براهين، والتي لم يستطع التفكير السائد العام التخلّص منها، مع أنّها فكرة نلحظها تتمدّد في الأذهان وترتاح في القناعات أمام قساوة القتل والإبادات والتدمير. ولا ننسى أنّها فكرة قد تختصرها حكمة إغريقية قديمة جديرة بالتأمّل ترى "أنّ الآلهة لا تعاقب البشر حين تغضب عليهم، وإنّما تسلّط عليهم أنفسهم"[١٧].

ب – **الزاوية الثانية**: وترتكز إلى تحقيق للفرضيّة التي ترمي بأثقال

الحضارة المشرقية وأعبائها فيتم خلط السياسة بالدين والإسلام بالمسلمين بما يجعلهم في قلب العالم وخارجه في الوقت نفسه، تغذّي حالتهم تلك السهولة في يقظة مذاهبهم ومدارسهم واجتهاداتهم ونزاعاتهم. ويمكن أن نحشو هذه الزاوية بالمعادلة الآتية:

يتعاظم الخوف من الإرهاب فيوحّد البشر اليوم وفيهم المسلمون أكثر من أيّ زمنٍ مضى. ربّما هي المرّة الأولى التي يفقد فيها الفكر قدرته تحت وطأة المشاعر والانطباع الحماسي العام الذي لا يتجاوز الفكر أو التفكير لكنّه يلغيه أو يفرغه من كلّ قيمة إنسانية. هذه المعادلة تبرز أهميّتها بل خطورتها عن طريق تقويم الفكر الفلسفي، مثلًا منذ الهند والإغريق وصولًا إلى حضارة العرب والإسلام ولّد هذا الفكر تثاقفًا مثمرًا وغنيًا Acculturation بين الشعوب والحضارات وتأثيرًا متبادلًا، وكان العرب مبدعين في المجالات كلّها تفكيرًا وإنتاجًا أو عن طريق النقل والترجمة، لكنّ الفلسفة عجزت عن إيجاد الأجوبة النهائية للأسئلة الكبرى، وفشلت فشلًا ذريعًا في توحيد البشر وراحت تتواضع نحو مسائل عصرية مثل البيئة والصحة والرياضة أي أنّها خرجت من مقولة كانت: "أنا أفكّر إذًا أنا موجود" لتنزل إلى مقولة الفيلسوف الفرنسي الوجودي جان بول سارتر: "أنا موجود إذًا أنا أفكر" والتي حملت رفضًا عارمًا للحرب العالميّة الثانية. وفشلت الأديان حتّى التوحيدية منها والفكر الديني، وسقط الفكر الإلحادي بدوره في توحيد البشر، ومثلهما اهتزّت صدقيّة العلم الذي شارف المستحيل في توحيد البشر عبر وجهه القبيح النهم في صناعة الأسلحة وتغذية الحروب وتسخير المعارف والتكنولوجيا لأغراض الهجوم والعنف والبراعة في القتل.

قد تبرز إحدى المعضلات التي نعانيها اليوم، بعد انكشاف المجتمعات وسقوط الأغطية والأساطير مع زوال الحدود والحواجز الثقافية واللغوية بين الشعوب، في عصرٍ من متعة التواصل الإنسانيّة بين أهل الكوكب حيث

نرى التكنولوجيا تنجح إلى حدّ كبير في تقريب البشر افتراضيًا وثقافيًا كما في جعل الغرائز العنفية تتقدّم في مسيرتها العقول والعبر.

ج- الزاوية الثالثة: كيف نفسّر هذا التوغّل في العنف؟

تندرج معظم الأفكار المتطلّعة إلى توحيد البشر في خانة المستحيلات، لكنّ الظاهرة اللافتة التي يمكن السؤال عنها هي: هل صارت صناعة الأسلحة الفتّاكة وامتلاكها يتقدّمان بوتيرة جهنّمية تعوّض عن أحجام العنف الذي أورثه ويورثه حظر استعمال السلاح النووي في النفوس؟

للجواب على هذا السؤال نستعيد ما قاله روبرت أوبنهايمر المعروف بـ"والد القنبلة النووية" بعد الانتهاء من صنعها: Now I am become Death, the destroyer of worlds، أي "الآن أصبحت أنا الموت مدمّر العالم"، وهذا قول صحيح بعدما جرّبت البشرية أن تدفع خلال وقتٍ قصير ما دفعته في الحرب العالمية من ضحايا وخراب[١٨]. وهنا يجب التمييز بين الرغبة في إشباع الغرائز بالتدمير، والقرار المشبع بالتدمير الذي أبعد المسافة بين الرغبة والقرار، فصارت شاسعة، بما قد يفسّر مضاعفات العنف في الحروب التقليدية.

كيف؟

تتكرّر ظاهرة الحروب بوتيرة أقوى من السابق إذًا، ويطول أمدها وتتجاوز حسابات الأكلاف والخسائر فيها على حسابات النصر التقليدية. فالتكنولوجيا والبرامج التطويرية الدائمة لعالم الأسلحة سهّلت وتسهّل الحروب، بعدما كبحت جماحها القنبلة النووية التي فرضت معادلة التوازن بين القوى من دون اللجوء إلى استعمالها. وهذا يعني أنّ الرغبة في التدمير النووي لم تختف نهائيًا، بل قيّدتها الإرادة الدولية بعد هيروشيما من أجل وضع حدّ نهائي لأيّ قرارات قيامية سوريالية أو جنونية تخطر في بال سلطان أو حاكم "عظيم" مسّه جنون العدميّة. ولربّما يكون هذا التقييد

الصارم، السبب النفسي الدولي اللاواعي، الذي يضاعف من قوة الجيوش والتفنّن في صناعة الأسلحة التدميرية واستعمالها بلذّةٍ تورث الخرائب وتدفع بالعنف إلى القمم الدموية.

ماذا يحصل اليوم؟

العالم كلّه يخاف الإرهاب، بل يتجاوز خوفه إلى الخوف الجدّي من أن يكون السلاح النووي أو فتاته قد بات بحوزة بعض الدول أو الفصائل الإسلامية الإرهابية التي لا تقرّ بالقوانين والأنظمة الدولية الكافرة، بما يضاعف هذا الخوف أو يتجاوزه، إذ يقرع الإرهابيون عواصم العالم بتفجيراتهم المتلاحقة.

٦- الإنهيارات بين دولة الآباء ودول الأبناء

عندما سقط الاتّحاد السوفياتي كان من الفطنة التفكير بمستقبل العرب المتحالفين معه وتوقّع سقوطهم المماثل، لكن هذه المعادلة قد تفقد الكثير من المنطق السياسي لدى تطبيقها على الدول العربيّة المتحالفة مع أميركا التي لم تسقط عمومًا بل هي تلعب بحلفائها تقدّمًا وإنكفاءً. لهذا لا أرى من المنطق، ولا أعرف كيف نصنّف تلك الاجتهادات والتناقضات السياسية والإعلامية التي رافقت وأعقبت زيارة الرئيس باراك أوباما الأخيرة إلى المملكة العربيّة السعودية وإجتماعه إلى زعماء دول الخليج.

قبل الغوص في هذه الانقسامات في الرأي بسلبياتها وإيجابياتها، يفترض القول أنّ تاريخ العلاقات بين الدول الكبرى في العلوم السياسية لا يقرّ بالقطيعة النهائية حتّى ولو كان عبر الخرق والخرق المضاد، كونه تجارب محكومة بالمصالح والأفخاخ والأبواب المشقوقة لتبادل المغانم والأسرار وتحقيق التوازنات. وعندما تختلف الدول في ما بينها حول مسألة معينة أو تتناصح أو تتعارض، علينا ألاّ ننسى قطعًا حجم التراكمات الإيجابية التي

تتجاوز أحيانًا المصالح العامّة بين هذه الدول بل تتجاوز أمزجة رؤساء هذه الدول. لذا ليس من العلم ولا من اللطافة قبول خلط بعض المفكرين العرب في تحليلاتهم فهمًا لعدم التقاطع بين النظرة الأميركية والنظرة العربيّة إلى "الثورات" العربية وتداعياتها الحادّة والقاسية العاصفة ببلدانٍ عربية محدّدة، بينما هي أقلّ عصفًا وإجرامًا في دول عربية أخرى. وهنا لا بدّ من سؤال شديد الأهميّة:

لماذا يختلط الدمار وتتفاقم المعضلات وتنهار إستراتيجيات التفاوض أو أفكار الحلول في العراق وسوريا وليبيا واليمن تحديدًا لتصل كما هو ظاهر أحيانًا إلى حدود المستحيلات وخلق الرعب في الدول الأخرى المستقرّة نسبيًا؟

وذلك لأنّ سقوط الاتحاد السوفياتي كان يعني انتظار سقوط حلفائه. هذا السؤال لم يحظ بالكثير من الاهتمام بهويات هذه الدول السياسية ومنها العراق وسوريا وليبيا واليمن وتونس ومصر وموريتانيا وغيرها من دول الإقليم التي يداهمها القلق على المستقبل. كانت عبر تواريخها المعاصرة روسيّة السياسة والإيديولوجيا إلى حدّ كبير في التوجّه نحو الشرق وتحديدًا نحو الإتّحاد السوفياتي. لم تكن سياسات تلك الدول تولّد سوى الغضب في وجدان الغرب خصوصًا وأنّ تحالفاتها المناوئة للغرب كانت قويّة بسبب نكبة فلسطين وسياسات الغرب المزدوجة التي لطالما كانت تصبّ في مصلحة "إسرائيل". كانت تلك السياسات تبدأ بالسلاح وسياسات الاستعداء والاستقواء لأميركا والغرب عمومًا، وتأخذ أوجهًا اشتراكيّة متعدّدة في الثقافة والتربية والتعليم والاقتصاد بما يجعلها سياسات غامضة وفي الوقت نفسه تبدو حافلة بالألغاز وعدم الوضوح بين الشرق والغرب. بالمقابل كانت الدول العربيّة الأخرى، على تفاوت في المستويات والقوّة والثروات في ما بينها، على إرتباط وثيق وواضح بالولايات المتّحدة

الأميركية والغرب عمومًا. وقد ساد هذا المناخ طيلة الحرب الباردة التي قسّمت العالم إلى محورين عظيمين مباشرةً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولربّما يكون هذا الإنقسام هو الذي انعكس بحدّة على فرقة بين البلدان العربيّة وعداوات وظهور ملامح الاستحالة في وحدتها. ولنتذكّر أنّ أميركا كانت، منذ أن وضعت الحرب الثانية أوزارها، قلقة أو مسكونة بإرادة تفكيك الاتّحاد السوفياتي عبر إستراتيجيات ومراحل تفكيك العقل الإلحادي وسقوط النظام الشيوعي، ممّا يعني بالتالي حتميّة انتظار المتاعب للأنظمة المتحالفة معه.

ولو ذهبنا في التحليل دعمًا لهذه الفرضيّة، نجد بأنّ الأب يحتلّ مكانة الجسر في العقل العربي. وعندما يسقط الآباء يصبح الأبناء مهدّدين بالسقوط من بعدهم في الأزمات خصوصًا إن كانوا تابعين لآبائهم في تدبير أمورهم وأزمنتهم، ويعانون طراوة وضعفًا في الرأي والقرار، وضحالة التجربة والخبرة حتّى ولو كانوا في أعمارٍ متقدّمة. وما ينطبق على الأفراد قد ينسحب على الدول العظمى في علاقاتها وتحالفاتها مع الدول الصغيرة كما العربيّة الواقعة على خطوط الفيالق والهزّات الدائمة بحيث تتقدّم المصالح، وتتغيّر بموجبها العلاقات الدوليّة.

أفكّر هنا بعامل حاد عجّل ربّما من إسلامية تركيا والبلدان العربيّة الإسلامية بما يتجاوز كارثة ١١ أيلول وتفجير البرجين، هو يقظتها على غفلة، لتكتشف، بعد ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩ عند انهيار جدار برلين، يقظة المسيحيين المكبوتة من حولها في روسيا وبلدان المنظومة الإشتراكية وأوروبا الشرقيّة المتطلّعة مجدّدًا نحو الغرب، والتي راح أهلها يدخلون الكنائس البيزنطيّة المهجورة راسمين إشارة الصليب بعد سبعة عقود. لقد سمع العالم في ضجيج انهيار الجدار في برلين صلوات البابا يوحنا بولس الثاني البولوني الأصل ونبراته الحادّة في ضرورة إضاءة الكنائس في العالم

وقرع الأجراس في أقاصي آسيا. كانت لحظة حملت أيضًا تاريخًا من الحروب والإستراتجيات الخفيّة الأميركية والغبطة الغربيّة بسقوط الاشتراكية ومحاولة تعميم العظمة الأحادية على العالم. تفرّعت الدروب الوعرة في السياسة العالمية في الزمن الذي خرجت فيه المجموعات الإرهابيّة من أسرّة جغرافياتها وتواريخ أنظمتها القاسية لترميها في الفوضى المنظّمة العارمة بلا هويات مستقبلية.

ولو عقدنا مقارنة بسيطة بين صورة الغرب بالأمس وصورته اليوم لوجدنا متغيّرات ومفارقات هائلة. لقد برزت الانتقادات لأميركا ودول الغرب وبنسبٍ مختلفة وبقوّة من معظم الدول العربيّة التي أنهكت على خطوط الصراعات بين الشرق والغرب لأسبابٍ متعدّدة:

أ- يعود السبب الأوّل إلى الغرب في سياساته المتعارضة وعجزه الذي قد يعود إلى تدهورٍ في مستوى قياداته، انعكس تدهورًا في السياسات والمواقف. وهذا ما لم نجده في الاتّحاد السوفياتي ولا في روسيا التي يبدو فيها بوتين يقود سياسات يمكن وصفها بالنموذجية والقويّة من حيث رفضها وتمرّدها المتعدّد الطرق والاتّجاهات والصيغ. لقد اتّكأ الرجل على الكنيسة، بعد سقوط العقيدة، وهو يجتهد في إيقاظ الروح القومية ونسج عظمة دولته الجديدة على القاعدة المناوئة والمفاوضة للغرب في الوقت نفسه، في أمكنة العالم كلّه بما يكفل له قاعدة نفوذ إقليمية ودوليّة صاعدة.

ب- قد تكون تلك الانتقادات الحادّة للغرب وأميركا والتي وصلت إلى حدود التمرّد أيضًا والعدائية المتفاقمة نتيجةً للأوضاع الداخلية والإقليمية التي تعانيها الدول العربيّة على جميع المستويات، والتي يتحمّل أعباءها الغرب بوجه عام بعدما فتحت "الثورات" العربيّة نوافذ الإقتتال المذهبي المظلم والمتراكم في أرض الأديان، ومنها تدفقت أجيال المذاهب والفقهاء والأحزاب والأفكار والاجتهادات.

ج– هناك مفارقة نشهدها إذا ما تذكّرنا تلك الموجات المتمرّدة والعدائيّة التي صاحبت حركات الاستقلال في الدول العربيّة بعد الحرب العالميّة الثانية حيث أفرز ذلك التاريخ حركات شعبية وزعماء كبارًا قادوا الاستقلال ضد الاحتلال أوما كان يعرف بالاستعمار. بالمقابل وبعد "ثورات الربيع العربي"، وبفضل وسائل التواصل العارمة، قد نجد اليوم الكثير من الشعوب العربيّة التي نأت بنفسها عن السياسة تتطلّع إلى المجتمعات الأميركية بعين الرضى والجذب، بينما يكمن الرفض والغضب لدى العديد من حكّام العرب والمسؤولين الرسميين والنخب العربيّة. والأخطر من ذلك أنّنا قد نلمس مناخًا رسميًّا ودينيًا متفشّيًا يرفض الديمقراطيّة والحريّة وغيرها من شعارات التغيير باعتبارها بمنجزاتها ومؤسّساتها ذات طبيعة وجذور غربيّة مستوردة.

ولو أخذنا تركيا مجدّدًا كمثال، نجدها علمانيّة بالكامل مع أتاتورك. أقامت نظامًا ومؤسّسات فصلت الدين عن الدولة وشرّعت للأحزاب والحياة البرلمانيّة والإنفتاح على الحداثة وحريّة الرأي والصحافة إلى حدٍّ كبير لكنها أبقت الجيش كمحافظ كبير على العلمانيّة. يسقط هذا المثال مع أردوغان اليوم بعدما كان يشغل الجوهرة المشرقيّة الثمينة في التاج الخاص بالحلف الأطلسي، حيث كانت بمثابة القائدة لذاك الحلف بالنسبة لأميركا وألمانيا تحديدًا وللغرب عمومًا، وهي بهذا المعنى، كانت حتّى الأمس القريب تشبه الهند في المقام الذي كانت تشغله في وجدان الأمبراطورية البريطانيّة، لكنّها بعدما حشرت نفسها كثيرًا في تداعيات الربيع العربي اكتشفت بعد الانقلاب الأخير المجهض على أردوغان، أنّ أميركا ما عادت الحصن المنيع الذي كانت تستند إليه، وبأنّ وقوفها المزمن على أبواب الغرب، يدفعها أكثر فأكثر إلى سياسة التحدّي والغضب والتمرّد على أوروبا والغرب عبر سياسة

تشريع الأبواب كلّها للعبور نحو أوروبا. بذلك تبدو تركيا وكأنّها تنحو لشغل الحجر الدفاعي الشرقي الروسي في وجه هذا الغرب.

وإذا ما دفعنا التفكير أكثر إلى الأمام، يمكننا التقدير أنّ مطالبة أردوغان الملحّة بتسليم خصمه غولين المقيم في أميركا والمتّهم الأوّل بتدبير الانقلاب، ربّما يفضي إلى ترحيله أو تقريبه إلى مصر، الأمر الذي يذكّرنا بترحيل الإمام الخميني إلى فرنسا الذي عاد ظافرًا من هناك إلى طهران معلنًا الثورة الإسلامية.

هل يمكننا المجادلة من أنّ بعض الدول العربيّة والإسلاميّة التي أسهمت في سقوط نظام الإلحادية أن يدفع من الضحايا والخرائب والدماء والصراعات ما كانت تشتهيه أميركا أن يُدفع من الاتّحاد السوفياتي مباشرة في صراع الجبّارين التاريخي؟ لربّما يصحّ هذا التفكير تفسيرًا لشراسة الحروب الدائرة في أرض العرب، وذلك بالمعنى اللاواعي، إن سمحنا لأنفسنا بتطبيق نظريّة اللاوعي على الأفراد كما على الدول في صراعاتها المزمنة. وفي نهاية المطاف، تكاد الدول حيال قراراتها الكبرى أن تختصر بقرارات مركزيّة تعود إلى مجموعة من الحكّام الأفراد. وهنا يفضي بنا البحث إلى نافذة كبرى هي كيفية صناعة الرأي العام وقولبته في عصر العولمة، حيث يخيّل إلينا أنّ الحكام والشعوب هم في نسقٍ واحد بينما الواقع مغاير لذلك كليًّا.

٧- أين موقع العرب اليوم على الخريطة الدوليّة؟

وهل ينبغي للعرب اقتباس عناصر النهضة الغربيّة؟

طرحت في العام ١٩٢٣، مجموعة من الأسئلة المشابهة، أي منذ قرن تقريبًا على نخبة من المفكرين العرب، وهي أسئلة تتكرّر وكأنّها لم تفقد أهميّتها، لكننا نراها، للمفارقة، تتجدّد بالمعاني والهموم الفكريّة نفسها، وكأنّ التاريخ العربي يدور في مواقعه الفكرية حول نفسه، دائم الانشغال بمسائل

الهوية والنهضة والعروبة والغرب والشرق. وعندما نتصفّح أجوبة البعض نجده يكتب اليوم وكأنه مقيم في ما بيننا[١٩].

نقرأ للأديب ميخائيل نعيمة: "إذا كان لما تعودنا أن ندعوه "رقيًا" أو "تقدمًا" من معنى، فمعناه يجب أن يقاس بالسعادة الناتجة عنه. ولا مقياس للسعادة، في نظري، إلا واحد. وهو مقدار التغلب على الخوف بكل أنواعه، خوف الجوع والألم والفاقة والعبودية وكل ما هناك من ضروب الخوف. لأنّ التغلب على الخوف يولّد تلك الطمأنينة الروحية التي لا سعادة دونها. فإذا كانت المدنية الغربية، كما نعرفها، تساعد على استئصال الخوف أكثر من المدنية الشرقية فهي حرية بالحفاظ والتقليد. وحري إذّاك بالشرق أن يتبنى من الغرب برلماناته ومعاهده العلمية والمدنية وأن يتزيا بأزيائه الأدبية وألا يقف في تقليده عند حد..."

الدكتور طه حسين، قال: "أفهم أن تلقى مثل هذه الأسئلة في هذه الأيام التي نعيش فيها لأنّ الشرق العربي كله مضطرب اضطرابًا شديدًا لم يكن لنا به عهد من قبل، فمن المعقول أن نسأل عن مصدر هذا الاضطراب وعن قيمته وعن نتيجته... الاضطراب مصدره أنّ العرب في حالة انتقال من مرحلة لمرحلة، فمتى لم نكن في مرحلة انتقالية؟ لكن يبدو أنه انتقال من سيئ إلى أسوأ... يجب أن نندفع في الطريق العلمية الغربية اندفاعًا لا حد له لأنّ العلم قد أصبح غربيًا وليس لنا فيه نصيب قومي. وعلى العكس من ذلك في الفن والأدب والحياة الاجتماعية، فلنا فنوننا وآدابنا ونظامنا الاجتماعي. وواجبنا هو أن نحتفظ بشخصيتنا قوية واضحة في هذه الأشياء، وألا نقتبس من أدب الغرب وفنه ونظامه الاجتماعي إلا ما يمكّن شخصيتنا من أن تنمو وتتطور وتحتفظ بما بينها وبين العالم المتحضر من الاتصال".

وعن اقتباس عناصر المدنية الغربية في الأدب والسياسة والاجتماع، كتب أنيس خوري المقدسي: "نعم للإقتباس ولا.. نعم إذا أريد بالعناصر الغربية

محاسن ما عند القوم من أسباب المدنية والعمران كأسباب الصناعة والإدارة والعلوم الطبيعية. ولا إذا كان المراد تقليد المدنية الغربية تقليدًا أعمى يذهب بشخصيتنا القومية ومحاسن عواطفنا الشرقية...يجب أن يُقتبس النور أنّى يكن، في الغرب أو في الشرق، في الشمال أو الجنوب، والحقيقة مفيدة أينما ظهرت، والمهم أن نسعى وراءها بشرط أن تقوى بذلك شخصيتنا، وإلا أضعنا أنفسنا بالتقليد وفنينا في سوانا".

أمّا جبران خليل جبران، فقد أجاب: "إنّ الشرق بكليته ذلك الممتد من المحيط إلى المحيط، قد أصبح مستعمرة كبرى للغرب والغربيين. أمّا الشرقيون الذين يفاخرون بماضيهم ويتباهون بآثارهم ويتبجّحون بأعمال جدودهم، فقد صاروا تابعين بأفكارهم وميولهم ومنازعهم للفكرة الغربية والميول والمنازع الغربية... في عقيدتي أنه ليس بالإمكان تضامن الأقطار العربية في زمننا هذا، لأنّ الفكرة الغربية القائلة بميزة القوّة على الحق، والتي تضع المطامع الاستعمارية والاقتصادية فوق كل شيء، لا ولن تسمح بذلك التضامن طالما كان لها الجيوش المدرّبة والبوارج الضخمة لهدم كل ما يقف في سبيل منازعها استعمارية كانت أم اقتصادية. وكلنا يعلم أنّ كلمة ذلك الروماني "فرّق تسد" لمّا تزل قاعدة مرعية في أوروبا. ومن نكد الدنيا، ومن نكد الشرق والغرب معًا، أن يكون المدفع أقوى من الفكر، والحيلة السياسية أفعل من الحقيقة... وما عسى ينفعكم التضامن في الأمور العرضية وأنتم غير متضامنين في الأمور الجوهرية، وماذا تجدي الألفة في المزاعم وأنتم متباينون في الأعمال؟

يجيب الشاعر جميل صدقي الزهاوي: "...وأخاف أن يمنعنا التعصب الأعمى والجهل البليد من أن نحذو حذو الغربيين فيزداد البون بيننا مع الزمان وتطول شقة الخلاف. هم يرتقون أكثر ممّا هم عليه اليوم ونحن نبقى في مكاننا واقفين... فثمة موقف ممانع أقرب لنبذ الغرب كل الغرب،

والاعتماد على الذات بكل خواصها التراثية". وفي المقابل أجاب مصطفى صادق الرافعي بما هو أقرب إلى الأصولية الفكريّة: "أنّ نهضة هذا الشرق العربي لا تعتبر قائمة على أساس وطيد إلّا إذا نهض بها الركنان الخالدان: الدين الإسلامي واللغة العربية[٢٠] وما عداهما فعسى ألا تكون له قيمة في حكم الزمن ...وإذا كان لابد للأمة في نهضتها من أن تتغير فإن رجوعنا إلى الأخلاق الإسلامية الكريمة أعظم ما يصلح لنا من التغير.

ويعقّب معروف الرصافي كاتبًا: "إنّ المسلمين اليوم وقبل كل شيء في أشد الحاجة إلى إصلاح ديني عام وذلك لا يكون إلّا بعدما يأخذ القوم قسطهم من التربية والتعليم حتى ينشأ فيهم جيل مستعد لقبول الإصلاح. فإذا تمّ للقوم إصلاحهم الديني ... فقد تم اتحادهم الذي هو أكبرعامل في بلوغ غايتهم".

تتشابه الأفكار والكتابات والأبحاث وكأنّ التاريخ يتحرّك في الكشف عن حلولٍ لمعضلات ومآس تبقى بحاجةٍ إلى الكشف عبر قرن تتكرّر فيه الأزمنة والأزمات، ويبدو أقساها وأغربها زمن الانكشاف الراهن الغامض لمواقع العرب ومعضلاتهم فوق الأرض مهما اختلف حولها أهل الدين أو العلم من كونها كروية كانت أم مسطّحة.

المراجع:

(١) راجع لمزيد من العناوين والتفاصيل حول "العولمة والعوربة":
https://www.google.com.lb/webhp?sourceid=chromeinstant&ion=1&espv=2&ie=UTF8#q=%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%A9+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9&start=0

(٢) شاركنا في هذا المؤتمر الحادي والسبعين لمجمع اللغة العربيّة في القاهرة (١٠ أيّار/مايو ٢٠٠٥) من بين مائة وخمسين من كبار العلماء والمستشرقين وأساتذة الجامعات من مختلف دول العالم إلى أعضاء المجمع والأعضاء المراسلين، راجع:
http://alshareyah.com/%D9%85%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86/107-%D8%A3%D8%B1%D8%B4%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF-9/531-qq-qq.html

(٣) الدكتور مانع سعيد العتيبة، المستشار لرئيس دولة أبوظبي، القاها في اطار أعمال المؤتمر الذي نظمته كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة الامارات بمدينة العين في الفترة بين ٢٣ و ٢٤ آذار/مارس ٢٠٠٨.
www.wam.ae/ar/news/general/1395233533353.htm
راجع أيضًا: فيصل أحمد السرحان، "دور العلاقات العامّة في عمليّة صناعة القرار (دعوة الأردن للإنضمام إلى مجلس تعاون دول الخليج العربيّة)، أطروحة أعدّت لنيل شهادة الدكتوراه اللبنانيّة في الإعلام، إشراف الدكتور علي رمّال، المعهد العالي للدكتوراه، الجامعة اللبنانيّة، ٢٠١٦، بإنتظار جلسة المناقشة.

(٤)صحيفة الغد الأردنيّة، ٢٢ حزيران/يونيو، ٢٠٠٩.

(٥) للمزيد من التفاصيل:
https://www.google.com.lb/webhp?sourceid=chromeinstant&ion=1&espv=2&ie=UTF8#q=%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D8%B1%D8%A8%D8%A9+%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85%D8%A9&start=0

(٦) فيصل القاسم،www.voltairenet.org/article141373.htm

(٧) توماس فريدمان، "العالم مسطّح"، تاريخ موجز للقرن الواحد والعشرين، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٦.

(٨) المرجع نفسه، ص١.

(٩) Marshall McLuhan & Quentin Fiore: War and peace in the global village and Zbigniew Brzinski:Between two Ages. America's Role in the Technotronic ERA
Guerre et paix dans le village planétaire, Laffont, Paris، 1970 -
وتر جم هذان المؤلفان إلى لغات كثيرة ومنها الفرنسية:
- La Révolution technétronique, Calmann-Lévy, Paris, 1971.

(١٠) E.B. Weiss: "Advertising nears a big speed-up in Communications innovation", Advertising Age,19 mars London, p. 84 ,1973.

(١١) نسيم الخوري، "فنون الإعلام والطاقة الإتّصاليّة"، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص: ٨٧

(١٢) هناك من يعيد تاريخ دمشق إلى عهد آدم الذي كان يقيم في ضاحية من ضواحيها تُسمى "بيت أبيات"، فيقولون إنّ حواء أقامت في قرية أخرى ما زالت قائمة حتّى اليوم هي"بيت لهيا" أو بيت الآلهة الذي ورد كثيرًا في وسائل الإعلام منذ الـ٢٠١١، ويُجمعون على أنها كانت مكان ولادة إبراهيم الخليل وموطنه الأصلي. ولقد سقنا هذه الملاحظات للربط بين ما يحدث بين التاريخين القديم والحديث. راجع سفر التكوين، وأيضًا:
http://www.josephzeitoun.com/2014/11/%D8%AF%D9%85%D8%B4%D9%82-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B5%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AC%D8%B1%D9%8A-/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB

(١٢) توماس فريدمان، المرجع نفسه، ص٥٧. ويقارن فريدمان بين سقوط جدار برلين في ١٩٨٩/١١/٩ مع ٢٠٠١/٩/١١ تاريخ الهجمات على نيويورك وواشنطن بالمصادفة السحرية الرائعة في التاريخ.

(١٣) Michel Foucher: “La nouvelle planète”, Libération, 15 Décembre 1990, Paris, p. 21

(١٤) Jürgen Habermas: L’espace public. Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, trad. par Marc B. de Launa, Payot, Paris, 1978, p.9

(١٥) سيليكون فالي أو وادي السيليكون (بالإنجليزية: Silicon Valley) هي المنطقة الجنوبية من منطقة خليج سان فرانسيسكو في كاليفورنيا، الولايات المتحدة الأمريكية. هذه المنطقة أصبحت مشهورة بسبب وجود العدد الكبير من مطوّري ومنتجي دائرة تكاملية، وحاليًا تضمّ جميع أعمال التقنية العالية في المنطقة، حيث أصبح اسم المنطقة مرادفًا لمصطلح التقنية العالية.

على الرغم من وجود العديد من القطاعات الاقتصادية المتطورة تكنولوجيًا إلا أنّ سيليكون فالي يبقى الأول في مجال التطوير والاختراعات الجديدة في مجال التكنولوجيا المتطورة ويسهم في ثلث العائدات الاستثمارية في مجال المشاريع الجديدة في الولايات المتحدة الأميركية. يضمّ وادي السيليكون كلّا من وادي سانتا كلارا بما فيها مدينة (سان خوسيه)، بيننسولا الجنوبية و(ايست بيه) الجنوبي. وفيه مجموعات كبيرة جدًا من كبرى شركات التقنية تتخذ من وادي السليكون مقرًا لها كما أنّ شركات جديدة تتأسّس هناك بتواتر صاروخي رغم الكلفة المرتفعة للأراضي؛ وذلك بفضل البنية التحتية الفائقة التطور والطاقات البشرية الاستثنائية التي تتميز بهما هذه المنطقة من جهة، وطبعًا بفضل البعد النفسي المهم الذي تحمله عملية اختيار وادي السليكون كمقر للشركة.راجع:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D8%A7%D8%AF%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D9%84%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%86

(١٦) نشرنا في مجلّة الدفاع الوطني، كانون الثاني/يناير ٢٠١٥، ص٥، دراسة مطوّلة بعنوان:" العرب بين التغيير والغير"، أقفلناها بهذه الحكمة الإغريقية، وما الإشارة إليها هنا إلاّ لتوضيح الإستمرار في السياق البحثي والفكري عينه.

(١٧) روبرت أوبنهايمر (٢٢نيسان / أبريل ١٩٠٤ – ١٨شباط/فبراير ١٩٦٧) فيزيائي أميركي وعالم ومدرّس الفيزياء النظرية بجامعة كاليفورنيا، بيركلي. هو مدير مشروع مانهاتن لتصنيع السلاح النووي الأول في الحرب العالمية الثانية حيث أصبح بعدها الرئيس المشرف السرّي لتطوير الأسلحة، ورئيس اللجنة الأميركية للطاقة النووية. وقد استخدم منصبه للضغط والتحكم في استخدامات الطاقة النووية وتجنب سباق التسليح النووي مع الاتحاد السوفياتي حصل على جوائز عدّة من الرؤساء الأميركيين ومنهم جون كينيدي. راجع لمزيد من التفاصيل :
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%B1%D8%AA_%D8%A3%D9%88%D8%A8%D9%86%D9%87%D8%A7%D9%8A%D9%85%D8%B1

(١٨) نشرت مجلّة "الهلال" المصرية في العام ١٩٢٣ الأجوبة ثم جمعتها ونشرتها في كتيب بعنوان "فتاوى" كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية"،في العام نفسه. وأعادت وزارة الثقافة والفنون والتراث في قطر طباعة الكتيب ونشره وتوزيعه مع مجلّة الدوحة، كانون الأوّل/ديسمبر ٢٠١٣.

(١٩) على الرغم من قناعتنا بأهميّة اللغة العربيّة في ترتيب الشعوب الناطقة بها بكونها مؤشّرًا قويًّا للحضارة ننبّه إلى أنّ اللغة العربيّة اليوم تتحوّل إلى أداةٍ للتعبير وخصوصًا في مواقع التواصل الإجتماعي وهي تلحق بظاهرة كتابتها من اليسار إلى اليمين أو ما دعا إليه سعيد عقل من"ليتنة العربية" من Latinisation بمعنى كتابتها كما اللغات اللاتينية. ولهذا نورد مايلي:
ناقشنا في العام ٢٠٠٠ أطروحتنا الثانية في الدكتوراه وكانت عنوان المخطوطة أساسًا بعنوان:" الإعلام العربي وإنهيار السلطات"، وعندما عرضناها للنشر لم يقبل بها ناشر، لأنّ عنوانها قد يبقيها في مستودعات الناشر لأنّ الأنظمة العربيّة سترفض توزيعها بالطبع. وكان الحلّ بإعتماد العنوان الجديد: "الإعلام العربي وإنهيار السلطات اللغوية" الذي استوجب العمل على تعديلات مضنية للمقاربات الدينية والسياسية وتلوينها بكونها سلطات لغوية، على إعتبار أنّ الجيوش(في

بلدان العرب) ورجال السياسة والدين والقضاة والمحامين وأساتذة الجامعات والمعلمين هم الذين يحملون بعد الأهل السلطات اللغوية والتربوية بمفاهيمها وأصولها وحدودها وحتّى بأزيائهم المحدّدة. وصدرت الأطروحة في سلسلة أطروحات الدكتوراه، عن مركز دراسات الوحدة العربية في العام ٢٠٠٥ وأعيدت طباعتها. ويبقى السؤال عن تمكّن عصر التكنولوجيا والمعلومات من بداية تحويل العربية والكثير من اللغات من أدوات للتفكير إلى أدوات للتعبير: راجع: نجوى عادل طه، "تحوّلات اللغة في الشبكات الإجتماعيّة"(الفايسبوك نموذجًا)، رسالة أعدّت لنيل شهادة "الماستر" في علوم الإعلام والإتّصال، إشراف البروفسور نسيم الخوري، كليّة الإعلام، الجامعة اللبنانيّة، ٢٠١٦.

استراتيجيّة الصراع على القطب الشماليّ

العقيد الركن ناجي بوزيّان*

المقدّمة

تتسابق البشريّة منذ فجر التاريخ الإنسانيّ إلى اكتشاف آفاق جديدة تسمح له بالتطوّر والتفوّق على الآخرين، أمّا القاسم المشترك بين هذه الاكتشافات أنّه في كلّ مرّة أعقبها المزيد من الصراعات. إحدى الظواهر الجديدة في العالم هي ذوبان الثلوج في القطب الشماليّ جرّاء الاحتباس الحراريّ في الكرة الأرضيّة، الذي ما زال العلماء حتّى يومنا هذا، لم يحسموا أمرهم حول أسبابه الحقيقيّة وكيفيّة أو ضرورة التصدّي له أم لا.

* ضابط في الجيش اللبناني

نتيجة ذلك فَقَد المحيط المتجمّد الشماليّ أكثر من نصف مساحته المغطّاة بالجليد في العقود الثلاثة الماضية، وثلاثة أرباع حجمه تراجع بسرعة، وتحوّلت فيه الممرّات طريقًا أكثر قابليّة للاستمرار. أمّا من ناحية الثروات النفطيّة فأصبح من السهل استخراجه، ويمكنُ القول إنّ حجم الاحتياطيّات في قلب

الجليد القطبيّ غير رسميّة، لكنّ تقريرًا صدر عن دائرة المسح الجيولوجيّ الأميركيّة في العام ٢٠٠٠، رجّح أنّ القطب الشماليّ يحوي ٢٥ ٪ من الاحتياطيات العالمية غير المكتشفة من النفط.

كان القطب الشماليّ منطقة شبه منسيّة لا حياة فيها ولا يزورها إلّا الباحثون، مجرّد حدود جليديّة لدولة، إلّا أنّ تنافسًا دوليًّا حول المنطقة بدأ يتصاعد بين القوى الكبرى منذ مطلع الألفيّة الثالثة على ضوء ما بدأ يمثّل من أهميّة في ظلّ المتغيّرات المستجدّة فيه. هذا وتخوضُ الدول العظمى تنافسًا محمومًا في كنفِ التطوّرات المتعلّقة بزيادة الطلب على الطاقة والسيطرة على المناطق الاستراتيجيّة، للسيطرة على المناطق الغنية بهذه الميّزات. وبعد أن أشعلت الشرق الأوسط ودقّت طبول الحروب الأهليّة في أكثر من مكان، تتّجه بوصلة الصراعات الدوليّة على مصادر الطاقة نحو إشعال القطب الشماليّ.

إحتمالات حصول هذا الصراع شبه حتميّة، والميّزات الاستراتيجيّة والخصائص الاقتصاديّة لمنطقة القطب الشماليّ تشبه إلى حدٍّ كبيرٍ تلك القائمة في الشرق الأوسط، الذي طالما كان فريدًا في موقعه وميّزاته وأهميّته. هل ستتبدل إستراتيجية الدول العظمى، وفي طليعتها الولايات المتحدة وروسيا في منطقة الشرق الأوسط الغارقة في أتون الصراعات والتوترات في سياق صراعٍ جديدٍ محتملٍ بين القطبين في منطقة القطب الشماليّ؟

مع بدء بروز أهميّة هذه المنطقة، تسعى الدول العظمى والدول المعنية للتسابق عليها، خصوصًا أنّها لم تحدّد كيفيّة استخدام هذه المساحة الشاسعة من الأرض والمياه وما تكتنزها، وتحديد حقوقها من الثروات من دون مشاكل، ولم تحدَّد سبل للتعاون في ما بين البلدان المتنافسة

على ثروات القطب الشماليّ. يشتمل هذا التسابق على عدّة أصعدة منها القانوني، السياسي، الاقتصادي، العسكري وغيرها. وعلى ضوء هذه الوقائع والتطورات، كيف يبدو الصراع في المنطقة، وما هي أبعاده ونتائجه؟

القسم الأوّل: ماهيّة الصراع على القطب الشماليّ

١-وصف القطب الشماليّ وخصائصه

القطب الشماليّ هو أعلى نقطة على الكرة الأرضيّة، على محور دورانها ويقع في المحيط المتجمّد الشماليّ. تستقبل منطقة القطب الشماليّ أقلّ ما يمكن من أشعّة الشمس، فهي تأتي في المرتبة الثانية من بين المناطق الأكثر برودة في الكرة الأرضية، تغطّيها طبقة سميكة من الثلج على مدار السنة. قرب هذه المنطقة يقع القطب المغناطيسي الشماليّ للكرة الأرضيّة حيث تتّجه إبرة البوصلة إلى هذه المنطقة والاتجاه. بحكم موقعه القطب الشمالي يتمتّع بخصائص تميّزه عن باقي الكرة الأرضيّة، وقد زادت أهميّته مؤخرًا بسبب التغيّرات المناخيّة والبيئيّة.

هناك نجمٌ يدلّ إلى الشمال يُعرف بالنجم القطبي يَسترشدُ به البحّارة والمسافرون على اتجاه الشمال. تشرق الشمس وتغرب مرّة واحدة فقط في السنة هناك، وبالتالي فإنّ جميع خطوط الطول والمناطق الزمنيّة تتجه إلى نقطة واحدة، لذا لا وجود دائم للإنسان في القطب الشماليّ ولم يتمّ تحديد أيّ منطقة زمنيّة معيّنة له، وبالتالي يمكن للبعثات الاستكشافية القطبيّة استخدام أيّ منطقة زمنيّة تكون مناسبة لهم مثل توقيت غرينتش (GMT)، أو المنطقة الزمنيّة للبلاد التي غادروا منها. القطب الشماليّ أكثر دفئًا من القطب الجنوبيّ، لأنّه يقع في مستوى نفسه من سطح البحر، وأعلى درجة حرارة سُجّلت هناك حتّى الآن هي ٥ درجات مئوية، وهي أعلى بكثير ممّا سجّل في القطب الجنوبيّ. في القطب الشماليّ تكونُ الشمس باستمرار فوق

الأفق خلال أشهر الصيف، وتحت الأفق خلال أشهر الشتاء. ومع محاولات أكبر شركات النفط العالميّة كشف ما في باطنه، إلّا أنّها أخفقت حتى أتت التغييرات الحديثة مؤخرًا.

إنّه ذوبان الثلوج في القطب الشماليّ من جرّاء انبعاثات ثاني أكسيد الكربون الناتجة عن عدّة أسباب، ومنها احتراق الوقود الأحفوري، الذي ذوّب الجليد لتقلّصه إلى أدنى مستوى له منذ قبل ظهور الحضارة الإنسانية. إنّ قمم جليد البحر القطبي الشماليّ قد انخفضت إلى أدنى مستوى، وإنّ مساحته وسماكته بلغتا أدنى مستوياتها مقارنةً بأيّ وقت مضى.

أصبح أكثر من ٢,٥ مليون كيلومتر مربع من المحيط المتجمد الشماليّ مفتوحًا ومعرّضًا لحرارة الشمس في الصيف طوال ٢٤ ساعة يوميًا. وعندما ننظر جيّدًا إلى صور تناقص الجليد بالقطب الشماليّ، ندرك أنّ ذوبان الجليد هو مسألة سنواتٍ قليلة فقط.[١]

إنّ تغيّر المناخ، هو جزءٌ من السبب الذي جعل القطب الشماليّ يصبح الآن جبهة متجدّدة للمنافسة الدولية، فالمناخ هو المسؤول عن اضطراب النظم الإيكولوجيّة، ومع تزايد الحرارة يذوب الجليد، وتُفتح قنوات وممرّات مائيّة جديدة خالية من الجليد تفيد قطاع الشحن والصيد التجاري، واستكشاف النفط والغاز. وتشير تقديرات إدارة معلومات الطاقة الأميركية أنّ ١٣٪ من النفط المتبقي على الأرض، و٣٠٪ من الغاز الطبيعي، و٢٠٪ من الغاز الطبيعي المسال مازالت مخزّنة داخل قاع البحر في القطب الشماليّ.[٢]

تضمّ المنطقة أطراف أوروبا وآسيا وأميركا الشماليّة، وتقريبًا المحيط المتجمد الشماليّ كلّه، باستثناء الجزر الساحليّة النروجيّة، والقسمين من

١- إميل أمين، الصراع على ثروات القطب الشماليّ هل يشعل حروبًا عسكرية؟، ٢٠١٥/١١/١٨، متوافر على الموقع: http://2015.omandaily.om/?p=56426، الإنترنت، الدخول: 18/11/2015.

٢- Conn Hallinan، The Big Chill: Tensions in the Arctic، ٢٠١٤/١١/١٣،متوافر على الموقع: http://fpif.org/big-chill-tensions-arctic، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

المحيطين الأطلسي والهادئ، القريبين من المنطقة، تبلغ مساحتها ٢٧ مليون كيلومتر مربع. تعاظم الإهتمام بهذه المنطقة خلال العقد الماضي، وأعاد أحد أوجه صراعات الحرب الباردة إلى الساحة.

"من يملك القطب الشماليّ، يتحكّم في مصير العالم". مقولةٌ أصبحت تتردّد في أوساط المفكّرين السياسيين والاستراتيجيين نظرًا لما يحدث من متغيّرات في تلك المنطقة، لأنّ التنافس على الموارد وزيادة القدرات العسكريّة فيها جعلا القطب الشماليّ منطقة صراع في المستقبل.

٢- الدول المعنيّة في الصراع

- بدايةً، الدول التي لها سواحل تمتدّ على المحيط المتجمّد الشماليّ، وهي روسيا، الولايات المتّحدة الأميركيّة، كندا، الدانمارك والنروج.

- الدول المتداخلة مع المنطقة: فنلندا، السويد وإيسلندا.

- الدول المتقدمة صناعيًا واقتصاديًا: كالصين واليابان وكوريا الجنوبية ودول أوروبا الغربية والتي لها مصالح حيويّة في هذه المنطقة.

يرعى العلاقة بين البلدان الخمسة المشاطئة، قانونُ البحار المتمثّل باتفاقيّة حقوق الملكيّة في الجرف القاري، الصادرة عن الأمم المتّحدة العام ١٩٨٢، ودخلت حيّز التنفيذ العام ١٩٩٤، بعد أن صادق عليها ١٥٠ بلدًا من بينها روسيا والنروج فقط، من البلدان المذكورة أعلاه، وقد حدّدت الاتفاقيّة العام ٢٠١٣ آخر تاريخ للمصادقة. الجدير ذكره أنّ الولايات المتّحدة ما زالت تنتظر مصادقة الكونغرس عليها، أمّا كندا فتقدّمت بطلب أوليّ إلى اللجنة الخاصة، بانتظار استكمال المستندات المطلوبة.[٣]

وتفيد المعاهدات الدوليّة بأنّ لا أحد يملك القطب الشماليّ. حسب قرارات

٣- إتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ١٩٨٢، متوافر على الموقع:
http://www.un.org/depts/los/convention_agreements/texts/unclos/unclos_a.pdf، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/٣/١.

الأمم المتّحدة كقانون البحار المذكور سابقًا، تمتدّ الحدود الدولية البحرية لمسافة ٢٠٠ ميل بحري، وتأخذ لجنة الأمم المتّحدة المختصة بترسيم الحدود الدولية على عاتقها تفسير هذه المساحة وترسيمها. أمّا في ما يمتدّ بعد خط المئتي ميل بحري، فقد أثارت مسألة الحدود نزاعات دوليّة حادة وهي آيلة إلى التصعيد ما بعد هذه المرحلة.

قام كلٌّ من روسيا وكندا والولايات المتّحدة والدانمارك والنروج بمدّ حدودهم شمالًا للمطالبة ببعض الأراضي من حولها، وتحرص هذه الدول على السيطرة بقدر ما في وسعها على هذه المنطقة المتجمّدة. فمثلًا تعتبر كندا الممرّ الشماليّ الغربي، وهو المسار الذي يربط المحيط الأطلسي بالمحيط الهادئ من خلال الأرخبيل الشماليّ، جزءًا من المياه الكندية الوطنية الخاضع لولايتها، وينازعها في هذا الأمر عدد من البلدان بما فيها الولايات المتّحدة، التي اختارت أن تتجاهل الأمر في السنوات القليلة الماضية.

في العام ١٩٩٦، وقّعت ٨ دول على إعلان أوتاوا، حيث أصبح القطب الشماليّ يدار من خلال مجلس يضمّ خمس دول لها سواحل على المحيط القطبي: كندا، الولايات المتّحدة الأميركية، روسيا، الدانمارك والنروج، بالإضافة إلى ثلاث دول أخرى هي فنلندا، السويد، إيسلندا. كما يضمّ المجلس ١٢ دولة تحمل صفة مراقب، ومجموعات من السكان الأصليين تحت اسم "المشاركون الدائمون". يُعدّ المجلس منتدى للتعاون في القضايا الإقليمية الخاصة بالتنمية وحماية البيئة، ويقع مقرّ الأمانة العامة التابع له في النروج، وتتجدّد رئاسته دوريًا كل عامين.[٤]

٤- Marlene Laruelle، Russia s arctic strategies and the future of the far north،Routledge ، الولايات المتحدة الاميركية، الطبعة الأولى عام ٢٠١٤، ص xiv.

أ- الموقف الكندي السياسي والعسكري

تصاعدت حدّة التدخلات العسكريّة في منطقة القطب الشماليّ منذ العام ٢٠٠٧، حين رفعت روسيا علمها في إحدى مناطق الدائرة القطبية، لتشعل جدلًا حول نطاق سيادة كل بلد من البلدان المطلّة على البحر، ولتبدأ كلٌّ منها في تعزيز قوّتها البحريّة في تلك المنطقة، ولا سيّما على صعيد القطع البحرية التي تمتلك إمكانيّة إزاحة الثلوج.

تدفع كندا منذ العام ٢٠٠٢ بأحقيّتها في السيادة على القطب الشماليّ، وقدّمت في كانون الأوّل٢٠١٣ طلبًا للجنة الأمم المتّحدة المختصّة بترسيم الحدود الدوليّة للنظر في القضيّة. يشمل الطلب الكندي ضمَ منطقةٍ بمساحة ١,٢ مليون كيلومتر مربع تتضمن منطقة القطب الشماليّ، كما قدّمت روسيا طلبًا مماثلًا بضمّ القطب إلى أراضيها.[٥]

قال رئيس وزراء كندا السابق "ستيفن هاربر Stephen Harper" عقب اندلاع النزاع:"أمام كندا العديد من الخيارات عندما يتعلّق الأمر بدفاعها عن حقوقها السياديّة على القارة القطبيّة الشماليّة". وعمدت كندا إلى محاولة إقرار نوع من الأمر الواقع، عندما قام "هاربر" في العام ٢٠٠٧، بزيارة إلى المنطقة امتدّت لثلاثة أيّام، ردًّا على ما اعتبره استفزازًا روسيًا لسفينة ترفع العلم الروسي فوق جليد النقطة المركزيّة للقطب. وأعلن وقتها عن خطط لإنفاق حولى ٣,٨ مليار دولار لبناء ثماني سفن حربيّة كاسحة للجليد، يمكنها اختراق معظم الصفائح الجليدية التي تغطّي تلك المناطق النائية للدفاع عن سيادة كندا عليها. وبدأت الحكومة الكندية منذ ذلك الوقت بدراسة أفضل الأماكن لإقامة أوّل ميناء بحري تجاري هناك، وقد

٥- The Scramble for the Arctic، 7/3/2015، http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=1472552، الإنترنت، الدخول: 18/11/2015.

يقع الإختيار على جزيرة "هانز Hans" بسبب موقعها على الممرّ الشماليّ الغربي للقطب.[٦]

كما أشارت أيضًا وسائل إعلام كندية عدّة في شهر كانون الأوّل ٢٠١٣، إلى استعداد الجيش الكندي لإجراء أوّل تجاربه على نظام الإتصالات الجديد الذي يُطلق عليه "الشبح الثلجي"، وهو جزء من استراتيجيّة كندية حثيثة لتحقيق الهيمنة على القطب الشماليّ في نهاية المطاف. النظام الجديد كلّف نحو ٦٠٠ مليون دولار أميركي، وهو جزءٌ من الحشد العسكري طويل الأمد لكندا تجاه منطقة القطب الشماليّ. والجدير بالذكر أنّ "الشبح الثلجي" هو نموذج أوّلي صُمّم للمساعدة في توفير اتصالات ذات جودة عالية، خصوصًا في "فصل الشتاء" القطبي، ويمكنه التغلّب على المشاكل المتنوعة التي تتسبّب فيها التضاريس الأرضية، ويعدّ هذا النظام الإتصالي على درجة كبيرة من الأهميّة للسياسيين في كندا، الذين ناضلوا أكثر من عقد من أجل توسيع حدود كندا في الشمال، كما يوفّر هذا النظام للقوات الكندية سرعة الاستجابة لحالات الطوارئ، مثل التسريبات النفطية أو تفشّي الأمراض في مجتمعات القطب الشماليّ[٧]. في آذار ٢٠١٤، انتهت كندا من مشروع بلغت تكلفته ٣,٤ مليار دولار لتسيير خمس سفنٍ كدوريّة بحريّة فى القطب الشماليّ، مع المضيّ قدمًا في عددٍ كبير من المشاريع لتحسين القدرات العسكريّة الكندية في شمال البلاد.[٨]

إنّها مجمل سياسة كندا والتّي تعتبر الدولة الندّ لروسيا في موضوع الصراع على القطب الشماليّ، لأّنها ثاني دولة من حيث امتداد شواطئها على

٦- Canada PM asserts Arctic claims، 10/8/2007، BBC news، متوافر على الموقع: http://news.bbc.co.uk/2/hi/americas/6939732.stm، الإنترنت، الدخول: 18/11/2015.

٧- إميل أمين، مرجع سابق.

٨- شيما ابراهيم، الصراع على القطب الشماليّ، ٢٠١٥/١١/٢٨، متوافر على الموقع: http://www.anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=١١٦٦٩٦#.VrJLKVP٨LIU، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٠.

المحيط المتجمّد الشماليّ، وهي دولة متطوّرة تملك اقتصادًا قويًا يجعلها لاعبًا شرسًا في المواجهة. لكن يبقى السؤال الأبرز، هل تستطيع كندا مواجهة روسيا التي يتصاعد دورها دوليًا من دون مساعدة الولايات المتحدة؟ وما هي التنازلات التي تقدّمها كندا للولايات المتحدة في المنطقة؟ في الواقع فإنّ الصراع متشعبٌ ولا يقتصر على دول القطب بل يتعدّاه إلى خارجها من الدول العظمى، حيث لا نستطيع إغفال ما تقوم به الصين.

ب-دور الصين

يعتقد العديد من الخبراء في المقلب الآخر، أنّ ممرّ القطب الشماليّ سيصبح الطريق البحري الذهبي المقبل للتجارة مع أوروبا، وأوّل شريك تجاري لها الصين. قد يعتبر البعض أنّ الصراع مقتصر على دول القطب ولكن نجد أنّ للصين مصلحة قوية توازي أو تفوق بأهميّتها الدول المذكورة أعلاه.

بدأت سفينة صينية يبلغ وزنها ١٩ ألف طن رحلتها في ٨ آب ٢٠١٣، من داليان إلى روتردام، حيث أبحرت من خلال الممرّ الشماليّ الشرقي وقلّصت الوقت الطبيعي للرحلة بمقدار تسعة أيام. يقدّر الخبراء الصينيون أنّه خلال سبع سنوات سيمرّ ٥ إلى ٧ ٪ من حجم التجارة الدولية لثاني اقتصاد في العالم عبر القطب الشماليّ. وقد عقدت ندوة في مدينة داليان الساحليّة في شمال شرق الصين، ركّزت على إمكانية الاستخدام المنتظم لطريق شحن القطب الشماليّ ليونغ شنغ، وقال تساي مي جيانغ، المدير العام لإدارة المراقبة الأمنيّة والفنيّة لإحدى شركات الشحن إنّ "الشركة تفكّر في زيادة عدد السفن التي ستبحر من خلال الطريق الجديد". وتأمل بكين في أن يكون الطريق المختصر أيضًا مفيدًا لتنمية موانئها في شمال شرق البلاد.[٩]

على صعيد الثروة النفطية، تسعى الصين، أوّل دولة مستهلكة للطاقة

٩- المستقبل الإقتصادي، اختصار الطريق عبر القطب الشماليّ يسمح لبكين بتسريع التصدير
اليوان الصيني يسجّل مستوى قياسيًا جديدًا أمام الدولار الأميركي، صحيفة المستقبل،٢٠١٣/٨/٧،ص١٣.

في العالم، للحصول على الإحتياطي الكبير من النفط في القطب الشماليّ. إلى ذلك، فقد كشف مسؤولٌ رفيع في وزارة الخارجيّة الصينيّة، أنّ بكين وموسكو ناقشتا إمكانية مشاركة شركات صينية في عمليات التنقيب عن الموارد الطبيعيّة في المنطقة القطبية لروسيا. وتسعى الأخيرة جاهدةً إلى تسريع أعمال التنقيب عن النفط والغاز في المناطق القطبيّة الغنيّة بالموارد، بسبب العقوبات الغربية التي تمنع الشركات الأجنبية من مساعدة روسيا في استغلال ثرواتها الطبيعيّة. سعت الصين طوال سنتين أن تصبح عضوًا مراقبًا دائمًا في مجلس القطب الشماليّ، وبعد حملة دبلوماسيّة دامت سنوات، حصلت في أيار من العام ٢٠١٤ على وضع دولة مراقبة في مجلس القطب الشماليّ، المنتدى الحكومي للتعاون. وتسعى إلى أداء نشاطٍ واسع النطاق، بما في ذلك الأبحاث العلمية وأعمال البحث والإنقاذ، ناهيك عن أنّه بوسع الصين أن توظّف موارد كبيرة لتطوير المنطقة.[١٠]

لعلّ ما قاله أحد الأميرالات الصينيين الكبار "ين زهو" يدلّ على نوايا بلده: تحترم الصين جدًّا حقوق السيادة لكلّ بلدٍ ضمن الحدود الرسمية المعترف بها، لكنّ منطقة القطب الشماليّ ليست كلها ضمن الحدود الإقليميّة للبلدان المشاطئة لهذا المحيط، فهي ملك الإنسانيّة جمعاء، ولا يمكن لأيّ أمّة الإدّعاء بالسيادة على أجزاء خارج حدودها الإقليميّة. وبما أنّ عدد سكان الصين يشكّل خمس سكان العالم، لذلك تُطالب الصين بخمس الثروات الطبيعيّة في منطقة القطب الشماليّ، خارج الحدود الإقليميّة للبلدان المشاطئة.[١١] إذًا، يمكننا اعتبار ما جاء على لسان هذا الأميرال، تجسيدًا لواقع سائد حاليًا، بدءًا من تحرّك البلدان المشاطئة للمحيط لقوننة علاقتها بالواقع الجغرافي

١٠- شانغهاي - أ. ف. ب، اختصار الطريق عبر القطب الشماليّ سيسمح للصين بالتصدير بسرعة أكبر، ٢٠١٣/٨/١٨، متوافر على الموقع: http://www.alriyadh.com/860493، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

١١- عفيف رزق، الصراع في القطب المتجمد الشماليّ: خلاف على الثروات والحدود.. يحسمه العلم!، ٢٠١٣/١٢/٢٧، متوافر على الموقع: www.kassioun.org/.../٥٢٠٨-٢٠١٣-١٢-٢٧-١٧-٤٧-٥٦، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

تمهيدًا لتحديد ملكيّتها، مرورًا بجميع المهتمّين بهذه الثروات وكيفيّة استثمارها. وأبلغ دليل على هذا الاهتمام، ما قامت به الصين في المنطقة، واعتبر انضمامًا إلى ساحة المنافسة.

إلى جانبِ ذلك، قامت الصين بنسج علاقاتٍ دبلوماسية مميّزة مع العديد من الدول القريبة من القطب. مثل إيسلندا، البالغ عدد سكانها ٣١٦ ألف نسمة فقط والتي تقع عند المدخل الغربيّ الشماليّ للمحيط المتجمّد الشماليّ، يُعتبر هذا الموقع الجغرافي من أفضل المواقع لنقل البضائع بواسطة السفن العملاقة الحاملة للحاويات. وضعت الصين في سفارتها، عددًا من الدبلوماسيين، يتجاوز عددهم عدد طاقم أيّ سفارة أخرى، كما أنّ السلطات الصينيّة الرسميّة استقبلت رئيس إيسلندا، لدى زيارته بكين، في الآونة الأخيرة، كرئيس دولة كبرى.

ج- النشاطات الأخرى لبعض الدول

نجد أنّ دولًا أخرى بدأت تتقدّم وتزيد استثماراتها وقدراتها العسكريّة هناك، كما تشكّلت تكتّلات صغيرة لأهداف دفاعية ولتطوير التعاون في ما بينها. كلّ ذلك لم يقتصر على الدول التي هي على تماس مع المنطقة القطبيّة الشماليّة سواء القريبة أو البعيدة، بل تعدّتها إلى الدول المتطوّرة المفتقرة للثروات الطبيعيّة والتي تحتاج إلى ممرّات لتصدير منتجاتها واستيراد ما تحتاجه من مواد أوّلية لتخفيض الانتاج والمحافظة على قدراتها التنافسيّة.

إنّ السباق نحو استغلال الثروات القطبيّة، بالإضافة إلى "العسكرة" المتزايدة في المنطقة، دفع بعض الدول لتشكيل محافل صغيرة للحوار، منها "NORDEFCO" وهو اتحاد النروج، الدنمارك، إيسلندا، السويد، فنلندا على سبيل المثال، الذي رفع شعار التعاون الدفاعي في القطب الشماليّ، وهو واحدٌ من مجموعات أُنشِئَت للتعامل مع القضايا المتنامية للمنطقة القطبيّة

الشماليّة. في شهر آذار من العام ٢٠١٣، أعلنت النروج استثمار مليار دولار لزيادة القدرات الدفاعيّة الشماليّة لها، ومثلها مثل دول الصراع الأخرى، فليس من المستغرب أن تقوم النروج برصد اعتمادات طائلة بشكل غير مسبوق، لاستكشاف جبال المنطقة ومسحها، أو لبناء ٥ فرقاطات بحرية، هي الأحدث من نوعها، بهدف نشرها في أنحاء المنطقة. كذلك في كانون الأوّل العام ٢٠١٤، قدّم الدانماركيون طلبًا إلى لجنة الأمم المتّحدة للحدود والجرف القاري "UNCLCS"، لتأكيد حقّها في المطالبة بأراضٍ في القطب الشماليّ.[١٢]

وفي هذا المجال، يخطّط المسؤولون اليابانيون للانضمام لمحادثاتٍ حول وضع قواعد دوليّة جديدة تجنّب الخلافات بشأن الموارد الطبيعيّة في منطقة القطب الشماليّ. ويشير المسؤولون إلى أنّ تطوير القطب الشماليّ قد يؤدّي إلى نزاعات، وعلى اليابان أن تنخرط في المناقشات حول وضع قواعد جديدة لتعزيز الحوار مع روسيا ودول أخرى مطلّة على القطب الشماليّ. بالتوازي، فقد أفادت وسائل إعلام يابانية في ٢٢ كانون الأوّل ٢٠١٣، بأنّ الشركتين "Inpex" و"JX Nippon Oil&Gas Exploration" ستقومان بالتنقيب عن النفط في منطقة القطب الشماليّ.[١٣]

ما من دولة مشاطئة، قريبة أو ذات شأنٍ عظيمٍ على الصعيد الدولي أو الصناعي، إلّا وأبدت اهتمامها بمنطقة القطب الشماليّ، كلٌّ حسب نظرته واعتباراته ومصالحه. لقد استعرضنا معظمها ومدى اهتماماتها وإستراتيجياتها حيال هذه المنطقة، ما عدا قطبي السياسة العالمية روسيا

١٢- وحدة الدراسات الدولية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجيّة، ٢٠١٥/٨/٤، متوافر على الموقع:http://rawabetcenter.com/archives/١٠٤٤٩، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١٢/٢٠.

١٣- Nikkei، Japanese energy firms to explore for oil in Arctic، ٢٠١٣/١٢/٢٢،متوافر على الموقع:http://asia.nikkei.com/Business/Trends/Japanese-energy-firms-to-explore-for-oil-in-Arctic، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

والولايات المتّحدة الأميركيّة. الأولى نظرًا لصعودها السريع والقوي من أجل استعادة دورها السياسي العالمي، إضافةً إلى امتلاكها أكبر شاطىء على المحيط المتجمّد الشماليّ، والثانية للمحافظة على موقعها العالمي كقوة عظمى.

القسم الثاني: الاستراتيجيّة الروسية

١- الموقع الروسي ونشاطاته العسكريّة والعملياتيّة

تمتدّ الحدود الشماليّة لروسيا على مسافة أكثر من ثلاثة آلاف ميل على المحيط المتجمّد الشماليّ. لكنّ بُعدها وبرودة مناخها وانخفاض ملوحة الماء، وندرة النباتات والحيوانات والبشر، وكذلك الأعماق الضحلة (معظمها أقل من ٥٠ مترًا) والضباب الكثيف، خصوصًا في فصل الصيف، جعل روسيا تعتمد السياسة السوفياتية السابقة نفسها، فلم تُبدِ اهتمامًا بالمواقع العسكريّة، لصالح إعادة إنشاء شبكة واسعة من الاتصالات والمواقع العسكريّة في منطقة القطب الشماليّ، لكن التطوّر المستجدّ في المنطقة اضطرّ الروس لأخذ منحى جديد.

أ-تُعتبر روسيا من أوائلِ الدول التي ارتادت المنطقة في وقتٍ مبكر وذلك في نهاية القرن الثامن عشر، ومنذ ذلك الحين تمثّل المنطقة أهميّة استراتيجيّة خصوصًا لروسيا. وعليه فقد قدّمت في العام ٢٠٠١ طلبًا إلى هيئة الأمم المتّحدة لتوسيع مساحة الجرف القطبي بموجب اتفاقية قانون البحار، لكن تمّ ردّ المطالبة لعدم كفاية الأدلّة.(١٤)

بعد فترةٍ طويلة من الركود الاجتماعي والاقتصادي، بعد تفكّك الاتحاد السوفياتي وتحديدًا في العام ٢٠٠٧، رفعت روسيا علمها في إحدى مناطق

١٤- Marc Benitah،Russia's Claim in the Arctic and the Vexing Issue of Ridges in UNCLOS، ٢٠٠٧/٧/٨،متوافر على الموقع:https://www.asil.org/insights/volume/١١/issue/٢٧/russias-claim-arctic-and-vexing-issue-ridges-unclos/، الإنترنت، الدخول:٢٠١٥/١٢/١٧.

الدائرة القطبية كما سبق وذكرنا في القسم الأوّل من هذا الفصل. زادت على أثر ذلك حدّة التدخّلات العسكريّة في منطقة القطب الشماليّ، لتشعل جدلًا حول نطاق سيادة كل بلد من البلدان المطلّة على المحيط، وليبدأ كلّ منها في تعزيز قوّتها البحرية في تلك المنطقة، ولا سيّما على صعيد القطع البحرية التي يمكنها إزاحة الثلوج.[١٥]

بالنسبة لروسيا، فإنّ إحياء القواعد العسكريّة، التي كانت نشطة إبّان الحرب الباردة، يُعدّ فرصة لإعادة تأكيد هيمنتها عبر منطقة القطب الشماليّ، وتأسيس وجود دائم وشامل لها هناك، حيث راهن الروس على المطالبة بأراضٍ في القطب الشماليّ والمناطق المحيطة به في قاع البحر، والتي لا تعود ملكيتها لأيٍّ من الأطراف الأخرى.

توسيع التواجد في منطقة القطب الشماليّ، هو مسألة أمن قومي بالنسبة إلى روسيا، نظرًا إلى أنّ مسؤولين غربيين بحثوا في عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠ في واشنطن وبروكسل وأوتاوا، وغيرها من العواصم، خطط زيادة النشاط العسكري في منطقة القطب الشماليّ، وذلك تحت غطاء الطموحات الاقتصادية.

تكمن الأهميّة الاقتصادية لمنطقة القطب حاليًا، أنّها تؤمّن ١١٪ تقريبًا من الدخل القومي الروسي، وتشكّل ما نسبته ٢٢٪ من الصادرات الروسية كلّها. ويُستخرج في هذه المنطقة ٩٠٪ من النيكل والكوبالت، و٦٠٪ من النحاس، و٩٦٪ من البلاتين. وقد اكتُشفت في الجرف القاري مطمورات صناعية من الذهب والقصدير والماس.[١٦]

ذكر "الكساندر جولتسAlexander Golts" الخبير العسكري ونائب رئيس تحرير دورية "يزهيندنيفني زهورنال"، أنّ المنطقة القطبيّة من

١٥- Geir Honneland، arctic politics the law of the sea and Russian identity، PalgraveMacmillan،U.K الطبعة الأولى عام ٢٠١٤، ص ١.

١٦- MarlenLaruellee، مرجع سابق، ص ٢١.

وجهة نظر "بوتين" تبدو مثل معجزة ومكان ينطلق منه ازدهار الأجيال الروسية المستقبليّة. وأضاف، يعتقد بوتين أنّه إذا حصلت روسيا على المنطقة، ستسعى دول أخرى إلى السيطرة عليها، لذا يجب الدفاع عنها.[١٧]

يرى بوتين أنّ منطقة القطب الشماليّ لم تكن بالنسبة إلى روسيا، منطقة مصالح اقتصادية كبيرة فحسب، بل هي تُعتبر جزءًا مهمًّا من أجزاء القدرة الدفاعيّة الوطنيّة، وأنّ روسيا لن تتخلّى عن القطب الشماليّ، بل ستقوم بتنميته أكثر، وتحدّث عن خطّة للتعاون بين الجانبين الروسي والأميركي بهذا الشأن.

هل ما صرّح به بوتين هو الحقيقة كاملة أم جزء منها؟ الشاهد أنّه في الوقت الذي كان فيه بوتين يتحدث عن التعاون السلمي مع الأميركيين، كانت قواته المسلّحة في مرحلة الاستعداد للمواجهة مع الجانب الأميركي، إذ بدأت وحدات من قوات الدفاع الجوّي الفضائي الروسي الانتشار في منطقة القطب الشماليّ الروسية، كما باشرت روسيا بإقامة رادارات إنذار مبكر في مناطقها الشماليّة.

في كانون الأوّل ٢٠١٣، أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنّ روسيا ستقوم باستصلاح الحدود الشماليّة. ومنذ ذلك الإعلان، بدأت روسيا بتأهيل البنية التحتية السوفياتية في منطقة القطب الشماليّ، والتي تمتدّ من مورمانسك في شمال غرب البلاد على الحدود مع النروج، إلى ماجادان في الشرق والمطلّة على المحيط الهادي. وتشمل هذه الأراضي قواعد في جزر سيبيريا الجديدة في بحر "لابتيفLaptev"، ومركز كبير للتعدين في "فوركوتاVorkuta" و"فرانز جوزيفFranz Josef Land" أرخبيل في المحيط المتجمد الشماليّ.[١٨]

١٧- Jurgen Staun، Russia's Strategy in Arctic، Royal Danish Defence College، الدانمارك، الطبعة الأولى عام ٢٠١٥، ص ١٢.

١٨- المرجع السابق، ص٩.

ب– قامت روسيا بتجديد قواعدها العسكريّة وتوسيعها، والتي تمتدّ على الحدود الشماليّة للبلاد، ما يمكّنها من زيادة قدراتها الجويّة والبحريّة. فضلًا عن تشكيل وحدات عسكريّة دائمة جديدة، مثل القيادة الاستراتيجيّة المشتركة في القطب الشماليّ في مدينة "سيفيرومورسك Severomorsk" على حدود روسيا الشماليّة الغربيّة، سنأتي على تفصيلها لاحقًا.

في العام ٢٠١٤، تزايد الوجود العسكريّ الروسيّ في منطقة القطب الشماليّ، وفي ١ كانون الأوّل من العام نفسه، باشرت القيادة الاستراتيجيّة الشماليّة مهمّتها لحماية منطقة القطب الشماليّ ووسط روسيا من أيّ هجوم محتمل يأتي من الشمال. وقد أُشير إلى أنّ العام ٢٠١٥ سيشهد انتشار وحداتٍ من القوات الجوّية وقوات الدفاع الجوّي في منطقة القطب الشماليّ الروسية، وستتبع هذه القوات، إضافةً إلى وحدات من القوات البحريّة والجويّة، لإمرة القيادة التي تمّ تشكيلها.(خريطة رقم١)

في العام ٢٠١٥، بدأت روسيا بترميم المنشآت العسكريّة في "نوفايا زيمليا Novaya Zemlya" وتوسيعها، حيث تمّ وضع خطّة لنشر صواريخ مضادة للطائرات من طراز "اس–٤٠٠ تريومْف" في أرخبيل نوفايا زيمليا، إضافةً إلى نصب بطارية من راجمات الصواريخ والقذائف المضادة للطائرات "بانتسير–اس١" في أحد المطارات في منطقة القطب الشماليّ الروسية. وفي آذار من العام نفسه جرت تدريبات عسكريّة شارك فيها أكثر من ٤٥,٠٠٠ عنصر، لتنفيذ حوالى ٤٠٠٠ من التمارين المقرّرة للعام ٢٠١٥، الأمر الذي حمل المنافسين الآخرين على إجراء العديد من النشاطات العسكريّة، منها التدريبات السنوية لعملية "نانوك" العسكريّة في كندا، كذلك المناورات المشتركة للفايكنغ النروجي، التي جرت في آذار ٢٠١٥، وهي الأكبر في تاريخ هذه القوّة الجديدة.[١٩]

١٩- مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة، مرجع سبق ذكره.

إضافةً إلى ما تقدم، فقد نقلت طائرات مروحية من طراز "مي ٨"، و "مي ٢٦"، في شهر تشرين الأوّل ٢٠١٤، أكثر من ٣٠ طنًّا من المواد والمعدّات إلى المطار العسكري "تيمب Temp"، حيث ينشط العمل في ترميمه وإعادة بنائه. وفي جزيرة كويتلي، إحدى جزر مجموعة نوفوسيبريك في المحيط المتجمد الشماليّ، شقّ الطراد الصاروخي والسفن المرافقة له في أيلول من العام نفسه الطريق إلى تلك الجزر وسط الكتل الجليدية، مستعينةً بكاسحات الجليد.[٢٠]

هذا وتمتلك روسيا أكبر أسطول لاختراق الجليد في العالم، فلديها ١٨ سفينة، سبع منها تعمل على الطاقة النوويّة، وهي تسعى لبناء كاسحات جليد جديدة تعمل على الطاقة النوويّة، ويقدّر الخبراء بأنّ روسيا تحتاج بناء ما بين ٦ إلى ١٠ كاسحات جليد نووية في السنوات الـ ٢٠ المقبلة للحفاظ على تواجدها العملياتي في المناطق التي تدّعي ملكيتها لها في القطب الشماليّ. كذلك أنشأت روسيا مركزًا لبناء سفنٍ مجهّزة للتنقيب عن النفط في سيفردوفينسك، ومن المقرّر الانتهاء من هذا المشروع مع نهاية العام الحالي، حيث ستكون الأولى من نوعها في العالم.[٢١]

بما أنّ القطب الشماليّ يقع في محيطٍ متجمّدٍ سيصبح في ما بعد محيطًا مائيًّا، فقد تكلّل هذا السعي الروسي الاستراتيجيّ إلى التسلّح في القطب الشماليّ بعقيدةٍ مستحدثة للبحرية الروسية، تضع نصب عينيها حماية مصالح روسيا في المنطقة، عبّر عنها قائد سلاح البحرية الأميرال فيكتور تشيركوف أمام مجلس البحرية في الحكومة الروسية. ولأهميّتها، سيراقب الروس القارة البعيدة عبر قمرين اصطناعيين، "أركتيكا – أم١" و"أركتيكا – أم٢"، بهدف رصد بيئتها ومناخها المتغيّر.[٢٢]

٢٠- إميل أمين، سبق ذكره.

٢١- سيمون سمعان، تنافس روسي- أميركي- إقليمي يقود سباقًا إلى الثروات حرب الموارد في القطب الشماليّ تسخّن الجليد.. والعلاقات، ٢٠١٥/١١/١٧،متوافر على الموقع:www.alidarimagazine.com/article.php?categoryID، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

٢٢- لور الخوري، لا تزعجوا روسيا في القطب الشماليّ، ٢٠١٤/١٢/٢٩،متوافر على الموقع:www.al-akhbar.com/node، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

٢- أسباب السياسة الروسية وخلاصتها

خمسٌ من الدول المشاركة في مجلس القطب الشماليّ تنتمي إلى حلف الناتو، وهي كندا، الدانمارك، النروج، الولايات المتّحدة وإيسلندا، وهنا يظهر البعد الدولي والاستراتيجيّ لهذا الصراع غير المعلن على القطب. لكلّ من هذه الدول أطماع مماثلة لتلك الروسية، وهي وضع اليدّ على ما أمكن من الموارد الطبيعيّة.

كلّ ذلك أدّى إلى التوتّر السياسي بين روسيا والغرب، والذي لا شكّ أنّه سينعكس سباقًا في استثمار موارد القطب، إنّها حرب باردة من نوع جديد، فهي حرب اقتصادية بامتياز، والهدف اليوم لم يعد السباق على التسلّح كما كانت الحال في القرن الماضي، بل أصبح النصر لمن يصل أوّلًا إلى مخزونات الأرض الطبيعيّة.

أبعد من الموارد الأوّلية، تسعى موسكو إلى تأكيد سيطرة عسكرية لها صدى سياسي، تُعدّ أحد أوجه الحرب الباردة الجديدة، وضمانةً للأمن القومي. وإنّ لمسرح العمليات الحربية في منطقة القطب الشماليّ أهميّة جغرافية، وعسكريّة استراتيجيّة، إذ تؤدّي قوات وسفن الأسطول الشماليّ والهادىء، وقوات الدفاع الجوي دورًا رئيسًا في ضمان الأمن العسكري لروسيا الاتحادية.

لعلّ هذا النشاط الروسي في الشمال، يأتي ردًّا على زحف نفوذ الحلف الأطلسي في المنطقة. ففي آذار ٢٠١٥، أعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو أنّ روسيا تواجه تهديدًا متزايدًا من حلف شمال الأطلسي، وأنّ الحكومة الروسية سوف تستثمر ٢٠ تريليون روبل لإعادة فتح قواعدها وتحديثها بحلول العام ٢٠٢٠.[٢٣]

٢٣- مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجيّة، مرجع سابق.

نوايا روسيا واضحة، فهي تطالب بالجرف القاري الذي تعتبره جزء من أراضيها، بعد الأزمة الأوكرانية، لم تتراجع روسيا أو تنكفئ في محاولة فرض سيطرتها على مناطقها في القطب. فما هي السياسة الغربية ومن ضمنها الناتو، وكيف ستقوم روسيا بمواجهتها والردّ عليها؟

قد يعوّل الغربيون على التراجع الاقتصادي الروسي لإضعاف موقف روسيا في التفاوض على المحيط المتجمّد الشماليّ، أو ينتظرون حلّ مشكلة أوكرانيا قبل الشروع في أيّ خطوة أو ردّ فعل بما يتعلّق بمنطقة المحيط المتجمّد الشماليّ.

في المقابل، تسعى روسيا عسكريًّا وفنيًّا على إحكام سيطرتها على نفط القطب الشماليّ، متّبعةً استراتيجيّة متكاملة من شقّين متعارضين:

فهي تقول إنّ سياستها تعتمد على حلّ النزاعات في المنطقة مع الدول القطبية وفق القانون الدولي والإتفاقيات الدوليّة ممثلةً باتفاقيّة ١٩٥٨ بخصوص الجرف القاري في القطب الشماليّ، والتي وقّع عليها كلٌ من روسيا، كندا، النروج، الولايات المتّحدة والدانمارك، وتطبيق اتفاقيّة ١٩٨٢ لقانون البحار. كما فعلت روسيا والنروج مثلًا لتسوية مشكلة تقسيم الجرف القاري في منطقة القطب الشماليّ، حين وقّع الرئيس الروسي ورئيس الوزراء النروجي في ١٥ أيلول من العام ٢٠١٠ في مدينة مورمانسك الروسية الحدودية، معاهدة ترسيم الحدود بين البلدين في بحر بارنتس والمحيط المتجمّد الشماليّ،[٢٤] وقاما بحلّ مشكلة الحدود البحرية المتنازع عليها على مدى ٤٠ سنة، حيث تبادل الجانبان أكثر من مرّة مذكّرات الاحتجاج بسبب محاولاتهما القيام بالنشاط الإقتصادي في المنطقة المتنازع عليها لبحر بارنس.

٢٤- Thomas Nilson،Norway and Russia sign maritime delimitation agreement، ٢٠١٠/٩/١٥،متوافر على الموقع:http://barentsobserver.com/en/sections/spotlights/norway-and-russia-sign-maritime-delimitation-agreement، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

بينما ينافي الشقّ الآخر ذلك، فطموحات روسيا في القطب الشماليّ تعود للقرن التاسع عشر. والآن في القرن الحادي والعشرين، تقوم بتعزيز هذه الطموحات عبر التهديدات العسكريّة وتدعيم التواجد العسكري في مناطق ترى أنّها ملكٌ لها في القطب الشماليّ. ومن جهتها، أعلنت وزارة الدفاع الروسية أنّ روسيا "لا تقوم بعسكرة القطب الشماليّ"، بل تستعدّ للردّ على "مجموعة واسعة من التهديدات المحتملة، تستدعي ضرورة تواجدنا العسكري الدائم"، مشيرةً إلى تزايد دور القطب الشماليّ في التنمية الاقتصادية وتوفير الأمن لروسيا في الآونة الأخيرة بشكلٍ ملموس.

تُعَدّ معظم الدول المطلّة على القطب الشماليّ جزءًا من التحالف الغربي بشكل واسع، ولا يتوقّع أن تتمكّن روسيا من فرض هيمنتها منفردة على تلك المنطقة، أضف إلى ذلك أنّ محاولات الصين التواجد في الشمال لا تقابلها موسكو بالترحاب، نظرًا لتوجّسها من التمدّد الاقتصادي الصيني في منطقة سيكون من الأفضل أن تبقى محصورة بين الغرب والروس، وهو قلقٌ تشاركه إيّاها اليابان، وهي جزءٌ من مجلس القطب الشماليّ، وتشترك مع روسيا في الكثير من المصالح في ما يخصّ الاستراتيجيّة في آسيا بشكل عام، خصوصًا أنّها تمتلك تكنولوجيا متطورة ستعوّض النقص الذي تعانيه روسيا في تطوير سفن قادرة على الحركة في القطب الشماليّ.

ولا يُستبعد أن تصبح منطقة المحيط المتجمّد الشماليّ حلبةً مستقبليةً لتصادمٍ حادٍّ بين مصالح استراتيجيّة لدولٍ عدة، على رأسها روسيا والولايات المتحدة، وهذا ما دفع بعض المراقبين الروس والغربيين إلى عدم استبعاد تطوّر الخلاف حول ثروات القطب المتجمّد الشماليّ إلى صراعٍ مسلّح "غير نووي"، استنادًا إلى تحذيرات روسيا المتكررة للدول الأخرى

المطلّة على القطب الشماليّ من مغبّة منعها من الوصول إلى مكامن الثروات الطبيعيّة، واستنادًا إلى نشاط الولايات المتحدة الأميركيّة وحلفائها في مواجهة المصالح الروسية في تلك المنطقة.

إلّا أنّه من المستبعد اندلاع حربٍ على المدى القريب، وهذا لأسباب عدّة، أهمّها أنّ الأمر محكوم بقوانين دوليّة وأطر قانونيّة من شأنها الإسهام في الوصول إلى تسوية سلميّة ومُرضية للأطراف كافةً، لذا فإنّ خروج طرفٍ ما على اتّباع هذه الأطر والالتزام بها يمكن مواجهته عن طريق اللجوء إلى التحكيم الدولي. من هنا، وجب علينا الاطلاع على استراتيجيّة الولايات المتحدة الأميركيّة في هذا الصراع ومدى جهوزيّتها، لأنّه مهما عظمت جميع الدول، فليس بالإمكان مواجهة الروس من دون هذه القوّة العظمى.

ماذا ستفعل واشنطن خلال المرحلة المقبلة؟ لا شكّ بأنّ الترقّب هو سيّد الموقف حول مصير إحدى آخر المناطق الغنية غير المستغلّة، والتي تمثّل في الوقت نفسه فتيلًا محتملًا. ولكن رغم كلّ تعقيدات السياسة الدولية، يمكن تأكيد مسألتين:

– الأولى هي أنّ للروس مصالح وقدرات أكبر في القطب.

– أمّا المسألة الثانية، فهي أنّ الاهتمامات البيئية في هذه المنطقة هي آخر الأولويّات، وذلك على الرغم من أنّها تعدّ مفتاح تنظيم المناخ العالمي.

أخيرًا، صحيح أنّ شعورًا بتضارب المصالح بدأ بالظهور العلني في تلك "المناطق العذراء" في العالم، إلاّ أن منطقة القطب الشماليّ بعيدة، حتى الآن، من أن تكون مسرح أزمةٍ دوليةٍ وشيكةٍ. وتؤدي بعض السيناريوهات إلى القلق، خصوصًا في عصر البوتينية السياسية التي تسعى إلى إستعادة "قوة روسيا ومجدها" قبل أيّ شيءٍ آخر.

القسم الثالث: استراتيجيّة الولايات المتّحدة الأميركيّة

١- القطب الشماليّ بالنسبة للولايات المتّحدة

تعود أهميّة القطب الشماليّ لأميركا منذ أن أصبحت دولة قطبيّة بعد شرائها ألاسكا من روسيا في العام ١٨٦٧. وفي العام ١٩٩١، التحقت أميركا بالدول القطبيّة السبع حيث تمّ وضع استراتيجيّة حماية البيئة في القطب الشماليّ بين هذه الدول بمبادرةٍ من فنلندا، وبعد سبع سنوات، قدّمت كندا مبادرة لبحث فرص التنمية في القطب الشماليّ، مع العلم أن هذه الدول كانت قد وقّعت على إعلان "أوتاوا".[٢٥]

على الرّغم من أهميّة القطب الشماليّ، فقد تجاهلت الولايات المتحدة هذه المنطقة لسنوات طويلة، وهي الآن بحاجة إلى بناء استراتيجيّة متكاملة، دبلوماسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا، وإعادة رسم الخرائط لتحديد الأماكن التابعة للأراضي الأميركيّة في القطب الشماليّ بدقّة، لتتمكّن من استخدام الموارد الكامنة في تلك المناطق. من المؤكّد أنّ الولايات المتّحدة قد وضعت استراتيجيّة شاملة تَهدف إلى توجيه ردود عسكريّة في منطقة القطب الشماليّ. الرؤية الأميركيّة تأتي على ضوء المخاوف الناجمة عن التغيير المناخي، وهي ترمي إلى تحقيق التوازن بين الأمن البشري والأمن البيئي في المنطقة. كما تصوّر الاستراتيجيّة الأميركيّة الجديدة القطب الشماليّ على أنّه نقطة انعطاف، سواءَ من حيثُ تقلّص الغطاء الجليدي أو زيادة النشاط البشري.

لم توقّع الولايات المتّحدة على اتفاقيّة قانون البحار، لذلك "يحقّ لبقية الدول عدم أخذ رأي واشنطن بالاعتبار بشأن ترسيم الحدود. لأنّ الدول الموقّعة على قانون البحار، يحقّ لها فقط التصويت، والولايات المتّحدة

٢٥- الحاج أحمد، السيطرة على النفط ستشعل حربًا باردة في القطب الشماليّ، ٢٠١٥/٣/٢٣، متوافر على الموقع:www.sawtakonline.com، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

ليست من ضمن هذه الدول. مع العلم أنّ الخارجيّة الأميركيّة كانت قد طلبت عدّة مرّات من أعضاء مجلس الشيوخ التوقيع على الإتفاقيّة. موقف واشنطن هذا يمكن أن يعطي ميّزات تنافسيّة معيّنة، وفي حال أهملت الولايات المتّحدة القانون الدولي، وبدأت عمليات الاستكشاف والتنقيب في الجرف القاريّ الذي لا يعود لها بمساعدة الأسطول البحري الحربي، فإنّ هذا لن يرضي حلفاءها أوّلًا لأن لديهم مصالحهم في القطب الشماليّ. وعليه يمكن طرح السؤال الآتي: كيف تفكّر الولايات المتّحدة الأميركيّة في التعامل مع مستقبل منطقة القطب الشماليّ؟

أ- الأهميّة الاقتصاديّة بالنسبة للولايات المتّحدة

مع توقّع ارتفاع الطلب الأميركي على الغاز الطبيعي السائل كمصدر رئيس لتوليد الكهرباء، لابدّ أن تعتمد الولايات المتّحدة على توسيع نطاق تطوير منحدَر شمال ألاسكا، وهو المنطقة الممتدّة من الحدود الشرقيّة مع كندا إلى بحر "تشوكشيChukcha" الخارجي وبحر "بيوفورت Beaufort" ومنطقة (Arctic National Wildlife Refuge) "ANWR" وهي منطقة محميّة بيئيًّا في ألاسكا ومنطقة الوسط في القطب الشماليّ بين أنهار "كولفيل Colville وكانينغ Canoeing"، لما لها من أهميّة اقتصاديّة. (خريطة رقم٢)

تبين الإحصائيّات إلى أنّه بين الأعوام ١٩٧٧ و٢٠٠٤، أَنتجت شركة "برودهوي باي Prudhoe Bay" النفطية أكثر من ١٥ مليار برميل نفط من مناطق قريبة من منحدر شمال ألاسكا، لكنّ معدّل الإنتاج في انخفاض هائل[٢٦]. وفق تقرير لوزارة الطاقة الأميركيّة، فإنّ هذه المنطقة قد تحتوي على ٣٦ مليار برميل نفط، و٣,٨ تريليونات سنتمتر مكعب من الغاز الطبيعي. وفي العام ١٩٨٨ قدّرت "برودهوي باي"، أنّ هناك أكثر من ٢٥٪ من

٢٦- سيمون سمعان، مرجع سبق ذكره.

المخزون النفطي الأميركي الخام يوجد في مناطق بمنحدر شمال ألاسكا.[٢٧] كما يذكر تقرير وزارة الطاقة الأميركيّة أنّ بحر "تشوكشي وبحر بيوفورت" يحتويان على حوالى ١٤ مليار برميل من النفط و٢ تريليون سنتمتر مكعّب من الغاز. إذا ما قدّر استخدام هذه المناطق، إضافةً لمنطقة "ANWR" التي يقدّر الاحتياطي فيها بنحو ١٠ مليارات برميل، فإنّه باستطاعت الولايات المتّحدة أن تنتج مليون برميل يوميًّا يمكن نقلها عبر خط أنابيب ألاسكا الذي تبلغ سعته التخزينية المعدّل ذاته (مليون برميل يوميًّا)، وهذا الإنتاج اليومي سيوفّر نحو ١٢٣ مليار دولار صادرات بترولية يوميًّا، ويخلق ما مجموعه ٧,٧ مليارات دولار في أنشطة إقتصاديّة جديدة، ويوفّر نحو ١٢٨ ألف فرصة عمل.[٢٨]

ب- ملامح الصراع.

بدأت ملامح الصراع تَظهر من ردّ فعل وزارة الخارجيّة الأميركيّة، إذ اعتبرت الولايات المتّحدة رفع العلم الروسي في قاع المحيط الشماليّ العام ٢٠٠٧ –كما سبق وذكرنا– بمثابة إعلان الحرب على القطب الشماليّ، وأنّها تعتزم الردّ على تحدّي موسكو بعد أن يصادق برلمانها على المعاهدة ذات الصلة.

طبعًا، فإنّ الخطوة التي قامت بها روسيا في القطب الشماليّ لن تمرّ على سلام وإشادة، خصوصًا من الخصم التقليدي للدبّ الروسي أي الولايات المتّحدة الأميركيّة، حيث ندّدت الأخيرة بهذه الخطوة إذ أعلن المتحدث باسم الخارجيّة الأميركيّة "توم كيسي" أنّه لا يمكن لروسيا أن تدّعي السيادة على هذه المنطقة الغنيّة بالموارد الطبيعيّة، مؤكّدًا في الوقت نفسه أنّ بلاده

٢٧- Alaska runs on oil، Resource Development Council for Alaska Inc، ٢٠١٥/١١/٢٨، متوافر على الموقع:http://www.akrdc.org/oil-and-gas، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١٢/١٨.

٢٨- Stephan Blank، Russia in the Arctic، Strategic studies intitutes، الولايات المتحدة، ص ٦.

لا تستطيع الآن التصدّي لخطط روسيا وإثبات حقّها في ما تدّعي روسيا ملكيّته.[٢٩]

قامت وزارة الدفاع الأميركيّة بإرسال السفينة "هيلي" الكاسحة للجليد إلى المنطقة لرسم خرائط لقاع المحيط، غير أنّ العلماء المشرفين على الرحلة رفضوا منحها أيّ بعد سياسي، وشدّدوا على أنّ الهدف الرئيسي يبقى علميًا إلى أبعد مستوى، وقد أقلّت على متنها ٢٠ عالمًا، كما نظّم معهد "وودز هول" الأميركي بعثة أميركيّة للعمل في المنطقة.

٢- الاستراتيجيّة المتّبعة من قبل الولايات المتّحدة

بدأت الولايات المتّحدة تستثمر جديًّا في برامج ووكالات متعدّدة منذ العام ٢٠٠١، حيث طالب الرئيس السابق جورج بوش الابن الكونغرس بتخصيص مبالغ تقدّر بما يزيد عن ٣٥ مليار دولار لدراسة التأثيرات المناخيّة وتطوير البحوث العلميّة والتكنولوجيّة من أجل دراسة كيفيّة استغلال موارد القطب الشماليّ، فكيف تسلسلت الاهتمامات؟[٣٠]

منذ العام ٢٠١٣، بدأت إدارة الرئيس "باراك أوباما" تولي أهميّة للسياسة الخارجيّة الخاصة بمنطقة القطب الشماليّ، بعد أن كشفت وثيقة استراتيجيّة المنطقة وأهميّة التركيز للحفاظ على الممرّات البحريّة وحماية البيئة، وعلى الرّغم من أنّ الولايات المتّحدة والاتحاد السوفياتي السابق تنافسا في منطقة القطب الشماليّ إبّان الحرب الباردة، إلّا أنّ واشنطن تبدو غير متحمسة لعسكرة منطقة القطب الشماليّ خلافًا لرغبة بلدان الشمال الأوروبي التي تريد حقًا أن تؤدي الولايات المتّحدة دورًا قياديًا أكبر في القطب الشماليّ لتحقيق التوازن مع روسيا.

٢٩- RussianflagonArctic، ٢٠١٥/١١/٢٨، متوافر على الموقع:http://sputniknews.com/world/٢٠٠٧٠٨٠٣/٧٠٢٧١٧٣٩.html ، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١٢/١٤.

٣٠- سيمون سمعان، مرجع سبق ذكره.

كان الرئيس أوباما قد كشف النقاب، في أيّار ٢٠١٤، عن استراتيجيّة بلاده الجديدة بشأن المنطقة القطبيّة الشماليّة، وهي الاستراتيجيّة التي تقع في ١٣ صفحة تؤكّد أنّ الولايات المتّحدة ستعمل مع الدول الأخرى بهدف حماية البيئة الهشّة في المنطقة وإبقائها خالية من الصراعات، وفي الوقت نفسه لن تترك الباب مفتوحًا على مصراعيه للدول الأخرى، مثل روسيا والصين وكندا والنروج، لرسم خطط بدء عمليات التنقيب عن الغاز والنفط أو لإجراء تدريبات عسكريّة بالمنطقة.[٣١]

تأكيدًا لسيادة الولايات المتّحدة في منطقة القطب الشماليّ، حذّر وزير الدفاع الأميركي السابق "تشاك هاجل Chuck Hagel" كلًّا من روسيا والصين والدول الأخرى التى لها تطالب بحقوق في المنطقة، من توسيع استخدامهم للمياه الجليدية لأجل التدريبات العسكريّة أو العبور من خلالها، مشيرًا إلى ضرورة تجنّب الصراع على النفوذ في القطب الشماليّ. هاجل الذي كان يتحدث في منتدى أمني قال "إنّ استكشاف الطاقة في منطقة القطب الشماليّ غير مستغل إلى حدٍّ كبير ويمكن أن يزيد من حدّة التوتر الدولي، ويجب أن نعملَ معًا لتجنّب الصراع، وسَنظلّ على استعداد لكشف التهديدات وردعها ومنعها، وسنواصل ممارسة السيادة الأميركيّة في آلاسكا وما حولها"[٣٢].

خلال العام ٢٠١٥، كُشف النقاب عن الاستراتيجيّة الجديدة مع بدء الولايات المتّحدة استعداداتها لتولّي الرئاسة الدورية لمنتدى الإدارة الإقليميّة الرئيسة المعروف باسم مجلس القطب الشماليّ. وبدأت ممارستها لهذا المنصب، وقد

٣١- كريم مجدي، القطب الشماليّ أم شرق أوسط ثانٍ، ٢٠١٥/١/١٤، متوافر على الموقع:www.alaraby.co.uk الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١٢/١١.

٣٢- إميل أمين، مرجع سابق.

وفّر هذا الموقع لواشنطن دورًا قياديًا جديدًا فريدًا من نوعه بشأن قضايا القطب الشماليّ.

هذا وتنشر الولايات المتّحدة حاليًا حوالى ٢٧ ألفًا من العسكريين المتمركزين في ألاسكا، ويقول قائد قوات خفر السواحل الأميرال "بول زاكنفت Paul Zukunft" "نحن من زمنٍ بعيد منزعجون لأنّ البلاد لا تملك الموارد الكافية لدعم وجودنا في القطب الشماليّ"، مضيفًا أنّ أسطول خفر السواحل يضمّ كاسحتي جليد تخطّاهما الزمن، وأنّ عدم وجود موانئ عميقة يَحولُ دون تطوّر حركة الملاحة. يقول زاكنفت "الولايات المتّحدة لم تشترك في هذه اللعبة نهائيًا". المنطقة تحتاج إلى استثمارات، ولكنّ اختلاف وجهات النظر السياسيّة والبيروقراطيّة تعيق ذلك.[٣٣]

مع ذلك يعتقد البعض في الولايات المتّحدة أنّ بلادهم تخسر في هذه المواجهة أمام منافسيها وخصوصًا أمام روسيا، وعلى أوباما الذي هو أوّل رئيس أميركيّ يزور الدائرة القطبيّة الشماليّة، أن يعلن موقف الولايات المتّحدة من هذه المسألة. فما هي المشاكل والصعوبات وما هي أسبابها؟

أ-الصعوبات أمام تطوير استراتيجيّة الولايات المتّحدة.

على الرغم من تولّي الولايات المتّحدة رئاسة مجلس القطب الشماليّ، وفي حين أنّ هناك العديد من العناصر المهمة فى قيادة القطب الشماليّ واردة في الاستراتيجيّة الوطنية الأميركيّة، فإنّ المقياس النهائي لقدرتها على القيادة لا يأتي من السياسة وحدها، بل أيضًا من استعدادها لتَخصيص الموارد اللازمة لتعزيز المصالح الوطنية وتشكيل قواعد عالميّة مؤاتية للسلام والاستقرار والمسؤوليّة.

٣٣- Jacqueline Klimas،Interview: Adm. Paul Zukunft, Coast Guard commandant، ٢٠١٥/٩/٢٦، متوافر على الموقع:/http://www.washingtonexaminer.com/interview-adm.-paul-zukunft-coast-guard-commandant article/2572774، الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١٢/١٥.

لم تبرهن الولايات المتّحدة بعد على وجود التزام قويّ لقيادة القطب الشماليّ في القرن الحادي والعشرين، ولعلّ أوضح مظاهرَ ذلك ضعف أسطول سفن كاسحات الجليد الأميركيّة، الذي يتكوّن حاليًّا من كاسحة جليد ثقيلة واحدة، مع عدم وجود استراتيجيّة وطنيّة ذات صدقيّة وطنية واضحة للمحافظة على هذه القدرة، ناهيك عن توسيعها.

يركّز إطار مجلس القطب الشماليّ تحديدًا على المصالح غير العسكريّة المشتركة، على الرّغم من ذلك فمن الخطأ افتراض أن تكون المنطقة فى مأمن من الحوادث في المستقبل، سواء من الزيادات في السياحة والشحن وتطوير الطاقة، أو حتّى صراع جيوسياسي محدود. لذلك على الولايات المتّحدة الحفاظ على قدرة كاسحات الجليد الثقيلة لضمان سهولة الوصول إلى المنطقة على مدار السنة، وتكون جاهزة للردّ فى حال تهديد السلامة أو الأمن أو التهديد البيئي.

يُعتبر البحث عن الموارد الهائلة غير المستغلّة فى القطب الشماليّ وفتح الممرّات البحرية مستوى جديد في النشاط البشري، لذلك تحتاج السفن البحرية الأميركيّة إلى كاسحات الجليد لتنفيذ هذه المهمّة. وتعتبر سفينة النجم القطبي التابعة لخفر السواحل والتي دخلت الخدمة منذ ٤٠ عامًا، كاسحة الجليد الأميركيّة الوحيدة التي يتيح لها حجمها وقوتها الوصول إلى المناطق القطبية، وكلفة إعادة تأهيل هذه السفينة، تبلغ حوالى ٦٠ مليون دولار، ومن المتوقع أن تستمر في عملها من سبع إلى عشر سنوات فقط.[٣٤]

إذا كان ضمان القدرة على الوصول إلى أيّ منطقة من مناطق العالم مبدأ أساسي في سياسة الأمن القومي الأميركي لعقود، فإنّ القطب الشماليّ

٣٤- جيسون تاما وهيزر جرينلى وديفيد باراتا، هل تستطيع أميركا قيادة القطب الشماليّ؟، ٢٠١٥/٥/٢٩، متوافر على الموقع:www.shorouknews.com/columns/view.aspx،الإنترنت، الدخول: ٢٠١٥/١١/٢٨.

يدخل في هذا الإطار. وتختلف الولايات المتّحدة عن دول القطب الشماليّ الأخرى، مثل روسيا، التي أظهرت التزامًا دائمًا بضمان الوصول إلى القطب الشماليّ بكاسحات الجليد الثقيلة. ربّما تُعتبر هذه الاستثمارات متناسبة مع حجم الساحل القطبي الشماليّ لروسيا وارتباطها بالمنطقة الاقتصاديّة الخاصة بها، وكلاهما أكبرُ بكثير من مثيله في الولايات المتّحدة أو أيّ دولة أخرى في القطب الشماليّ. تشير معظم التقديرات إلى أنّ بناء سفينة واحدة فقط في حوض أميركي لبناء السفن يحتاج إلى برنامج مدّته عشر سنوات بتكلفة مليار دولار تحت سيطرة كاملة من الحكومة الاتحاديّة. يوضح هذا أهميّة الحصول على سفينة جديدة بعد الفترة الباقية من العمر الإفتراضي للنجم الجنوبي أمرًا ملحًّا.

ينبغي باختصار أن يكون للولايات المتّحدة القدرة على الوصول إلى المناطق القطبيّة ودخولها بشروطها الخاصة. لا يوجد كيان أفضل من حرس السواحل الأميركي لتحقيق هذه الضرورة. يبقى خفر السواحل أيضًا واحدًا ضمن عدد قليل من الجهات الحكومية القادرة على التعاون مع الروس، استنادًا إلى سنوات من التعاون البحري مع حرس الحدود. وفي حين تبدو الحاجة للاستثمار في كاسحات الجليد واضحة، يفتقر خفر السواحل إلى الموارد اللازمة للإعتماد على ذاته فى هذه المهمة. السؤال هنا كيف تأتي الكاسحة الجديدة فى مواجهة أولويّات أخرى، أكثر إلحاحًا فى ظل القيود الحالية في الميزانية. لعلّ الحل يكمن في التمويل الأنسب وهو الذي يعكس مدى اتساع المصالح الحكوميّة الأصليّة في القطب الشماليّ، بما فى ذلك السلامة، الأمن، حماية البيئة، تسهيل التجارة البحرية والتنمية الاقتصاديّة، الدفاع الوطني والبحث العلمي. بعبارة أخرى: التمويل من أجهزة الحكومة لتقديم ثروة وطنية متعدّدة المهامات.

ب- الوضع الأميركي الحالي

يبدو أنّ الولايات المتحدة الأميركية ستسارع قريبًا إلى لملمة أوضاعها المتناثرة في أكثر من منطقة، وذلك لحفظ مكان ما في تركيبة صنع القرار العالمي متعدّد الأقطاب والأطراف. أمّا في ما خصّ تعاظم قوّة موسكو في القطب الشماليّ، يعتقد البعض في الولايات المتحدة أنّ بلادهم في هذه الحرب تخسر أمام منافسيها وخصوصًا أمام روسيا. على أوباما، الرئيس الأميركي الأوّل الذي يزور الدائرة القطبية الشمالية، أن يعلن موقف الولايات المتحدة من هذه المسألة.

إضافةً إلى ذلك، تُعدّ العلاقات بين كندا والولايات المتحدة هي الأخرى نقطة خلاف رئيسية بين دول المجلس، إذ هناك العديد من المسائل العالقة في ما خصّ الحدود بين البلدين، أبرزها الممرّ الشماليّ الذي يمرّ عبرَ جزر كندا وإلى الشمال، والذي تعتبره كندا جزءًا من مياهها الإقليمية، في حين تَعتبرُه واشنطن مياهًا دولية، وهي أزمة معرّضة للتفاقم بالنظر لكون الولايات المتحدة واحدة من الدول غير الموقّعة على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار UNCLOS.

عدا ذلك، يبدو أنّ الولايات المتحدة لن تواجه متاعب كثيرة في خلق منظومة متوازنة بينها وبين الروس، وقد تكون العقبة الوحيدة في تعزيز مكاسبها، إلى جانب الخلاف مع كندا، خلافات سياسية قد تنشأ مع دول إسكندينافيا. فالسويد، الدولة الأبرز في شمال أوروبا، ليست عضوًا بالناتو، وفنلندا كذلك، وهو ما قد يحدّ من قدرة واشنطن على فرض سياساتها الأقل انفتاحًا على الروس بشكل عام من نظيرتها الأوروبية، خصوصًا في ما يتعلّق بالتحرّكات العسكرية، والتي ستحتاجها الولايات المتحدة عاجلًا أم آجلًا لتوجيه رسالة لموسكو بأنّها موجودة في الشمال.

ما تؤكّده سياسة أوباما هو انتقال الأولويّة الأميركية من أوروبا والشرق الأوسط إلى حوض الباسيفيك وليس إلى القطب الشماليّ، على خلفية تراجع

المخاطر التي تهدّد المصالح الأميركية في كلتا الدائرتين، أو حتى تراجع أهميّتهما، كما أنّ الصين باتت تمثل التهديد الأكبر لموقع أميركا ودورها في الساحة الدولية. أوروبا، بالطبع، كانت الأولويّة الأميركية طوال سنوات الحرب الباردة الطويلة، لكنّ الاستراتيجيّة الأميركية مرّت بمرحلة انتقالية، غير واضحة المعالم، خلال التسعينيات. ومنذ عام ٢٠٠١، جعلت إدارة بوش الإبن الشرق الأوسط، أولويّتها الاستراتيجيّة، من دون أن تهمل تعزيز وضع حلف شمال الأطلسيّ، وتوسيع نطاق عضويّته، في وسط وشرق أوروبا.

ثمّة عددٍ من الأسباب وقفت خلف صعود حوض الباسيفيك إلى مقدّمة أولويّات الولايات المتحدة الاستراتيجيّة في العالم، وتراجع موقع الشرق الأوسط وأوروبا، وعدم التركيز على مواجهة روسيا في القطب الشماليّ:

– الولايات المتحدة، والكتلة الأطلسية ككل، تعاني أزمة مالية–اقتصادية حادّة وطويلة منذ العام ٢٠٠٨، ممّا يتطلّب إعادة النظر في أولويّات الإنفاق في مختلف أنحاء العالم.

– الولايات المتحدة تحرز تقدّمًا حثيثًا في جهود الإكتفاء الذاتي من مصادر الطاقة، التي أعطت للشرق الأوسط أهميّة مضاعفة خلال العقود القليلة الماضية.

– الصعود الإقتصادي للصين، على الرّغم من التباطؤ النسبي بعد العام ٢٠٠٨، سيتيح لها في النهاية التحوّل إلى قوة دفاعية منافسة، وليس إقتصادية – مالية وحسب.

– ليس ثمة مخاطر آنيّة على مصالح الولايات المتحدة تمثلها التحوّلات في القطب الشماليّ، كما أنّ روسيا والتي تعتبرها دولة إقليمية وليست قطبًا منافسًا، أضعف من أن تشكّل تهديدًا كبيرًا. ويمكن، من خلال شبكة تحالفات إقليمية، تحقيق الأهداف السياسية الأميركية الملحّة، من دون أن تتحمل الولايات المتحدة أعباء كبيرة.

الخاتمة

من الملاحظ أنّ الإتّجاه المتشائم حول مستقبل الطاقة البترولية في الدول الكبرى الفاعلة بدأ يسود، إذ ينتشر فيها شعور بالقلق وتميل كلّ دولة منها إلى نزعة السيطرة على توقعات حول وجود الطاقة البترولية ومنها القطب الشماليّ، متأثرةً بمخاوف شحّ هذه الطاقة في المستقبل، ما يشير إلى بداية مخاوف ربما تؤدي إلى صراعات عسكرية على مستوى الدول الكبرى، ليس الهدف هو مصادر الطاقة فحسب، بل السيطرة على طرق التجارة العالميّة المستجدّة.

إنّ أكثر ما يشغل بال الدول الخمس الأبرز المحاذية للقطب الشماليّ، هو هذا التبدّل المناخي الذي سيؤدّي إلى تغييرات عديدة في مفاهيم سياسيّة وعسكريّة وتجاريّة كوّنتها على مدى سنوات. وتتجنّب الدول الخمس عقد أيّ إتفاق ملزم في ما بينها بما يخصّ القطب الشماليّ، فهي لا تريد حصر نفسها باتّفاق مماثل قد يؤدّي إلى تعقيدات في ما يتعلق بتقسيم الجرف القاري، بل يحكم العلاقة بين هذه الدول "مجلس القطب الشماليّ". الهدف منه تنظيم أيّ مشكلة قد تطرأ على القارة المتجمّدة الشماليّة، ولكنّ قراراته غير ملزمة للدول الموجودة فيه.

يبدو أنّ المنطقة ستشهد بالفعل بدء المغامرات الاقتصادية، والتي ستنصبّ في الفترة المقبلة على استخراج ثرواتها لتعزيز الوضع المالي وأمن الطاقة للدول المطلّة على البحر القطبي، إضافةً إلى خطوات أوّلية نحو وضع بنى تحتية أساسية، مثل خط اتصالات وبناء موانئ للتنقّل في الصيف حيث يقلّ الجليد وتسهل الحركة، وهي تحركات ستحتاجها كل دول المنطقة وستتجه من أجلها لترسيخ التعاون في ما بينها في إطار مجلس القطب الشماليّ، من دون أن تغفل التنافس الاستراتيجيّ الطبيعي، ولا سيّما بين موسكو وواشنطن والذي أصبح أحد مصادر اندلا ع حرب عالمية باردة جديدة بدأت

معالمها تظهر بوضوح. الدول الكبرى لا تعترف بالمهادنة على حساب المصالح خصوصًا إذا كانت هذه المصالح إقتصادية.

تؤدّي التبدلات الحاصلة في القطب الشماليّ إلى تغييرات جيوستراتيجيّة جذرية في العالم، عبر تقديم ممرّ بحري جديد لم يكن قائمًا، وبالتالي سيؤثّر على أهمّ الممرّات المائية العالمية وهي قناة السويس، بحيث يتلاشى الدور الحصري لهذه القناة التي كانت منذ إنشائها سببًا لصراعات وحروب ومكانًا للتنافس على النفوذ والسيطرة للدول الكبرى. لقد تغيّرت شبكة العلاقات الدولية من خلال قناة السويس، ولابدّ أن تتغيّر مرة أخرى من خلال الممرّات البحرية القطبية التى يشقّها الارتفاع المطّرد في حرارة الأرض.

ومن الجدير بالذكر أنّ الدول الكبرى لا تعرف شيئًا اسمه التعايش السلمي، ولا تعترف بشيء اسمه المبادىء السياسية، إلّا إذا تحقّقت أطماعها الاقتصاديّة. الدول الكبرى تحاربت في ما بينها، وكانت رحى معظم حروبها في منطقتنا لما تتمتّع به من ثروات طبيعية وأهميّة استراتيجيّة. جاء الآن، وربّما بنعمة إلهية، أن تتكوّن منطقة أخرى من عالمنا تتقاسم الخصائص والميّزات نفسها، أليس من المفروض علينا، نحن سكان هذا الشرق، أن نستفيد من انشغال الدول الكبرى في تنافس ربما يكون عسكريًا لنبني اقتصاداتنا ونثقل مجتمعاتنا؟

إنّ حروبًا عالميّة تدقّ طبولها، نسمع صداها وليست في منطقة الشرق الأوسط. منطقتنا الآن مهمة ولكنّها لم تعد الأهم في استراتيجيّات الدول العظمى. ستصبح المنطقة حديقة خلفية للصراع العالمي وليست ساحته الرئيسة، وستتراجع أهميّة الموقع والطاقة وتصبح الأولوية لمكافحة الإرهاب، المصالح تحكم علاقات الدول وليس العواطف، وستتغيّر الخرائط والتحالفات، وهنا يكمن السرّ، فأين نحن من هذه التغييرات الجذرية المقبلة؟

تداعيات الهجرة غير الشّرعيّة على أوروبا وأبعادها

المقدّم الركن الطيّار رولان مرعب*

المقدّمة

بلغ عدد المهاجرين غير الشّرعيين[١] إلى دول الاتّحاد الأوروبّي خلال العام ٢٠١٥ حوالى ١,٨ مليون[٢] مهاجر. أمام هذه الأعداد الهائلة من المهاجرين غير الشّرعيين، انقسمت الآراء في دول الاتّحاد الأوروبّي ما بين أفكار الأحزاب اليساريّة الدّاعمة للهجرة والمتسلّحة بالمبادئ الإنسانيّة وقيم الحرّيّة والمساواة والحق في التّعبير والعيش الكريم، التي قام عليها الاتّحاد الأوروبي أساسًا، وباتّفاقيات حقوق الإنسان والطّفل واللّاجئ، وما بين أفكار الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة والحركات المناهضة للهجرة والّتي لا تَرى من المهاجرين الجانب

* ضابط في الجيش اللبناني

١- عرّفت المفوّضيّة الأوروبّيّة الهجرة غير الشّرعيّة على أنّها "كلّ دخول عن طريق البرّ أو البحر أو الجوّ إلى إقليم دولة عضو بطريقة غيرقانونيّة بواسطة وثائق مزوّرة أو بمساعدة شبكات الجريمة المنظّمة، أو من خلال الدّخول إلى الإتّحاد الأوروبّي بطريقة قانونيّة عبر الحصول على تأشيرة، ومن ثمّ البقاء بعد انقضاء الفترة المحدّدة من دون موافقة السّلطات، وأخيرًا طالب واللّجوء الّذين لا يحصلون على الموافقة على طلبهم لكنّهم يبقون داخل البلاد".

٢- Risk analysis for 2016, Frontex, 2016, p: 63.

الإنساني، بل تراهم على شكل تهديدات أمنيّة واقتصاديّة وديموغرافيّة، وقد عادت هذه الأحزاب مؤخّرًا إلى المشهد السياسي الأوروبّي بعد تفاقم أزمة المهاجرين.

وقد استفادت أوروبا على مرّ السّنين من الهجرة الشّرعيّة لمواجهة التّحدّيات الدّيموغرافيّة، إذ إنَّ لهذا النّوع من الهجرة فوائد وآثارًا إيجابيّة على الدّولة المستقبلة للمهاجرين. لكنّ الأوضاع اختلفت مع بروز الهجرة غير الشّرعيّة، فالأعداد الهائلة غير المسبوقة من طالبي اللّجوء[٣] وضعت علامات استفهام عديدة حول منافع هذا النّوع من الهجرة.

تمحورت أغلبيّة الدّراسات الّتي تناولت الآثار الاقتصاديّة للهجرة حول الهجرة الشّرعيّة الّتي غالبًا ما يشكّل طالبو اللجوء جزءًا يسيرًا منها. لكن، قليلة هي الدّراسات الّتي ركّزت على الآثار الاقتصاديّة النّاتجة عن زيادة مفاجئة وكبيرة في أعداد طالبي اللّجوء بسبب الهجرة غير الشرعية، وذلك لصعوبات عديدة أبرزها صعوبة تقدير أعداد المهاجرين. فتأثير هذا النّوع من الهجرة يختلف جزئيًّا عن تأثير الهجرة الشّرعيّة.

إنّ الآثار الدّيموغرافيّة للهجرة الشّرعيّة غالبًا ما تكون مدروسة بحيث لا تشكّل تهديدًا لهويّة البلد المستقبل. أمّا الهجرة غير الشّرعيّة فمن الصّعب التّحكّم بنتائجها على الصّعيد الدّيموغرافيّ. هذا ما دفع بالأحزاب اليمينيّة المتطرّفة المعادية لها غير الشّرعيّة إلى اعتبار أنَّ المهاجرين قنبلة موقوتة ستغيّر وجه أوروبا على المدى القريب.

٣- يمكن تصنيف المهاجرين إلى فئتين، وذلك تبعًا للأسباب الّتي دفعتهم إلى الهجرة، الأولى "طالب اللّجوء" (Asylum Seeker) والثّانية "المهاجر الاقتصادي" (Economic Migrant). إنّ هذا التّصنيف مهمّ جدًا بالنسبة لدول الاتّحاد الاوروبي وذلك بكون القوانين الّتي تطبّق على "طالب اللّجوء" تختلف عن تلك الّتي تطبّق على "المهاجر الاقتصادي"، فضلًا عن أنَّ لطالب اللّجوء حقوقًا تمنحه إيّاها "اتّفاقيّة جنيف الخاصّة بوضع اللّاجئين". عرّفت هذه الإتّفاقيّة طالب اللّجوء بأنّه "كلّ شخص يوجد، وبسبب خوف له ما يبرّره من التّعرض للاضطهاد بسبب عرقه، أو دينه، أو جنسيّته، أو انتمائه إلى فئة اجتماعيّة معيّنة، أو آرائه السياسيّة، خارج بلد جنسيّته ولا يستطيع، أو لا يرغب، بسبب ذلك الخوف أن يستظلّ بحماية ذلك البلد، أو كلّ شخص لا يملك جنسيّة ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة نتيجة مثل تلك الأحداث ولا يستطيع، أو لا يرغب، بسبب ذلك الخوف أن يعود إلى ذلك البلد. المهاجر الاقتصادي هو الذي يترك بلده بهدف تحسين مستوى معيشته أو بهدف التّحصيل العلمي ولا يوجد خطر يهدّد حياته.

وقد يضاف إلى الخطر الدّيموغرافيّ للهجرة غير الشّرعيّة، من وجهة نظر الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة، الخطر الأمنيّ المباشر على استقرار أوروبا، إذ إنَّ هذه الأحزاب تعتبر هذا النّوع من الهجرة الوسيلة الّتي يتسلّل بواسطتها الإرهابيّون إلى الدّاخل الأوروبّي والدّليل على ذلك تكاثر الأحداث المرتبطة بالإرهاب في أوروبا بخاصّةٍ في العامين ٢٠١٥ و٢٠١٦.

تستثمر الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة الذّريعة الدّيموغرافيّة والأمنيّة لكسب التّأييد الشّعبي، وهي تحقّق تقدّمًا مستمرًّا في أنواع شتّى من الانتخابات، وباتت قاب قوسين من الوصول إلى السّلطة، وأصبحت قادرة على الضّغط بفاعليّة باتّجاه إلغاء اتّفاقيّة "شينغن" الّتي تعتبرها سبب تنقّل الإرهابيّين بحريّة في الدّاخل الأوروبّي.

تهدف هذه الدّراسة إلى إلقاء الضوء على تداعيات الهجرة غير الشّرعيّة من حوض البحر المتوسّط وأبعادها وخصوصًا الأمنيّة والاقتصاديّة والدّيموغرافيّة والسّياسيّة، وإمكانيّة أن تؤدّي هذه الهجرة إلى تهديد الوحدة الأوروبيّة وإلغاء اتّفاقيّة "شينغن" وإعادة العمل بالمعابر الحدوديّة بين أعضاء الاتّحاد الأوروبّي.

القسم الأول: التّداعيات الاقتصاديّة والدّيموغرافيّة

أولًا: التّداعيات الاقتصاديّة

إنَّ لتدفّق الأعداد الكبيرة من المهاجرين بصورة غير شرعيّة تداعيات على المدى القصير على اقتصاد دول الاتّحاد الأوروبي، ناتجة عن أعباء استقبال هؤلاء أو ترحيلهم. لكن في المقابل، لهذه الهجرة آثار إيجابيّة على المدى الطّويل بخاصّةٍ أنَّها الحلّ لمشكلة الشّيخوخة الّتي تشكّل إحدى المشاكل الدّيموغرافيّة الّتي تعانيها أوروبا وتؤدّي إلى انخفاض هائل في اليد العاملة.

١- تداعيات فورة اللّاجئين غير الشّرعيّين

ترتّب الهجرة غير الشّرعيّة أعباء على الماليّة العامّة، إضافة إلى أنَّها تؤدّي إلى إدخال أعداد كبيرة من المهاجرين إلى أسواق العمل خلال فترة زمنيّة قصيرة، ما دفع بالاتّحاد الأوروبي إلى تخصيص اعتمادات ماليّة بهدف السّيطرة على تدفُّق المهاجرين.

أ- الأعباء على الماليّة العامّة

تضيف الهجرة غير الشّرعيّة على المدى القصير ضغوطات على اقتصاد بعض الدول الأوروبّيّة. فهي ترتّب أعباء على الماليّة العامّة نتيجة تكاليف استقبال، وإيواء أو ترحيل المهاجرين إنَّما هذه التّكاليف تُعتَبَر ضئيلة نسبة لحجم اقتصاد الاتّحاد الأوروبي واقتصاد الدُّوَل الّتي تستقبلهم. أمّا على صعيد سوق العمل، فتأثير الهجرة على الدُّوَل المستَقبِلة للمهاجرين محدود، باستثناء البعض منها الّذي يعاني أصلًا ارتفاعًا في معدّل البطالة.

تختلف الأرقام بحسب الدّراسات حول تكلفة تدفّق المهاجرين غير الشّرعيّين على الماليّة العامّة، إنمّا هذه الدّراسات تَتَّفق على أنَّ هذه التّكلفة هي ضئيلة نسبة لحجم اقتصاد الدول الّتي تستقبِلهم. تَشمَل الكلفة المصاريف الأوَّليّة لتأمين الاحتياجات الإنسانيّة لطالبي اللّجوء، والمصاريف اللّاحقة المترتّبة جرّاء دمجهم في سوق العمل أو إعادة المرفوضين منهم إلى بلادهم.

تتضمّن المصاريف الأوَّليّة تأمين المأكل، والمأوى، وكلفة المدارس، وتعلّم اللّغة، والمساعدات الماليّة الشّهريّة الّتي تبدأ من ١٠ يورو للشّخص الواحد الذي يسكن في مراكز الاستقبال وتصل إلى أكثر من ٣٠٠ يورو للّذين يتمّ إيواؤهم في منازل. تتراوح الكلفة الإجماليّة للمصاريف الأوّليّة

خلال السّنة الأولى ما بين ٨ و١٢ ألف يورو لكلّ طالب لجوء.[٤]

تنتج المصاريف اللّاحقة عن الكلفة اللّازمة لتبيان مهارات اللّاجئين للتّمكّن وبأسرع وقت من دمجهم في سوق العمل وتوجيههم إلى المجالات والمواقع الّتي تحتاج إليهم. يضاف إلى هذه المصاريف كلفة ترحيل طالبي اللّجوء المرفوضين، فمنذ العام ٢٠٠٠ وحتّى اليوم، أَنفق الاتّحاد الأوروبّي حوالى ١١,٨ مليار يورو على عمليّات التّرحيل، بمعدّل ٤٠٠٠ يورو لكلّ طالب لجوء مرفوض.[٥]

إنّ بعض الإحصاءات يظهر كلفة استقبال المهاجرين غير الشّرعيّين في بعض الدول الّتي تعدّ الأكثر استقبالًا للمهاجرين. إذ تتوقّع ألمانيا زيادة ٠,٥٪ على النّاتج المحلّي الإجمالي سنويًّا في العامين ٢٠١٦ و٢٠١٧، في حين أنَّ في النّمسا ارتفعت كلفة المهاجرين من ٠,١٪ من النّاتج المحلّي في العام ٢٠١٤ إلى ٠,١٥٪ في العام ٢٠١٥ ومن المتوقع أن ترتفع إلى ٠,٣٪ في العام ٢٠١٦. أمّا السّويد، فقد زادت من ميزانيّة الإنفاق على الهجرة في العام ٢٠١٦ لتصبح ٠,٩٪ من النّاتج المحلّي من أجل تحسين أنظمة دمج المهاجرين.[٦]

وفي هذه الحال، تكون الأعباء على الماليّة العامّة مرتفعة نسبيًّا على المدى القصير، لكنّها تنخفض في حال السّماح لطالبي اللّجوء بدخول سوق العمل، أو التّسريع في البتّ بطلباتهم وإعطائِهم صفة لاجئ ثمّ إدخالهم في سوق العمل، وبالتّالي البدء بدفع الضّرائب والمساهمة في الماليّة العامّة.

٤- Migration policy debate report, How will the refugee surge affect the European economy, Organization for economic co-operation and development, November 2015, p 2

٥- Deporting migrants since 2000, 18 June 2015, available from: http://news.yahoo.com/europe-spends-11-3-bn-euros-deporting-migrants-064015082.html, Internet, accessed 9 December 2015

٦- Migration policy debate report, op.cit. p 2

ب- التّأثير على سوق العمل

تختلف الفترة القانونيّة الّتي لا يُسمح خلالها لطالب لجوء لا يزال ينتظر الموافقة على طلبه، أي لم يحصل بعد على صفة لاجئ، بدخول سوق العمل من دولة إلى أخرى. يسمح لطالب اللّجوء في اليونان، والنّروج، والسّويد بدخول سوق العمل بمجرّد تقديم طلب اللجوء، أمّا في النّمسا وألمانيا فهذه الفترة محدّدة بثلاثة أشهر، ترتفع إلى ستّة أشهر في إيطاليا وإسبانيا، وإلى تسعة أشهر في فرنسا، أمّا أقصاها ففي بريطانيا وتشيكيا حيث تبلغ هذه الفترة سنة كاملة.[٧]

أجرت "منظّمة التّنمية والتّعاون الاقتصادي"[٨] دراسة بتاريخ تشرين الأوّل ٢٠١٥ حول تأثير فورة اللّاجئين غير الشّرعيّين على أسواق العمل في الاتّحاد الأوروبي[٩]، وقد استندت هذه الدّراسة إلى فرضيّتين:

اعتمدت الفرضيّة الأولى الحدّ الأدنى من طلبات اللّجوء وقدّرتها بـ ١,٢ مليون خلال العام ٢٠١٥، وذلك في المنطقة الاقتصاديّة الأوروبّيّة[١٠] إضافة إلى سويسرا، منهم ٧٣٠ ألفًا في ألمانيا، كما قدّرت عدد طلبات اللّجوء في الأشهر الستّة الأولى من العام ٢٠١٦ بـ ٦١٠ آلاف في أوروبا منها ٣٧٠ ألفًا في ألمانيا وحدها.

في المقابل، اعتمدت الفرضيّة الثّانية الحدّ الأقصى من طلبات اللّجوء وقدّرتها بـ ١,٤ مليون خلال العام ٢٠١٥ في المنطقة الاقتصاديّة

٧- المرجع السّابق، ص ٢.

٨- منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي أوOrganization for economic co-operation and development، هي منظمة عالمية تضم ٣٤ دولة، تُعنى بتطوير سياسات تهدف إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعوب حول العالم، عنوان صفحتها الرئيسية على الإنترنت: http://www.oecd.org

٩- Migration policy debate report, op.cit. p 3, 4

١٠- المنطقة الاقتصادية الأوروبية أوEuropean economic area، أنشأت هذه المنطقة في الأول من كانون الثاني ١٩٩٤، وهي تؤمّن حرية حركة الأشخاص، والسلع، والخدمات، ورؤوس الأموال في السوق التجاري الداخلي للاتحاد الأوروبي. كلّ الدّول الأعضاء في الاتّحاد الاوروبّي منتسبون إلى هذه المنطقة إضافة إلى أيسلندا، والنروج، وليشتنشتاين.

الأوروبّيّة وسويسرا، منهم ٩٠٠ ألفٍ في ألمانيا. أمّا في الأشهر الستّة الأولى من العام ٢٠١٦، فقدّرتها بـ ١,١ مليون في أوروبا، منهم ٩٠٠ ألف في ألمانيا.

أخذت هذه الدّراسة بعين الاعتبار توزّع اللّاجئين حسب الجنس وفئات الأعمار، وخلصت إلى أنّ عدد المهاجرين الذين سيدخلون سوق العمل الأوروبّي على أساس الفرضيّة الأولى، سيبلغ ٣٨٠ ألف عامل في العام ٢٠١٦ أي ما يعادل ٠,٣٪ من اليد العاملة، حصّة ألمانيا منها ٢٩٠ ألفًا أي ٠,٧٪ من سوق العمل الألماني. في المقابل، وباعتماد الفرضيّة الثّانية، ستشكّل حالات دخول اللّاجئين سوق العمل الأوروبّي ٠,٤٪ من سوق العمل أي مليون عامل، منهم ٤٣٠ ألفًا في ألمانيا أي بنسبة ١٪ من اليد العاملة الألمانيّة.

وبالتّالي، وبحسب الدّراسة، فإنَّ تأثير اللّاجئين على سوق العمل محدود جدًّا ويمكن للدّول الأوروبّيّة استيعابه، لا بل إنَّ بعض الدُوَل، كألمانيا مثلًا، بحاجة إليه.

تخطّى عدد الطّلبات التي تمّ تسجيلها في العام ٢٠١٥ المليون طلب في ألمانيا وبالتّالي فاقت هذه الأرقام توقّعات الدّراسة وفرضيّاتها. بمقارنة الفارق بين عدد طلبات اللّجوء بحسب الفرضيّة الأولى والفرضية الثّانية في ألمانيا (١٧٠ ألفًا) مع فارق النّسب على سوق العمل الألماني (٠,٣٪)، يمكن القول إنّ التّأثير النّاتج عن الزّيادة غير المتوقّعة بعدد طلبات اللّجوء سيبقى تأثيرًا محدودًا.

يمكن لبعض العوامل أن تزيد من حدّة تأثير اللّاجئين على سوق العمل. العامل الأوَّل هو أنّ الدول الّتي يتركّز فيها تسجيل طلبات اللّاجئين،

بخاصّةٍ مع وجود اتفاقيّة "دبلين"[١١]، تعاني أصلًا ارتفاع معدّل البطالة.

ففي تشرين الأوّل ٢٠١٥، بلغ معدّل البطالة في اليونان ٢٤,٩٪، أمّا في إسبانيا فـ ٢٢,٣٪[١٢]، وهذه النّسب هي الأعلى في أوروبا. أمّا العامل الثّاني فهو صعوبة إعادة اللّاجئين المرفوضين إلى بلادهم، لعدم جود "اتّفاقيّات إعادة"[١٣] ، ما يؤدّي إلى انخراط هؤلاء في أسواق العمل السّريّة. يحاول الاتّحاد الأوروبي الحدّ من تدفّق المهاجرين وتأثيراتهم السّلبيّة وقد خصّص لهذه الغاية اعتمادات ماليّة.

ج- تمويل مكافحة الهجرة.[١٤]

رصد الاتّحاد الأوروبي اعتمادات ماليّة بقيمة ٧ مليار يورو ما بين العامين ٢٠١٤ و٢٠٢٠ لمواجهة أزمة الهجرة غير الشّرعيّة، وقد أَدرج هذه الاعتمادات ضمن موازنته تحت بندين: البند الأوّل هو بند "اللّجوء، والهجرة، والدّمج" Asylum، Migration، and Integration Funds (AMIF)، والبند الثّاني هو بند "الأمن الدّاخلي" (Internal Security Funds (ISF)).

بلغت الأموال المخصّصة "للّجوء، والهجرة، والدّمج" ٣,١ مليار يورو وتهدف إلى دعم جهود الاتّحاد الأوروبّي لزيادة قدرة استيعاب مراكز استقبال

١١- أنشئ "نظام دبلن" الخاص باللاجئين بموجب اتّفاقيّة "دبلن" الّتي أقرت يوم ١٥ حزيران ١٩٩٠، ووقعت عليها في العاصمة الأيرلندية دبلن ١٢ دولة عضوا في الاتّحاد الاوروبي، ودخلت حيز التنفيذ في ١ أيلول ١٩٩٧. وبما أن الاتّفاقيّة مفتوحة أمام جميع الدول الاوروبية فقد دخلتها لاحقا وعلى فترات مجموعة من الدّول غير الأعضاء في الاتّحاد. في ١٨ شباط ٢٠٠٣ أدخلت تعديلات على الاتّفاقيّة سُميت بموجبها "اتفاقية دبلن ٢"، وفي ٣ كانون الأول ٢٠٠٨ اقترحت المفوضية الأوروبية تعديلات إصلاحية أخرى في الاتفاقية تمت الموافقة عليها في حزيران ٢٠١٣ وأصبحت نافذة التطبيق في ١٩ تموز ٢٠١٣ تحت اسم "اتفاقية دبلن ٣". تعتبر الاتفاقية حجر الزاوية في "نظام دبلن" الإجرائي الّذي يتألف من "اتفاقية دبلن" و"منظومة (Eurodac) الّتي تقضي بإنشاء قاعدة بيانات تحوي بصمات اللّاجئين غير الشّرعيّين إلى دول الاتّحاد الأوروبي. ولا تـزال بصمة اللاجئ من هذه المنظومة إلا بانقضاء عشر سنوات عليها أو بحيازة صاحبها جنسية إحدى الدّول الأعضاء. ولذلك فإنه تؤخذ بصمات أي طالب لجوء في أول دولة يدخلها - من الدّول الموقعة على الاتفاقية-وتدرج في قاعدة البيانات المشتركة، وبالتالي يمكن تحديد ما إن كان صاحبها تقدم بطلب لجوء في دولة أوروبية أخرى غير الّتي يوجد فيها أم لا، وفي حالة قيامه بذلك تعتبر دولة الاختصاص غير مختصة بطلب لجوئه، ويُعاد إلى الدولة الأولى الّتي بصم فيها.

١٢- Unemployment rates, October 2015, Eurostat, available from: http://ec.europa.eu/eurostat/statistics-explained/index.php/File:Unemployment_rates,_seasonally_adjusted,_October_2015.png, Internet, accessed 9 December 2015

١٣- اتفاقية الإعادة (readmission agreement) هي اتفاقية ما بين دولة أوروبية أو الاتحاد الأوروبي ودولة مصدّرة للمهاجرين غير الشّرعيين هدفها تسهيل عملية نقل هؤلاء المهاجرين من الدول الأوروبية الى بلدهم الأصلي.

١٤- European commission report, EU funding for migration and security: how it works, 14 august 2015, available from: http://ec.europa.eu/dgs/home-affairs/e-library/docs/20150814_funds_amif_fsi_en.pdf, Internet, accessed 10 December 2015

اللّاجئين وتحسين مستوى خدماتها كي تتطابق مع معايير الاتّحاد، إضافة إلى دمج اللّاجئين في المجتمع وفي سوق العمل، وتفعيل برامج التّرحيل لطالبي اللّجوء المرفوضين. بلغت حصّة اليونان من هذه الأموال ٢٥٩,٤ مليون يورو، أمّا إيطاليا فحصلت على ٣١٥,٤ مليون يورو، وفرنسا ٢٨٦,٦ مليون يورو.

بلغت الأموال المخصّصة لبند "الأمن الداخلي" ٣,٩ مليار يورو، وقد قسّمت إلى جزأين: الجزء الأوَّل يستخدم لتمويل عمليّات مراقبة الحدود الخارجيّة للاتّحاد، أمّا الجزء الثّاني فمخصّص لتعزيز قدرات الشّرطة وأجهزة الأمن لمكافحة عمليّات الإتجار بالبشر وحماية البنى التّحتيّة الأساسيّة من خطر الإرهاب. وقد حصلت هنغاريا على ٦١,٥ مليون يورو من هذه الأموال بينما حصلت ألمانيا على ١٣٤ مليون يورو.

٢- تأثير الهجرة على المدى الطّويل

تشير إحصاءات المفوّضيّة الأوروبّيّة إلى أنَّ معدّل أعمار الشّعوب الأوروبّيّة سوف يرتفع من ٣٩ في العام ٢٠٠٤ إلى ٤٩ في العام ٢٠٥٠ [١٥]. توزّع سكّان الاتّحاد الأوروبي بحسب فئة الأعمار في العام ٢٠١٤ على الشّكل الآتي: فئة (صفر إلى ١٤ سنة) ١٥,٦ ٪ من عدد السّكّان، أمّا فئة اليد العاملة (١٥ إلى ٦٥) فشكّلت ٦٥,٩٪ وفئة (فوق الـ ٦٥) كانت نسبتها ١٨,٥ ٪، وبلغ معدّل الأعمار ٤٢,٢. أمّا معدّل الإعالة[١٦] فوصل إلى ٢٨,١٪ أي ما يعادل ٣,٥ شخص من الفئة العاملة لكلّ شخص من فئة فوق الـ ٦٥ ومن المتوقّع أن يرتفع إلى ٥٣٪ في العام ٢٠٥٠ [١٧]. تشير هذه الأرقام إلى

١٥- European commission report, Europe's demographic future: facts and figures, October 2007, p13

١٦- معدّل الإعالة هي نسبة الأشخاص المعالين، الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة أو أكبر من ٦٥، إلى السُكّان في سن العمل، أي الفئة العمرية من ١٥ إلى ٦٥ عامًا.

١٧- Demograpghy report, European Union, May 2015, p 8

تحوّل البنية السّكانيّة الأوروبّيّة إلى مجتمع هرم، ترتفع فيه نسبة الإعالة ويفرض معضلة ديموغرافيّة تبعاتها خطيرة اقتصاديًّا.

لن تظهر الآثار الإيجابيّة لأزمة اللّاجئين على الاقتصاد الأوروبّي إلّا على المدى الطّويل، إذ إنّها سوف تؤدّي إلى تخفيض نسبة الإعالة. ترى الدّراسات الاقتصاديّة المختلفة أنّ التّأثير السّلبي لهؤلاء المهاجرين لن يستمرّ طويلًا في حال تأمّنت لهم وظائف في أماكن الحاجة إليهم. هذا ما حدث في منتصف الخمسينات من القرن الماضي، عندما وصل إلى ألمانيا وبريطانيا أعداد ضخمة من الأتراك ومن الأميركيّين من جزر الكاريبي، فشكّلوا رافعة اقتصاديّة لهذين البلدين اللّذين كانا يشكوان من نقص في اليد العاملة غير المتخصّصة في قطاعات البناء والزّراعة.

خلافًا لما يعتقده البعض، تفوق المساهمة الماليّة للمهاجرين النّاتجة عن دفع الضّرائب، في معظم الأحيان، قيمة ما يحصلون عليه من خدمات صحّيّة واجتماعيّة، كما تفوق المساهمة الماليّة للمواطنين الأصليّين. أمّا في الحالات المعاكسة فإنَّ السّبب يعود إلى حصولهم على معاشات أدنى من المواطنين الأصليّين، وإلى ضعف إسهام المرأة في سوق العمل[١٨]. فالهجرة إلى أوروبا ما بين العامين ٢٠٠١ و٢٠١١ أَدخلت ٢٠ مليار يورو إلى الخزينة الأوروبّيّة، حيث أنَّ المهاجرين دفعوا ٦٤ ٪ ضرائب أكثر ممّا حصلوا عليه من خدمات، ووفّروا خبرات كانت لتكلّف الخزينة ٦,٨ مليار يورو إضافيّة على ميزانيّة التّعليم.[١٩]

ويرى العديد من الخبراء الاقتصاديّين أنّ تدفّق هذا العدد من المهاجرين،

١٨- Migration policy debate report, Is migration good for the economy, Organization for economic co-operation and development, May 2014, pp 2-3

١٩- University college London news, Positive economic impact of UK immigration from the European Union: new evidence, 5 November 2014, available from: https://www.ucl.ac.uk/news/news-articles/1114/051114-economic-impact-EU-immigration, Internet, accessed 12 November 2015

الذين يشكّل الشّباب النّسبة الأعظم منهم، إلى دول صناعيّة كبرى مثل ألمانيا سوف ينعش اقتصاد هذه الدول وليس العكس، إذ إنّه يمكن استدراك الأعباء على المدى القصير للحصول على المنافع على المدى البعيد. وبالتّالي، وبحسب بعض الخبراء أيضًا، هؤلاء المهاجرون هم نعمة سوق العمل، لكن هل هؤلاء هم أيضًا نعمة ديموغرافيّة أم أنَّهم من وجهة النّظر هذه يتحوّلون إلى نقمة؟

ثانيًا: التّداعيات الدّيموغرافيّة

إنّ الأثر الدّيموغرافي للهجرة غير الشّرعيّة مرهون بتصرّف المجتمعات الأوروبّيّة الأصليّة. فبقاء معدّل الخصوبة لديهم على ما هو عليه حاليًّا سيؤدّي حتمًا إلى تغيير وجه أوروبا في أواخر القرن الحالي، أمّا إذا تمكّنت هذه المجتمعات من زيادة معدّل الخصوبة لديها، وهو ما تحاول الدُوَل التّشجيع عليه حاليًّا، فإنّه في أكثر الافتراضات موضوعيّة، ومع الأخذ بعين الاعتبار هجرة حوالى مليون شخص سنويًّا إلى أوروبا حتّى العام ٢٠٥٠، ستصبح نسبة المواطنين الأوروبيّين المسلمين نسبة ثابتة تقدّر بحوالى ١٦٪ من سكّان الاتّحاد الأوروبّي.

تواجه أوروبا، إضافة إلى مشكلة الشّيخوخة التي تعانيها، معضلة أخرى ناتجة عن تدنّي "معدّل الخصوبة" في مجتمعاتها، ما يؤدّي إلى تناقص عدد السّكّان. الحلّ السّريع الذي تعتمده بعض الدول الأوروبّيّة لحلّ هذه المعضلة هو استقبال المهاجرين، لكنّ البعض يرى في هذا الحلّ تهديدًا لهويّة أوروبا "المسيحيّة".

أ- إنّ معدّل الخصوبة[٢٠] هو في انخفاض عالميًّا، لكن على الرغم من

٢٠- رقم يدلّ على عدد الأولاد الّذين تنجبهم إمرأة واحدة. بغية تجدّد سكّان دولة ما دون تزايد أو تناقص يجب أن يكون هذا الرقم بحدود ٢،١.

ذلك فهو يبقى في العديد من الدول، بخاصّةٍ الدول النّامية منها، أعلى من ٢,١ وهو الحدّ المطلوب لعدم تناقص السّكّان. في الدول العربيّة مثلًا، انخفض من ٤,١ في العام ٢٠٠٠ إلى ٣,١ حاليًّا، أمّا في الولايات المتحدة فسجّل ٢,٠٩ في العام ٢٠١٥.[٢١]

وقد يتدنّى معدّل الخصوبة عن ٢,١ في جميع دول الاتّحاد الأوروبي. فلقد انخفض هذا المعدّل من ٢,٦٦ في بداية السّتينات من القرن الماضي إلى ١,٥٥ حاليًّا. أدني نسبة سجّلت في البرتغال (١,٢١) بالمقابل أعلى نسبة سجّلت في فرنسا (١,٩٩)، أمّا في ألمانيا فبلغت ١,٣٩ وفي بريطانيا ١,٨٣. بالتّالي، فإنّ عدد سكّان أوروبا في انخفاض، هو حاليًّا ٥٠٦ مليون ومن المتوقّع أن ينخفض ١١٪ بحلول العام ٢٠٥٠ في حال عدم إيجاد حلول.[٢٢]

ب- هناك عاملان يساعدان على النّموّ السّكاني هما "النّموّ الطّبيعي للسّكّان" [٢٣]والهجرة. تحاول أوروبا تحفيز النّموّ الطّبيعي بإكثار الولادات عبر إجازات الأمومة الطّويلة والمساعدات الماليّة بحسب عدد الأولاد.[٢٤] لكنَّ هذا الإجراء، وفي حال نجاحه، لن تَظهر نتائجه سوى على المدى البعيد. أمّا على المدى القريب، فالهجرة هي أسرع الحلول، فبحسب المفوّضيّة الأوروبّيّة تحتاج أوروبا إلى ١,٥ مليون مهاجر سنويًّا حتّى العام ٢٠٥٠ لسدّ النّقص المتوقّع حصوله في عدد السكّان.

إنّ غالبيّة المهاجرين غير الشّرعيّين الّذين يصلون إلى أوروبا هم من

٢١- The world total fertility rate, available from: http://www.geoba.se/population.php?pc=world&type=010&year=2014&st=rank&asde=&page=1, Internet, accessed 12 December 2015

٢٢- Demography report, op.cit. p 12

٢٣- النمو الطبيعي للسكان = عدد الولادات – عدد الوفيات.

٢٤- في المانيا على سبيل المثال تدفع الحكومة حوالي ١٦٠ يورو للطفل الأول، ومثلها للطفل الثاني، ونحو ٢٠٠ يورو للطفل الثالث، الشيء ذاته يحدث في إيطاليا الّتي بدأت بتطبيق برنامج " تشجيع النساء على الولادة ورعاية الأطفال".

المسلمين، ممّا يدفع الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة إلى مناهضة الهجرة خوفًا على الهويّة المسيحيّة لأوروبا. في دراسة أعدّتها الباحثة [٢٥] KarolyLorant حول تأثير الهجرة غير الشّرعيّة على ديموغرافيّة أوروبا، وتحديدًا على أعداد المسلمين، تبيّن ما يأتي:

–معدّل الخصوبة للأوروبيّين المسيحيّين هو حوالى ١,٥٥، في المقابل هو ٢,٧ لدى المسلمين المقيمين في أوروبا وللمهاجرين غير الشّرعيّين. وبالتّالي فإنَّ عدد سكّان أوروبا لن يتغيّر بحلول العام ٢٠٥٠، إذ إنَّه من المتوقّع أن يزيد نحو ٤ ملايين إنَّما هذه الزيادة ستكون حصيلة انخفاض ٧١ مليون من المسيحيّين، وازدياد حوالى ٧٥ مليون من المسلمين، عندها سيشكّل المسلمون حوالى ٢٠٪ من سكّان أوروبا مقابل ٦٪ حاليًّا.[٢٦] إذا استمرّت هذه الأنماط، معدّل خصوبة مرتفع لدى المسلمين وأعدادًا مرتفعة من الهجرة، إلى نهاية القرن فإنَّه من المتوقّع أن ينخفض عدد المسيحيّين إلى ١٠ ٪ من إجمالي عدد سكّان أوروبا.

–لا يمكن غضّ النّظر عن السّيناريو السّابق تمامًا، إنّما هذا السيناريو يفتقد إلى بعض الواقعيّة. فمعدّل الخصوبة ينخفض في جميع أنحاء العالم كافّة، حتّى في البلدان ذات الأغلبيّة المسلمة[٢٧]، وبالتّالي فمن الواقعيّ القول إنّ معدّل الخصوبة لدى المسلمين في أوروبا سينخفض إلى ٢,١٪ (المعدّل الّذي يعطي ثباتًا في عدد السكّان)، إضافةً إلى أنّه وفق تقدير الأمم المتّحدة، فإنّ ظاهرة الهجرة ستنحسر بشكل كبير بحلول العام ٢٠٥٠. في هذه الحالة، آخذين بعين الاعتبار هجرة ١,٢ مليون نسمة سنويًّا حتّى العام ٢٠٥٠، فإنّ عدد المسلمين في أوروبا سيثبت على ٨٠

٢٥- KarolyLorant, the demographic challenge in Europe, April 2005, pp 3-5

٢٦- Pew research center, Muslim population by country, 27 January 2011, available from: http://www.pewforum.org/2011/01/27/table-muslim-population-by-country, Internet, accessed 12 December 2015.

٢٧- في العام ٢٠١٤ بلغ معدّل الخصوبة في المملكة العربية السعودية ٢,١٧، إيران ١,٨٥، مصر ٢,٨٧(٣,٠١ في العام ٢٠١٠)، باكستان ٢,٨٦ (٣,٢٨ في العام ٢٠١٠).

مليون. أمّا المسيحيّون، فسيتناقصون بنسبة ١٪ سنويًّا، إلّا إذا تمكّنوا من تحقيق معدّل خصوبة ٢,١، عندها سيشكّل المسلمون نسبة ثابتة تقدر بـ ١٦٪ من سكّان أوروبا.

ج-يشكّل المهاجرون حاجة اقتصاديّة للدول الأوروبّيّة لا يمكن للمناهضين للهجرة إنكارها، لكنّ الآراء تختلف حول المهاجرين من وجهة النّظر الدّيموغرافيّة حيث يرى البعض أنّهم قنبلة ديموغرافيّة ستغيّر الهويّة المسيحيّة لأوروبا، فيما البعض الآخر يرى أنّهم حاجة ديموغرافيّة في وجه تناقص السكّان والشّيخوخة الأوروبّيّة. ينسحب اختلاف الرأيّ هذا على وجهة النّظر الأمنيّة.

القسم الثّاني: التّداعيات الأمنيّة والسّياسيّة

أولًا: الإرهاب في أوروبا[٢٨]

يضرب الإرهاب في العالم كلّه ليس في أوروبا فحسب، والحوادث الإرهابيّة الّتي وقعت مؤخّرًا في أوروبا ليست نتيجة تسلّل الإرهابيّين مع المهاجرين غير الشّرعيّين كما هو شائع، إذ تبيّن أنّ غالبيّة الإرهابيّين هم من المواطنين الأوروبّيّين من الأجيال المتعاقبة لمهاجرين شرعيّين. فالمشكلة إذًا هي في عدم اندماج المهاجرين الشّرعيّين في المجتمعات الأوروبّيّة.

تعرّضت الولايات المتّحدة الأميركيّة في ١١ أيلول ٢٠٠١ لهجمات إرهابيّة راح ضحيّتها حوالى ٣٠٠٠ شخص. بدورها، بدءًا من العام ٢٠٠٤، بدأ بعض الدول الأوروبّيّة تتعرّض لهجمات إرهابيّة، وقد سجّل العام ٢٠١٥ أعلى نسبة منها، وتزامنت هذه الهجمات مع تزايد أعداد المهاجرين غير الشّرعيّين الوافدين إلى أوروبا.

٢٨- Timeline: terror attacks linked to islamists since 9/11, 14 November 2015, available from: http://graphics.wsj.com/terror-timeline-since-911/, Internet, accessed: 22 December 2015

تعرّضت أوروبا لأوّل عمليّة إرهابيّة في ١١ آذار ٢٠٠٤، حين تمّ تفجير أربعة قطارات في مدريد عاصمة إسبانيا، ما أدّى إلى مقتل ١٩١ شخصًا، وقد اتّهمت إسبانيا آنذاك تنظيم القاعدة بالحادث.

وكانت العاصمة الفرنسيّة باريس مسرحًا لهجمتين إرهابيّتين في العام ٢٠١٥ أدّتا إلى مقتل ١٤٠ شخصًا، الأولى في كانون الثّاني على صحيفة تشارلي إيبدو، والثّانية في تشرين الثّاني حين هاجم ستّة إرهابيين مواقع عديدة في العاصمة في توقيت واحد. في العام ٢٠١٦، تعرّضت مدينة "نيس" إلى عمل إرهابي وقع ضحيّته ٨٤ شخصًا، تبعته حادثة ذبح الكاهن جاك هامل داخل كنيسة في النورماندي. وقد أعلن تنظيم الدّولة الإسلاميّة في العراق والشّام (داعش) مسؤوليّته عن هذه الهجمات.

كما أنّ بريطانيا لم تسلم أيضًا من الإرهاب. ففي كانون الأوّل ٢٠١٥، قام رجل بطعن ثلاثة أشخاص في قطار الأنفاق في لندن، وقد صنّفت الشّرطة هذه العمليّة على أنّها إرهابيّة. قطار الأنفاق أيضًا كان مسرحًا لأربع هجمات منسّقة نفّذها أربعة انتحاريّين في العام٢٠٠٥، ما أدّى إلى مقتل ٥٢ شخصًا، وقد تبيّن آنذاك أنَّ المنفّذين متعاطفون مع تنظيم القاعدة. وبحسب رئيس الوزراء البريطاني فإنَّه خلال العام ٢٠١٥، تمّ إحباط ست محاولات إرهابيّة استهدفت إحداها الملكة إليزابيث.[٢٩]

وضرب الإرهاب أيضًا الدّانمارك في شباط ٢٠١٥، حين قام رجل بإطلاق النّار في معرض لحرّيّة التّعبير في كوبنهاغن، أدّى إلى مقتل شخص وجرح ثلاثة عناصر من الشّرطة، ثمّ هاجم كنيس يهودي وقتل شخصًا وجرح شرطيّين.

٢٩- Macer hall, Terror alert, the express, 9 September 2015, available from: http://www.express.co.uk/news/politics/603565/David-Cameron-ISIS-British-jihadists-RAF-drone-attack-Syria, Internet, accessed 2 January 2016

إنّ ألمانيا قد نالت حصّتها من الهجمات الإرهابية في العام ٢٠١٦. الهجوم الأول نفّذه مهاجر أفغاني، حين قام بطعن خمسة أشخاص على متن قطار، أمّا الهجوم الثاني فتمثّل بقيام مهاجر سوري بتفجير نفسه في مدينة Ansbach ما أدى إلى جرح ١٢ شخصًا.

١- الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة في أوروبا

تتّخذ الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة من الخطر الدّيموغرافي والأمنيّ للمهاجرين غير الشّرعيّين ذريعة لكسب التّأييد الشّعبي ولمحاولة الوصول إلى السّلطة، وهي تريد إلغاء اتّفاقيّة "شينغن" كمقدّمة لفرط عقد الاتّحاد الأوروبي. لكن في المدى المنظور من المتوقّع ألّا يستغني الاتّحاد الأوروبي عن هذه الاتفاقية بسهولة، بل سيعمل على تعديلها وتحسينها لمواجهة التّحدّيات الإنسانيّة الّتي فرضتها الهجرة، وفي أسوأ الحالات قد يُوقف العمل بها لفترة محدودة ريثما يتمّ إيجاد حلّ لأزمة الهجرة غير الشّرعيّة.

أثبتت سلسلة من التّجارب أنّ اليمين المتطرّف في الغرب يَصِل إلى ذروة نجاحه عندما تعجّ الأجواء السّياسيّة بالأزمات النّاتجة عن الإرهاب. فلقد حقّقت هذه الأحزاب انتصارات متتالية وازدادت شعبيّتها في الآونة الأخيرة في دول أوروبّيّة عديدة، ليس بسبب إقناع قسم من النّاخبين بأفكارها السّياسيّة فحسب، بل في الكثير من الأحيان بسبب خوف هؤلاء من المجهول.

أ- أفكار الأحزاب اليمينيّة

على الرغم من بعض الاختلافات في الأولويّات المحلّيّة لبعض الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة في أوروبا، فإنّ هذه الأحزاب تشترك في موقف موحّد تجاه الحدّ من الهجرة بشكلٍ عامّ سواء كانت شرعيّة أو غير شرعيّة، بحيث

تصوّر المهاجرين بأنَّهم السبب الرئيس للبطالة والجريمة ومظاهر أخرى لتدهور الأمن الاجتماعي، وكمستغلّين للتقديمات الاجتماعيّة والصّحّيّة الّتي توفّرها الدّولة.[٣٠]

تعارض هذه الأحزاب الهجرة غير الشّرعيّة وتَعتَبرها السّبب الرئيس الكامن وراء الأعمال الإرهابيّة الّتي تتعرّض لها أوروبا. فهي ترى أنّ الإرهابيّين يتسلّلون مع المهاجرين غير الشّرعيّين، ومن ثمّ يتنقّلون بسهولة بين الدّول الأوروبية بسبب عدم وجود إجراءات تدقيق على الحدود الدّاخليّة بين هذه الدول.

تذهب هذه الأحزاب إلى اعتبار، ليس فقط المهاجرين غير الشّرعيّين على أنّهم إرهابيّون بل المهاجرين كافّة وتحديدًا الشّرعيّين منهم الذين أصبحوا مواطنين أوروبّيّين. وقد عبّر عن هذه الفكرة رئيس وزراء هنغاريا فيكتور أوربان، إذ اعتبر أنّ السؤال المطروح هو ليس ما إذا كان المهاجر إرهابيًا، فهم كلّهم إرهابيّون، إنَّما السّؤال هو متى وصل إلى أوروبا.[٣١]

بالنسبة لهذه الأحزاب إنّ ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة تعتبر عمليّة منظّمة لغزو أوروبا، فمعظم المهاجرين يأتي من سوريا أو العراق حيث تنتشر التّنظيمات الإرهابيّة لا سيّما تنظيم "داعش"، وغالبيّتهم من الرّجال غير المتزوّجين، ففي العام ٢٠١٤ شكّل الذكور ٧١٪[٣٢] منهم.

تجدر الإشارة هنا، إلى أنّ العديد من الأوروبّيّين يقاتل إلى جانب تنظيم "داعش" ثمَّ يعود إلى أوروبا بعد أن يكون قد تدرّب على استعمال السّلاح

٣٠- رابح زغوني، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرف في أوروبّا: مقاربة سوسيوثقافية، المستقبل العربي، ص ص ١٢٢-١٣٣.

٣١- Mathiew Kaminski, All the terrosists are migrants, Polotico, 23 December 2015, available from: http://www.politico.eu/article/viktor-orban-interview-terrorists-migrants-eu-russia-putin-borders-schengen/, Internet, accessed 6 February 2016

٣٢- Annual risk analysis report, FRONTEX, April 2015, p17

وتحضير المتفجّرات. كما تعتبر الأحزاب اليمينيّة أنَّ هؤلاء هم بمثابة خلايا نائمة جاهزة للقيام بأعمال إرهابيّة.

وتحارب هذه الأحزاب التّنوّع الثّقافي في المجتمع، وتحمل أيديولوجيا معادية لجميع الثّقافات الوافدة، وكانت أوَّل من استخدم مصطلح "زينوفوبيا"[٣٣] في حملاتها الانتخابيّة. كما تسعى إلى وضع نهاية للاتّحاد الأوروبي، وقد بدأت بالضّغط نحو إلغاء إحدى أهمّ اتّفاقيّاته، اتّفاقيّة "شينغن"، الّتي تعتبرها سببًا أساسيًّا في تنقّل الإرهابيّين بحرّيّة.

ب- أبرز الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة في أوروبا.

حصل حزب "الشّعب الدّانماركي"، أكثر الأحزاب تطرّفًا في الدّانمارك، على ٢١,١٪ من الأصوات في الانتخابات العامّة العام ٢٠١٥، ليصبح بذلك ثاني أكبر حزب في البرلمان. يرفض هذا الحزب تأسيس مجتمع من المهاجرين في الدّانمارك، وهو يسعى بقوّة القانون للحدّ من تدفّق اللّاجئين.[٣٤]

يتبنّى حزب "الجبهة الوطنيّة" الفرنسيّ أجندة انفصاليّة عن الاتّحاد الأوروبي، كما يعادي بشدّة العملة الموحّدة واستقبال المزيد من اللّاجئين المسلمين، خصوصًا بعد أحداث تشرين الثّاني ٢٠١٥ في باريس. كما يلاحظ أنّ شعبيّة هذا الحزب في ارتفاع متواصل منذ العام ٢٠٠٧:

- فاز بـ ٢٣ مقعدًا من أصل ٧٤ لفرنسا في البرلمان الأوروبّي في العام ٢٠١٤ مقارنة بالعام ٢٠٠٩ حين لم يفز سوى بثلاثة مقاعد.[٣٥]
- لم يفز في أي محافظة من انتخابات المحافظات الفرنسيّة في العام

٣٣- زينوفوبيا، بالإنجليزيةXenophobia، أيّ الخوف من الغريب.

٣٤- William Carroll, Far Right Parties and Movements in Europe, Japan, and the Tea Party in the U.S.: A Comparative Analysis, American Research Institute for Policy Development, June 2014, p 214

٣٥- Results of the 2014 European elections, European parliament, available from: http://www.europarl.europa.eu/elections2014-results/en/country-results-fr-2014.html, Internet, accessed 23 November 2015

٢٠١٥، إلّا أنَّه حصل على ٢٧,١٪ مقارنة بانتخابات ٢٠١٠ حين لم يحصل سوى على ١١,٤٪، وقد اضطر حزب اليسار بزعامة الرئيس فرنسوا هولاند للتّحالف مع حزب الوسط بزعامة الرئيس السّابق نيكولا ساركوزي لمنعه من اكتساح ٦ من أصل ١٢ محافظة.[٣٦]

يشبه حزب "الحرّيّة" الهولّندي حزب "الجبهة الوطنيّة" الفرنسي بتبنّيه موقفًا معاديًا للإسلام وللاتّحاد الأوروبّي والمهاجرين الأجانب. يرفض هذا الحزب انضمام دولة مسلمة كتركيا إلى الاتّحاد الأوروبي، ويستند منهجه إلى التّراث المسيحيّ في أوروبا. حصل هذا الحزب على أربعة مقاعد في انتخابات البرلمان الأوروبّي الحالي من أصل ٢٦ لهولندا.

يعمل حزب "الاستقلال" البريطاني المعادي للهجرة على حماية الهويّة الإنجليزيّة من المهاجرين ويطالب بانسحاب بريطانيا من الاتّحاد الأوروبي. يشغل حاليًّا ٢٢ مقعدًا في البرلمان الأوروبّي ومقعدين في مجلس العموم البريطاني.[٣٧]

يكافح حزب "السّويد الدّيمقراطي" اليميني المتطرّف، بشكل مستمرّ من أجل الوصول إلى السّلطة، وقد حقّق نسبة ١٣٪ في الانتخابات الأخيرة واحتلّ ٤٩ مقعدًا ليصبح الحزب الثّالث داخل البرلمان. يرفض هذا الحزب القوانين الميسّرة لعمليّة الهجرة ويرفض الشّروط التي تحكم عضويّة السّويد بالاتّحاد الأوروبي.[٣٨]

٢- أحزاب اليسار في أوروبا

٣٦- Résultatsrégionales 2015, 15 December 2015, available from: http://election-regionale.linternaute.com/, Internet, accessed 18 December 2015

٣٧- William Carroll, op.cit. p 212

٣٨- Sweden elections, BBC, 15 September 2014, available from: http://www.bbc.com/news/world-europe-29195683, Internet, accessed 22 January 2016

تعتبر أحزاب اليسار أنَّ أزمة الهجرة غير الشّرعيّة هي أزمة إنسانيّة بحتة وينبغي التّعامل معها على هذا الأساس، وقد عانت في السّنوات الأخيرة ولا تزال، تراجعًا في شعبيّتها بسبب سياستها هذه في مقابل تنامي شعبيّة الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة، وتعتبر أنّ خطاب هذه الأخيرة يغذّي مشاعر الحقد والكراهية للمهاجرين لدى سكّان أوروبا الأصليّين.

يعتبر المفوّض الأوروبي جان كلود يونكر من أبرز المدافعين عن المهاجرين إذ قال: "يمكننا بناء جدران، يمكننا إقامة الحواجز، لكن تخيّل أنَّك أنت تحمل طفلك بين ذراعيك والعالم من حولك ينهار، لا يوجد جدار لن تتسلّقه، أو بحر لن تعبره، أو ثمن لن تدفعه، أو حدود لن تقطعها لو كنت تريد الهرب من بربريّة داعش".(٣٩)

وقد عبّر معظم قادة الدول الأوروبّيّة عن تخوّفه من خطر الصّعود المتواصل لأحزاب اليمين المتطرّف، إذ اعتبر رئيس وزراء فرنسا مانويل فالس أنّ "ربح اليمين المتطرّف في الانتخابات يعني الحرب الأهليّة"(٤٠)، فيما عبّرت المستشارة الألمانيّة أنغيلا ميركيل عن تخوّفها من أن تؤدي عدائيّة هذه الأحزاب تجاه المهاجرين إلى انقسام ألمانيا.(٤١)

وجدت أحزاب اليسار نفسها مضطرّة في أحيانٍ كثيرة، وعلى مضض، إلى وضع يدها في يد اليمين الوسط كي يتمكّنا معًا من إقصاء اليمين المتطرّف، ويعني ذلك انزواء الأحزاب اليساريّة مؤقّتًا وتركّز الصّراع بين

٣٩- Callum Paton, Migrant crisis: Jean-Claude Juncker opens EU's doors to 160,000 refugees in emotional appeal, International business times, 9 September 2015, available from:http://www.ibtimes.co.uk/migrant-crisis-jean-claude-juncker-opens-eus-doors-160000-refugees-emotional-appeal-1519013, Internet, accessed 5 January 2016

٤٠- Pour Valls, le FN peut conduire à la « guerre civile », Le Monde, 11 December 2015, availablefrom: http://www.lemonde.fr/elections-regionales-2015/video/2015/12/11/pour-valls-le-fn-peut-conduire-a-la-guerre-civile_4829710_4640869.html, Internet,accessed 22 December 2015

٤١- German chancellor Angela Merkel worried right-wing violence towards refugees could split Germany, ABC news, 1 September 2015, available from: http://www.abc.net.au/news/2015-09-01/merkel-concerned-about-right-wing-attacks/6739244, Internet, accessed 22 December 2015

اليمين واليمين الأكثر تطرّفًا. ولقد تحوّل اليمين المتطرّف في السّنوات الأخيرة من مجموعات ضاغطة كانت تقتصر أنشطتها في السّابق على التّظاهر، إلى أحزاب تتمتّع بشعبيّة واسعة وتهدّد أكثر من أي وقت مضى تماسك المجتمعات الأوروبّيّة.

وتتخوّف الأحزاب اليساريّة من تأثير خطاب الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة على الرأي العامّ، ولعلّ أبرز الأحداث الدّالّة على هذا التّأثير هو قيام أندريس برايفيك في ٢٢ تموز ٢٠١١ بإطلاق النّار على طلّاب خلال مخيّم على جزيرة يوتويا في النّروج، ما أدّى إلى مقتل ٦٩ منهم. قبل العمليّة، قام أندريس بتوزيع مناشير تعرّفه على أنَّه مقاتل من اليمين المتطرّف، وأنَّه يقاتل من أجل استقلال أوروبا.[٤٢]

وصلت تردّدات الأحداث في أوروبا مؤخّرًا إلى المجتمع العالمي، إذ أقدم كريغ هيكس في ١١ شباط ٢٠١٥ على قتل ثلاثة أشخاص مسلمين على خلفيّة دينيّة في نورث كارولاينا في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وقد جاء هذا الحادث عقب الهجوم على جريدة تشارلي إيبدو.[٤٣]

ثانيًا: ارتباط الأحداث الإرهابيّة في أوروبا بالهجرة غير الشّرعيّة

هناك حاليًّا رأيان مختلفان في الاتّحاد الأوروبي حول الهجرة. فالأحزاب اليساريّة تعتبر أنَّ تنظيم "داعش" يريد جذب الأوروبّيّين إليه وليس تصدير مقاتليه إلى أوروبا، وبالتّالي لا علاقة للمهاجرين غير الشّرعيّين بالإرهاب، فيما الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة تعتبر أنّ المهاجرين عامّة، سواء غير

٤٢- Sarah Death, Anders Breivik massacre: Norway's worst nightmare, The Guardian, 22 February 2015, available from: http://www.theguardian.com/world/2015/feb/22/anders-breivik-massacre-one-of-us-anne-seierstad, Internet, accessed 22 December 2015

٤٣- Claire Carter, Three muslim students shot dead execution style, Mailonline, 12 February 2015, available from: http://www.dailymail.co.uk/news/article-2948803/Man-arrested-3-shot-death-North-Carolina.html, Internet, accesed 23 January 2016

الشّرعيّين أو المواطنين الأوروبيّين من الأجيال المتعاقبة للمهاجرين، هم مصدر الإرهاب. بغية معرفة حقيقة علاقة الإرهاب بالهجرة، يجب معرفة من ينفّذ الهجمات الإرهابيّة في أوروبا؟ وما إذا كان الإرهاب يضرب أوروبا فقط حيث تكمن ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة؟

١- منفذو العمليّات الإرهابيّة في أوروبا

منفّذا الهجوم على صحيفة تشارلي إيبدو، سعيد كواشي وشقيقه شريف[٤٤]، ولدا وترعرعا في فرنسا، ومنفذو الهجمات في باريس في تشرين الأوّل ٢٠١٥: عمر إسماعيل مصطفى، سامي أميمور، بلال حدفي هم مواطنون فرنسيّون، كما وأنَّ صلاح عبد السّلام وشقيقه إبراهيم، وعبد الحميد أباعود مواطنون بلجيكيّون.[٤٥]

إنّ الإرهابيّين الّذين فجّروا قطار الأنفاق في لندن العام ٢٠٠٥، هم: محمّد خان، شهزاد تنوير، حسيب حسين، وجرماين ليندسي، جميعهم مواطنون بريطانيّون[٤٦]. أمّا منفّذ عمليّة كوبنهاغن فهو المواطن الدّانماركي محمّد عبد الحميد الحسين.[٤٧]

إنّ منفّذ الهجوم في مدينة نيس هو التونسي محمد بوهلال الذي يملك تصريح إقامة فرنسي ويقطن في فرنسا منذ العام ٢٠٠٥.

٢- الحوادث الإرهابيّة في العالم

تعرّضت الولايات المتّحدة لعمل إرهابيّ في كانون الأوّل ٢٠١٥، حين قام سعيد سيّد فاروق وزوجته تشفين مالك، المولودان في الولايات المتّحدة،

٤٤- Charlie hebdo attackers, the guardian, available from: http://www.theguardian.com/world/2015/jan/12/-sp-charlie-hebdo-attackers-kids-france-radicalised-paris, Internet, accessed 18 December 2015

٤٥- Who were the terrorists, the Telegraph, 18 December 2015, available were from: http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/europe/france/11996120/Paris-attack-what-we-know-about-the-suspects.html,Internet, accessed 18 December 2015

٤٦- London bombings, BBC, 6 July 2015, available from: http://www.bbc.co.uk/newsround/33401669, 7/7 Internet, accessed 18 November 2015

٤٧- Defiant Danes march after gunman attacks, Reuters, 16 February 2015, available from: http://www.reuters.com/article/us-denmark-shooting-idUSKBN0LI0N720150217, Internet, accessed 18 November 2015

بإطلاق النّار في سان برناردينو كاليفورنيا داخل مركز للتّأهيل الصّحّي، ما أسفر عن مقتل ٢٠ شخصًا. سيّد فاروق كان موظّفًا حكوميًّا لمدة ٥ سنوات في المجال البيئي.

ضرب الإرهاب دولًا إفريقيّة عديدة. ففي العام ٢٠١٥، نفّذت منظّمة "القاعدة في المغرب الإسلامي" هجومًا على فندق في باماكو عاصمة جمهوريّة مالي أدّى إلى مقتل ٢٠ شخصًا، كما نفّذت منظّمة "الشّباب" الإرهابيّة هجومًا على حرم جامعي في كينيا راح ضحيّته ١٥٠ طالبًا. أمّا في كانون الثّاني ٢٠١٦، قُتِل ٢٣ شخصًا من ١٨ جنسيّة مختلفة في هجوم على فندق في بوركينا فاسّو نفذّته منظّمة "القاعدة في المغرب الإسلامي".

نالت الدول العربيّة أيضًا حصّتها من الإرهاب. ففي تونس، وقع هجوم على متحف باردو في آذار ٢٠١٥ أودى بحياة ٢١ شخصًا وقد أعلنت منظّمة "داعش" مسؤوليّتها عن الهجوم. أمّا في لبنان، في تشرين الثّاني ٢٠١٥، فوقع تفجير انتحاري مزدوج في العاصمة بيروت أدّى إلى استشهاد أكثر من أربعين شخصًا.

ضرب الإرهاب أيضًا آسيا. فتمّ تفجير طائرة ركّاب روسيّة في تشرين الأوّل ٢٠١٥ كانت قد أقلعت من مصر، وجاء هذا التّفجير ردًّا من "داعش" على التّدخّل الرّوسي في سوريا. "داعش" أيضًا تبنّى هجومًا انتحاريًّا في جاكرتا عاصمة إندونيسيا وقع في كانون الثّاني ٢٠١٦، واستهدف مقرًّا للأمم المتّحدة.

وفي الوقت نفسه، تعرّضت تركيا لثلاثة تفجيرات إرهابيّة. تفجيران انتحاريان في العام ٢٠١٥، وقد اتهمت تركيا في الحادثين حزب العمال الكردستاني، وتفجير آخر وقع في كانون الثّاني ٢٠١٦، حيث تبيّن أنّ منفّذ العمليّة ينتمي إلى تنظيم "داعش" الإرهابي.

٣- المقاتلون الأجانب في تنظيم الدّولة الإسلاميّة وحقيقة ارتباط الإرهاب بالهجرة غير الشّرعيّة

يقاتل حوالى خمسة آلاف مواطن أوروبّي في صفوف تنظيم "داعش"، وهؤلاء يشكّلون حوالى ٢٥٪ ممّا يُعرف بالمقاتلين الأجانب في صفوف هذا التّنظيم، أي هم ليسوا عراقيّين أو سوريّين. حوالى ٢٠٪ من المقاتلين الأوروبيّين هم من غير الدّيانة الإسلاميّة، وقد اعتنقوا الإسلام للقتال في صفوف تنظيم "داعش".(٤٨)

إنّ ما أوردناه يدلّ إلى أنَّ الإرهاب لا يضرب أوروبا فقط، حيث يتدفّق المهاجرون غير الشرعيّين، إنَّما يضرب جميع أنحاء العالم، ويدلّ أيضًا إلى أنَّ الإرهابيّين ليسوا مهاجرين غير شرعيّين إنَّما هم مواطنون أوروبّيّون. كلّ ذلك يعزّز موقف الأحزاب اليساريّة الدّاعم لاستقبال المهاجرين غير الشّرعيّين من منطلق المبادئ والقيم الإنسانيّة للشّعب الأوروبّي.

ما أوردناه يدلّ أيضًا على أنَّ هؤلاء الإرهابيّين هم مواطنون إنَّما من الأجيال المتعاقبة للمهاجرين، لم يندمجوا في المجتمع الأوروبّي وتمّ تجنيدهم لتنفيذ أعمال إرهابيّة، وذلك يصبّ في مصلحة الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة. وبالتّالي، فإنّ الإرهاب ليس مرتبطًا حصرًا بالهجرة غير الشّرعيّة، إنَّما بالهجرة عامّة حتّى الشّرعيّة منها، والمشكلة إذًا ليست في تسلّل الإرهابيّين مع المهاجرين غير الشّرعيّين إنَّما المشكلة هي في دمج المواطنين الأوروبّيّين المتحدّرين من مهاجرين في مجتمعات الدول الأوروبّيّة.

إنَّ ممارسات بعض المسلمين في أوروبا وأسلوب حياتهم، وللموضوعيّة، يمنح اليمين المتطرّف فرصة لنشر أفكاره، وبخاصّةٍ عندما يتعلّق الأمر

٤٨- European union institute for security studies report, Waging Eurojihad: foreign fighters in ISIL, December 2015, available from: http://www.iss.europa.eu/uploads/media/Alert_53_Foreign_fighters_in_ISIL.pdf, Internet, accessed 2 January 2016, p 1, 2

بالتّعصّب الدّيني الأعمى، وممارسة بعض العادات والتّقاليد البالية في المجتمعات. وبالتّالي، ستستمرّ هذه الأحزاب باستخدام المهاجرين، الشّرعيّين أو غير الشّرعيّين على السّواء، كورقة لكسب التّأييد الشّعبي ولمحاولة الوصول إلى السّلطة بغية تنفيذ أجندتها السياسيّة وفي مقدّمتها إلغاء اتّفاقيّة "شينغن".

ثالثًا: مصير اتّفاقيّة "شينغن"

سيؤدّي إضعاف اتّفاقيّة "شينغن" أو إلغاؤها إلى تقييد حرّيّة حركة الأشخاص، وسيكون مقدّمة للحدّ من حركة البضائع وبالتّالي سيؤدّي إلى إنهاء الاتّحاد الأوروبي كما نعرفه اليوم. التّوجّه الحالي هو لإعادة النّظر في الاتّفاقيّة، والعمل على تحسينها، للتّمكّن من الموازنة بين الأمن وبين حرّيّة الحركة، ريثما يتمّ إيجاد حلّ لظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة.

١- الاتّفاقيّة في وضعها الحاليّ

أقرّت اتّفاقيّة "شينغن" في ١٤ حزيران ١٩٨٥ من قبل خمس دول، وأصبحت اليوم تضمّ ٢٦ دولة، ٢٢ منها أعضاء في الاتّحاد الأوروبي إضافة إلى أيسلندا، والنروج، وسويسرا، وليشتنشتاين من خارج الاتّحاد. الدول الأعضاء في الاتّحاد التي ليست جزءًا من الاتّفاقيّة هي بريطانيا وإيرلندا اللّتان لم توقّعا الاتّفاقيّة، إضافة إلى الدول الّتي انضمّت حديثًا إلى الاتّحاد وهي رومانيا، وبلغاريا، وقبرص، وكرواتيا وجميعها تنتظر السّماح لها بالانضمام إلى الاتّفاقيّة.[٤٩]

وقد ألغت اتّفاقيّة "شينغن" الحدود الدّاخلية بين الدول الأعضاء، إنّما في المقابل شدّدت من إجراءات مراقبة الحدود الخارجيّة، فأنشأت منظّمة (Frontex) لهذه الغاية، وفعّلت عمليّات التّعاون القضائي بين الدول

٤٩- Esther Ademmer, 30 years of Schengen, internal blessing, external curse, Kiel policy brief, June 2015, p 2.

وأنشأت نظامًا لتبادل المعلومات الأمنيّة (Schengen Information System). فقد تمّ، على سبيل المثال، توقيف أحد منفّذي الهجمات في لندن العام ٢٠٠٥، من قبل السّلطات الإيطاليّة في روما بالاستعانة بهذا النّظام.[٥٠] وتمّ تعديل الاتّفاقيّة في ٦ تشرين الثّاني ٢٠١٣، وأصبح بإمكان الدول الأعضاء إعادة إجراءات التّدقيق على الحدود الدّاخليّة عند وجود أي خطر أمني وذلك بصورة مؤقّتة لمدّة ثلاثين يومًا أو حتّى يزول الخطر، على ألّا تتعدّى المدّة ستّة أشهر، وبعد مراجعة المفوّضيّة الأوروبّيّة.[٥١]

أعادت ستّ دول أعضاء في اتّفاقيّة "شينغن" إجراءات التّدقيق على حدودها الدّاخلية. ألمانيا، والسّويد، والنّمسا[٥٢]، والنّروج، والدّانمارك قامت بهذا الإجراء للحدّ من تدفّق المهاجرين إليها لعدم قدرتها على استيعابهم، ولتوجيه رسالة إلى دول الاتّحاد الأوروبي بضرورة التّعاون لحلّ أزمة المهاجرين. أمّا فرنسا، فأعادت إجراءات التّدقيق لأسباب أمنيّة على أثر أحداث تشرين الثّاني في باريس.

٢- مستقبل الاتّفاقيّة

تتعرّض الاتّفاقيّة حاليًّا لضغوط عديدة ناتجة عن ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة، وقد عبّر عن هذا الوضع رئيس المجلس الأوروبّي دونالد تاسك إذ حذّر بتاريخ ١٩ كانون الثّاني ٢٠١٦، بأنّه ما لم يتمّ إيجاد حلّ لظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة خلال شهرين فإنّ اتّفاقيّة "شينغن" في خطر.[٥٣]

إنّ وصول الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة إلى السّلطة قد يؤدّي حتمًا إلى إلغاء الاتّفاقيّة. لكنّ الاتّحاد الأوروبي حاليًّا، وعلى الرّغم من الانتقادات

٥٠- المرجع السّابق، ص ٢.

٥١- الجريدة الرسمية للإتحاد الأوروبي، القرار رقم ٢٠١٣/١٠٥١، تاريخ ٢٠١٣/١١/٦، المادة ٢٣، ص٥.

٥٢- تقوم النمسا بمدّ سياج بطول ٣,٧ كلم على حدودها مع سلوفينيا، وهي سابقة من نوعها بين دولتين أعضاء في إتّفاقية "شينغن".

٥٣- Tusk gives EU two months to save Schengen, Euronews, 19 January 2016, available from: http://www.euronews.com/2016/01/19/tusk-gives-the-eu-two-months-to-save-schengen/, Internet, accessed 23 January 2016.

العديدة التي تتعرّض لها الاتّفاقيّة، فإنّه لن يتخلّى عنها بسهولة إذ إنّها تعتبر من أهمّ إنجازاته، فهي تسهم بإختصار وقت نقل البضائع إلى الأسواق الأوروبّيّة وبتخفيض كلفة نقلها، وبزيادة عدد السّياح، وتُوَفِّر على الدّوَل الأعضاء كلفة مراقبة حدودها الدّاخليّة.

يتوقّع تعديل الاتّفاقيّة مرّة ثانية أو تعليق العمل بها لفترة محدودة تحت ضغط الدول الأعضاء لإعطاء هذه الأخيرة صلاحيّة أكبر في إعادة التّدقيق بالجوازات على الحدود. كما ومن المتوقّع أيضًا أن تدفع دول أوروبا الشّماليّة باتّجاه تعليق عضويّة، أو حتّى طرد، الدول الواقعة على الحدود الخارجيّة الّتي لا تستطيع ضبط حدودها، إضافة إلى أنَّ دخول دُوَل جديدة إلى هذه الاتّفاقيّة كرومانيا وبلغاريا وقبرص وكرواتيا سيصبح أمرًا صعبًا. (٥٤)

في المقابل، سيتمّ تحسين مراقبة الشّرطة في القطارات والباصات، وستزداد عمليّات التّفتيش المفاجئة المتفرّقة. كما وأنّ بعض الدول ستقوم، تحت ضغط الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة، بتعديل قوانين حصول المهاجرين على التّقديمات الاجتماعيّة للحدّ من تنقّل المهاجرين بين هذه الدول.

الخاتمة

نشهد اليوم هجرة غير شرعيّة غير مسبوقة ليس بأعدادها فحسب إنّما بأهمّيّتها أيضًا، إذ إنَّها عاملٌ أساسيٌّ في تطوّر الأحداث في الشّرق الأوسط وأوروبا. إذا أردنا توصيف ما يجري حاليًّا في هاتين المنطقتين فأفضل عبارة قد تكون "انقلاب السّحر على السّاحر"، فالثّورات العربيّة الّتي انطلقت باسم حقوق الإنسان وبتشجيع من دول عديدة منها الدول الأوروبّيّة، وبسبب

٥٤- Europe Rethinks the Schengen Agreement, Stratfor global intelligence, 2 September 2015, available from: https://www.stratfor.com/analysis/europe-rethinks-schengen-agreement, Internet, accessed 22 December 2015.

ظاهرة الهجرة غير الشّرعيّة، جعلت أوروبا، وباسم حقوق الإنسان نفسها، مطالبة باستقبال المهاجرين الّذين أنتجتهم هذه الثّورات.

أصبحت الهجرة غير الشّرعيّة حبل خلاص ما بين الشّرق الأوسط وأوروبا. فعدم الاستقرار في الشّرق الأوسط سيؤدي حتمًا إلى عدم الاستقرار في أوروبا، ومن يدري فقد تكون هجرة منظّمة هادفة إلى خلق هذا الرّابط! أوروبا اليوم بحاجة إلى إعادة "الاتّحاد" إلى دولها، وبحاجة إلى قرارٍ جريء بولادة قيصريّة وذلك بإظهار الحزم في المتوسّط وعلى حدودها البرّيّة لمنع تدفّق المهاجرين، في مقابل تأمينها بدائل لهؤلاء المهاجرين تكون تحت سيطرتها، وإلّا فالحرب ستشتعل في داخلها لا محالة، إنَّما يبقى السّؤال متى؟

ملخصات

تسهيلًا لاستفادة المهتمين من الأبحاث المنشورة، تعمل "الدفاع الوطني اللبناني" على نشر خلاصات باللغة العربية للأبحاث المحرّرة بالفرنسية والإنكليزية، وخلاصات بهاتين اللغتين للأبحاث المنشورة بالعربية.

تأثير اكتشافات النفط والغاز الطبيعي على الصراع اللبناني - الإسرائيلي

العقيد جورج الدرزي ١٠٨

سياسة أوباما الخارجيّة: العودة إلى مذهبيّ الذّرائعيّة والواقعيّة

د. أمين لبّس ١١٠

تأثير اكتشافات النفط والغاز الطبيعي على الصراع اللبناني – الإسرائيلي

العقيد جورج الدرزي

قد يشكّل اكتشاف حقول ضخمة من النفط والغاز في حوض المشرق احتمالًا لحصول تطوّر اقتصادي ونموٍّ في ثروات بلدان المنطقة. هذه الاكتشافات من شأنها أيضًا أن تحسّن قطاع الطاقة في بلدان كانت مستوردة للنفط والغاز الطبيعي منذ تأسيسها. ونظرًا إلى كلّ كمية الموارد المكتشفة، وبالاعتماد على سرعة هذه البلدان في التحرك وإدارتها الجيدة للثروة المستجدة، يمكن لبلدان المشرق أن تنضمّ إلى نادي البلدان المصدّرة للمواد الهيدروكربونية.

من المعلوم أنّ لبنان لا ينعم بموارد غازية أو نفطية رغم موقعه الجغرافي في الشرق الأوسط وهي منطقة معروفة تاريخيًا بكونها غنية بموارد الطاقة، كما أنّه لم يتم تسجيل أي اكتشافات كبيرة في مجالي النفط أو الغاز. ومنذ إعلان الاستقلال العام ١٩٤٣، بدأت البلاد بالبحث عن النفط عبر حفر العديد من الآبار برًا إلّا أنّ الحكومة ألغت تراخيص التنقيب مع بدء الحرب الأهلية اللبنانية العام ١٩٧٥بما أنّ النتائج كانت ضعيفة.

وتظهر الفوائد المحتملة لتوفّر مخزون محلّي من الغاز بشكل واضح في لبنان فهي قد تضع حدًا للتقنين في التيار الكهربائي، كما قد تلغي الدين العام الآخذ بالارتفاع سريعًا، إضافة إلى إعادة إحياء الاقتصاد وتنمية المجتمع وخفض نسبة التلوّث.

من جهة ثانية، سيعمل لاعبون دوليون وإقليميون على التوصل إلى تسوية بين لبنان وإسرائيل من خلال هذه الاكتشافات النفطية، ومن المعلوم أنّ الاتحاد الأوروبي يسعى إلى مواصلة الجهود لتعزيز قطاع الطاقة لديه وتقليص اعتماده على روسيا، في ضوء أزمة ضمّ القرم، من خلال تنويع مصادر استيراد الغاز. ومن المنطقي الافتراض بأنّ روسيا ستطلق من دون أدنى شك حوارًا مع بلدان المشرق بهدف خلق الظروف المناسبة للاستفادة بشكل مشترك من موارد الطاقة، خصوصًا مع العلم بأنّ الاتحاد الأوروبي يمكن أن يقدّم استثمارات في مجالي التكنولوجيا والخبرات.

وتشارك الولايات المتحدة أيضًا في الاكتشافات الجديدة في موارد الطاقة من خلال شركاتها النفطية العالمية وبخاصة شركة "نوبل إينيرجي كومباني" ومقرّها ولاية تكساس. ونظرًا إلى أنّ شركة "نوبل إينيرجي" تشكّل الشركة الأولى في مجال التنقيب عن الغاز في إسرائيل فقد أبدت واشنطن اهتمامًا شديدًا في ضمان ألا تتحوّل الثروة الاقتصادية غير المتوقّعة إلى سبب إضافي لاندلا ع الحرب. وتُعتبر الشراكة الأميركية في مجال التنقيب عن مخزونات النفط والغاز الطبيعي حافزًا كبيرًا لأداء دور الوسيط خلال أي نزاعات حالية أو مستقبلية بين لبنان وإسرائيل. ويمكن للولايات المتحدة، لا بل يجدر بها، أن تؤدي دور المساعدة على نزع فتيل أي أسباب أخرى محتملة لحدوث نزاعات، الأمر الذي سيسمح لكلا البلدين باستكشاف ثروتيهما الهيدروكربونية تحت مياه البحر بسلام، وهذا ما يطرح أيضًا فرصًا إضافية أمام المزيد من شركات النفط الأميركية لتوقيع عقود استكشاف.

سياسة أوباما الخارجيّة: العودة إلى مذهبيّ الذّرائعيّة والواقعيّة

د. أمين لبّس

لا يشغل انتخاب رئيس للولايات المتّحدة الأميركيّة بال تلك الأخيرة وشعبها فحسب، بل يشمل كذلك قسمًا كبيرًا من البلدان، نظرًا للدّور المهمّ الذي يؤدّيه الرّئيس الأميركي على السّاحة الدّوليّة. وتتباين تبعات هذا الانتخاب بشكلٍ ملحوظ بحسب الشّخصيّة المنتخبة والسّياق السّياسي الخاص الذي تتواجد فيه الولايات المتّحدة والمحيط الدّولي.

بعد اعتداء ١١ أيلول ٢٠٠١ على الأراضي الأميركيّة، اعتمدت إدارة الرئيس السّابق بوش خلال الأيّام التي تلت الاعتداء سياسة خارجيّة جديدة اتّصفت ببعثات عسكريّة وبتشكّل موقف موحّد. وتحت تأثير مارسه فريق صغير من المحافظين الجدد العاملين ضمن إدارة بوش، اعتُمدت سياسة خارجيّة جديدة تمّ إعلانها بشكلٍ رسميّ في أيلول ٢٠٠٢ تحت إسم استراتيجيّة الأمن الوطني **(National Security Strategy)**.

توجّب على الرئيس أوباما مجابهة عالم دائم الحركة، انطلاقًا من منطقة الشّرق الأوسط مرورًا بأفريقيا ووصولًا إلى أوروبا، فالأزمات تهزّ العالم أجمع. كما تُشكّل مجموعات تنظيميّة غير دوليّة فاعلة كالقاعدة والنصرة وداعش هي في أقصى درجات التطوّر والنموّ، سلسلة تهديدات جديدة للنّظام الدّولي.

ويعزو أوباما هذا الأمر إلى العودة لمذهبيّ الذّرائعيّة أو الواقعيّة، فهو على يقين أنّ بلاده خسرت الكثير من حيث القدرة على التأثير وعليها الاكتفاء "بالحفاظ على زعامتها العامّة ". في الواقع، إنّ الإشكاليّة الكبرى التي تواجهها الولايات المتّحدة اليوم هي الحفاظ على حضور استراتيجيين واقتصاديين وتأثيرهم في العالم في ظلّ تدنّي مستوى المصادر الماليّة.

ومع أنّها القوّة العظمى الوحيدة في وقتنا الحاضر، إلّا أنّه يبدو أنّ ولايات الرئيس باراك أوباما المتّحدة في حالة استراحة بعد أن أُنهكت محاولةً جمع وتوطيد شروط

وخصائص للزّعامة. أمّا الولايات المتّحدة فتعطي اليوم انطباعًا بأنّها تواجه مشاكل على صعيد اتخاذ قرارات حاسمة وواضحة في وقت ينقضّ فيه الرئيس أوباما هذا الأمر قائلًا: "الذين قد يتوقّعون أنّ أميركا في حالة انحطاط وأنّ زعامتها في العالم تتضاءل".

لكنّ الرئيس أوباما يعتبر دائمًا أنّ "أميركا نادرًا ما تحلّت بهذه القوّة بالنّسبة لباقي دول العالم "وقال إنّ قواتها المسلّحة لا توازيها أي قوى أخرى، مخفّفًا بذلك احتمال حدوث أيّ أمر يهدّدها مباشرة، كما شدّد على أنّ اقتصادها لا يزال الأكثر ديناميكيّة في العالم وشركاتها هي الأكثر ابتكارًا. كما يقول أوباما إنّ استقلاليتّها على صعيد تصدير الطاقّة في ازدياد، وإنّ بلاده هي مركز التحالفات من أوروبا إلى آسيا، الأمر الذي لم يُشهد له مثيل في تاريخ الأمم.

شرف. تضحية. وفاء

DEFENSE NATIONALE LIBANAISE

N° 98 - October 2016

Protecting the border

It is commonly known that each country has a neighboring country in normal cases and that both countries engage in commercial, security, health and cultural relations. Every country is influenced by the circumstances of its neighbor but more than that we may say that they are mutually influenced and they cooperate, converge and diverge. The second country in this case has in its turn a third and forth neighbor and so forth since countries spread throughout the planet.

Each country influences other countries and is influenced by others in its turn and there is certainly no country that can be considered hanging in space, isolated from other countries, self sufficient in terms of resources, stranded in the field of knowledge and welfare, with windows shut vis-à-vis other countries and barriers raised to defy winds and waves. All of the above does not disclaim the fact that there are certain countries which are influenced and influence other countries more when compared to others. This can either mean that these countries may either prosper in abundance and general welfare or carry the burdens and responsibilities.

It is widely known that Lebanon is among the countries that never ceased to interact with other countries, with the exception of the Israeli enemy which is still extorting Arab territories. The factors that confirm this inclination are obvious to all the other sides thanks to its geographic location overlooking Europe to the west and the Arab brethren and all the Midlle Eastern countries to the east. These factors are added to Lebanon's capabilities in the Banking and media sectors together with its climate and cultural and patrimonial riches.

Lebanon is largely interactive with other countries in these domains and it is successively affected by the developments in neighboring countries and much further than that.

The repeated wars and crises that the Arab region is still witnessing until this day has turned into a huge fireball knocking the doors of our borders while the Israeli enemy is taking advantage of these incidents to carry out its criminal schemes and accomplish its historic avidities. Thus, the Army will be an effective contributor in thwarting the repercussions of the incidents ravaging the flaming neighborhood represented in the increasing terrorist danger, and has managed to fend off the fireball and threw it back to its gloomy sources. Based on this, the Military Institution has every right to say through its command that it is confronting a regional and international terrorism that knows no borders with the recognition of the Great Powers and relying on these achievements are the heroic feats of our military units that grow bigger thanks to the troops who deserve all the appreciation and congratulations just as they deserve the weapons that best suit their sacrifices and competence.

Brigadier General Ali Kanso
Director of Orientation

Advisory Board

Prof. Adnan AL-AMIN
Prof. Michel NEHME
Prof. Nassim EL-KHOURY
General (R.T.D) Nizar ABDEL KADER
Prof. Tarek MAJZOUB
Prof. Issam MOUBARAK

Editor in Chief: Prof. Issam Moubarak
Editor Director: Jihane Jabbour

Writer's Guidelines

1- *The Lebanese National Defense Journal, a quarterly published in Arabic, English, and French, provides insightful, expert, and intellectual studies on military trends and cultural and strategic features.*

2- *Submitted articles should not be previously published or submitted for publishing elsewhere.*

3- *All submissions must be original work based on facts or scientific theories and empirically accurate. Informations mentioned in the article must also be supported by references. Submissions should be accompanied with a brief author's CV, including a list of previous published work, and summary of the article in either English or French.*

4- *All submissions will be evaluated by an editorial committee that would advise whether the articles will be published or rejected.*

5- *The Journal will inform writers within two months if submission will be published. The editors reserve the right to publish accepted articles in any upcoming issue they deem appropriate. The editor will inform writers of any significant changes that the committee has recommended.*

6- *All articles should be electronically submitted on a word document and size of the articles should be between 6000 and 6500 words.*

7- *The Journal considers all published materials to reflect the opinion of the author and doesn't necessarily reflect the opinion of the Lebanese army.*

8- *The Journal hold all copyrights on published materials and republication or redistribution of content is prohibited without the prior written consent of the Journal.*

For inquiries, contact the Lebanese National Defense editor at tawjihmatbouat@lebarmy.gov.lb

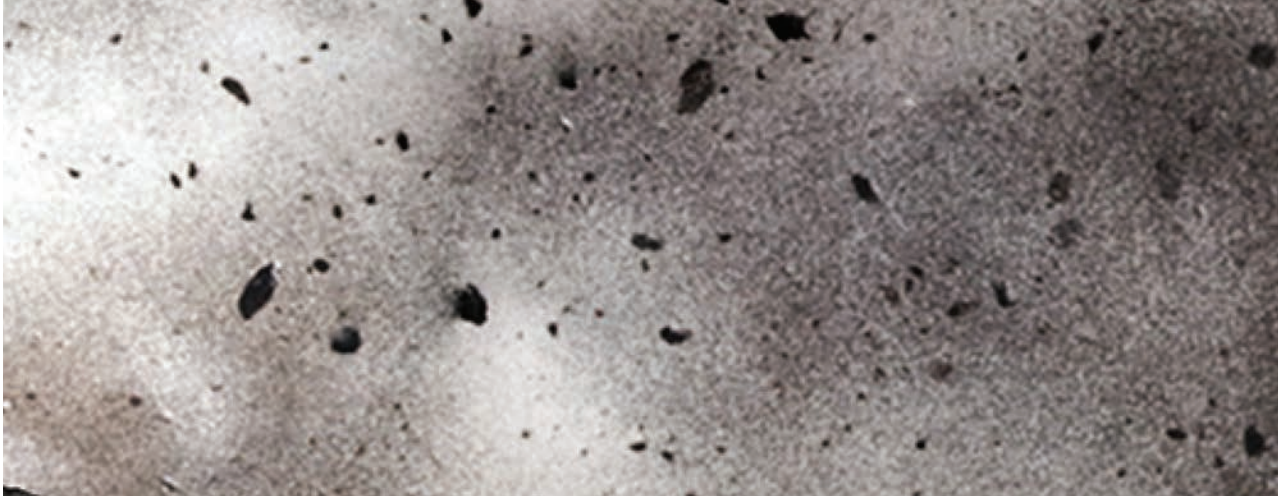

Contents

N° 98 - October 2016

The Impact of Oil and Natural Gas Discoveries on the Lebanese-Israeli Conflict

COL.Georges Al Darazy ***5***

La politique étrangère d'Obama: le retour au pragmatisme et au réalisme

Dr. Amine Lebbos ***31***

Abstracts ***51***

Résumés ***58***

DEFENSE NATIONALE LIBANAISE

The Impact of Oil and Natural Gas Discoveries on the Lebanese-Israeli Conflict

COL. Georges Al Darazy*

Introduction

The discovery of huge oil and gas fields in the Levant Basin could be a new prospect for bringing both wealth and economic development to each of the countries in the region. It could also improve the energy security for countries that have been importers for both oil and natural gas since their inception. With the amount of resources discovered, and depending on their agility and proper management of the new fortune, the Levant countries could join the club of hydrocarbon exporters.

* *Officer in the lebanese army*

This study seeks to address possible implications for two countries in this region, Lebanon and Israel, in light of the prospect of discoveries of oil and natural gas reserves offshore. It will review the question of the maritime borders and the controversial

positions of the two countries and address the prospects of rising tensions between them on one hand, and the possible scenarios of cooperation on the other.

Implications for Lebanon

Lebanon has no oil or gas resources. While the country is located in the Middle East, an area historically rich in energy resources, no major oil or gas discoveries have ever been noted. Since its independence in 1943, the country started its search for oil by drilling many wells onshore. As the result was meager and once the civil war erupted in 1975, the government cancelled the exploration licenses.

This situation has changed with the discovery of significant natural gas reserves off the shores of Israel and Cyprus; the countries that share the same geological underwater basin with Lebanon. In August 2010, the Lebanese Parliament passed legislation concerning offshore Hydrocarbon exploration by allowing two Norwegian energy companies to conduct surveys in the Lebanese waters.[1] The survey estimated that it holds 708 Billion Cubic Meters (BCM) of natural gas and from 440 to 675 million oil barrels.[2] In 2013, The Lebanese cabinet adopted a decree specifying the conditions and qualifications for companies wishing to bid for an offshore exploration license. However, political turmoil delayed the deadline for submitting bids several times, putting the process of exploration in danger. Therefore, Lebanon is unable to start extracting oil and/or gas until at least around 2018, as planned. Meanwhile, huge new gas fields have been found offshore of Egypt and Israel, increasing the prospect that the pool extends into Lebanese waters as well.

Benefits and Challenges

In Lebanon, the potential benefits from a domestic supply of gas are immediately clear; ending power shortages, wiping out Lebanon's rapidly rising public debt, reviving the economic sector, social development, and the reduction of pollution.

Locally produced natural gas is a major factor in resolving the question regarding the production of electricity in Lebanon. At present, the country suffers from daily cuts in electricity, because the demand exceeds 2,400 megawatts at peak times, while the production does not exceed 1,500 megawatts.[3] Moreover, the production is costly, in that it relies on expensive, imported fuel, mainly diesel, which causes an annual deficit of 1.5 billion dollars on the public purse and generates losses on the national economy estimated at no less than $2.5 billion dollars per year. [4] Lastly, diesel generators used locally by citizens to provide for the missing electricity are not only a financial burden, but are also a source of air pollution. This dire situation could certainly be made better by using natural gas; allowing the country to switch its power plants from imported fuel to locally sourced natural gas.

Perhaps the Lebanese economic sector will benefit most from the exploitation of the new discoveries. The opportunities might contribute to an increase in sustained economic growth, increase Lebanon's Gross Domestic Product (GDP) and possibly create more opportunities for investors and direct revenues through the collection of royalties and profits from oil and gas production[5]. Furthermore, oil and gas revenues might also help Lebanon better manage its public finances by reducing the government's expenses, and thus reduce budget deficits; especially in light of the fact that the country is encumbered with one of the highest debt rates in the world (133.28 percent of GDP in 2014).[6] Moreover,

the development of gas fields might help reduce the deficit in the country's current account balance by increasing exports and/or reducing imports of other fossil fuels. Lebanon recorded a Current Account deficit of 25 percent of the country's Gross Domestic Product (GDP), in 2015.[7] In addition, these revenues will help the industrial sector to grow and change the current situation of the Lebanese economy which relies heavily on the service sector (76 percent of GDP), while the industrial sector only accounts for 19 percent of GDP.[8] Lebanese industrialists might even benefit from a low cost energy bill by allowing their products to compete on the international markets.[9]

The discovery of gas and oil has the potential of contributing to Lebanese social development as well. It might create jobs, spread wealth, and reduce unemployment; which was estimated around 23 percent as early as 2015 and rises to 33 percent amongst the youth.[10] In fact, the Lebanese government could encourage International Oil Companies (IOCs) to employ up to 80 percent of Lebanese nationals in their workforce. More importantly, the Lebanese Parliament would welcome the opportunity to promote social welfare, not only for the current generation, but for future generations too.[11] The Offshore Petroleum Resources law enacted in August 2010, stipulates that "the net proceeds collected or received by a government arising out of Petroleum Activities or Petroleum Rights shall be placed in a sovereign fund."[12]

Finally, by switching to gas-generated electricity, Lebanon might also be contributing to its environmental security. In fact, natural gas is the cleanest burning fossil fuel; generating lesser amounts of greenhouse gases and pollutants per unit of energy produced than do other fossil fuels. In addition, natural gas is proven to have an environmental advantage when compressed and when used in the transportation sector. Cars running on this type of fuel have fewer hydro-carbon emissions than any other

vehicle fuel being used today.[13] This could lower the emission of toxic gases in greater Beirut, where the high level of Nitrous Oxide goes beyond the international lower limit. [14]

On the other hand, Lebanon faces a number of challenges that may negatively influence resource exploration and production activities and deter firms from exploring its resource. These challenges are mainly related to repercussions from Syria's war, political instability, corruption, technical problems and the maritime border disputes with Israel.

The conflict in Syria negatively affects Lebanon in many ways which do not reassure potential investors. The first is that the Syrian war is one of the key causes of the political impasse that the country is facing, such as the delay of the presidential election. [15] Secondly, Syria's conflict has generated gun battles, rocket attacks, car bombs and kidnappings inside Lebanon's borders.[16] Thirdly, the afflux of one million Syrian refugees to a small country like Lebanon further confuses the situation; especially in light of the fact that many militants are mixed with civilians while they try to take advantage of destabilizing the security of the country [17].

The predominant political instability in the country could also affect foreign companies' interests in getting involved in the exploitation of offshore resources. In fact, the delicate balance existing among the main communities constituting the Lebanese population hide underlying tensions between these communities of differing religious and political loyalties. This dynamic has resulted in repeated power vacuums that have characterized the country's history and continue to manifest today.[18] The Parliament has been unable to elect a new president since 25 May 2014. This situation makes it difficult to start the exploration program. The repeated postponements risk deterring oil and gas majors who would seek opportunities elsewhere.[19]

Another problem facing the new resource exploration is the high level of corruption within the country. According to Transparency International, Lebanon ranked 127th out of the 177 countries assessed, which placed it among countries that has higher rate in corruption for 2015.[20] This could be an indicator that oil revenue would not be equally shared by all Lebanese [21].

Technical issues could also hinder gas exportation from Lebanon. At the moment, the war in Syria doesn't allow any use of pipeline. Lebanon would have to export its gas by sea, in tankers, and Lebanon has no facilities to do so. Even if it did, it would have to compete in the world market with lower-cost suppliers in other countries.

Finally, the country has little experience in the petroleum sector. Very little oil and gas developments have occurred in Lebanon since as early as 1947. In addition, the only experience that Lebanon had in the petroleum sector was in refining. Lebanon was among the first in the Middle East to build oil refineries in the 1950s, but now its facilities in Zahrani and Tripoli are inoperative.[22]

Lebanon's strong points

It is true that Lebanon is lagging behind its neighbors in the region (Israel and Cyprus who are already either exploring for or exploiting their resources) with regard to exploration and production activities; however, the country may compensate for this through other possible strong points.

First of all, Lebanon's strategic location and its good relation with its neighbors (except for Israel) provide added value for Lebanon compared to other countries in the region. [23] Located in the vicinity of Turkey, Europe and the Suez Canal, Lebanon benefits from relative ease of access for exporting Lebanese gas

to the region when the war ends in Syria, to Europe through onshore or offshore pipelines, and to the international market through LNG plants that can be built in Lebanon, jointly with other countries in the region, or by using existing plants in Egypt for example.[24] This may allow Lebanon the opportunity to play a role in supplying a portion of the regional demand, but more importantly, contribute to the diversification of gas supplies. Depending on the volume of gas that may be produced, Lebanon may be able to access the global market through LNG. [25]

Offshore exploration requires capital to extract energy reserves as well as developing the needed infrastructure for gas processing and transportation. It is true that the Lebanese government lacks capital needed for exploration activities, however the Lebanese private sector in general, and the banking sector in particular, possesses the tools suitable for this kind of investment.[26]

In addition, Lebanon has a very prestigious education system which can generate a qualified workforce and human resources. According to a 2015 World Economic Forum report, Lebanon is ranked 10th in overall quality of education, and 4th in science and math.[27] This indication might allow the country to have the skills needed to actively engage in developing the oil and natural gas sector, and also provide IOCs with less cheaper local employees, relieving them from bringing their own workforce particularly in cases of critical security status. [28]

Finally, it is worth mentioning that the Lebanese government conducted extensive and high quality 2D and 3D seismic surveys covering 100 percent (2D) and 70 percent (3D) of the Lebanese offshore areas respectively. A tally of this seismic data offers a realistic idea of natural gas and oil resources that could be discovered under the waters of the Lebanese waters. This could reduce the exploration phase. [29]

Implications for Israel

Since its founding in 1948, Israel has been almost totally dependent on fuel imports for energy. This expensive and risky process pushed Israel to search hard for energy resources. In the late 1950s, the first attempts to discover onshore petroleum began when small gas fields were discovered in the southern Judean Desert[30]. In 1969, offshore drilling started and the attempts lasted for 30 years without concrete success.[31] These discoveries received a boost after the signing of the Camp David Agreement between Israel and Egypt in 1979. This new situation allowed IOCs to work in both countries.

Table 1 outlines some of the major Israeli discoveries of natural gas from 1999 until today, as well as the proven reserves in each of the gas fields.

Table 1. Recent Natural Gas Discoveries in Israel

Discovery Date	Field Name	Estimated Reserves (BCM)	Production Date
1999	Noa	2.3	2012
2000	Mari-B	30	2004
2009	Dalit	7 to 14	2013
2009	Tamar	246	2013
2010	Leviathan	540	2016
2011	Dolphin	2.3	unknown
2012	Shimshon	16	unknown
2012	Tanin	34	unknown
2013	Karish	44	unknown
2016	Daniel	246	unknown

Source: EIA

It is important to mention that in February 2016, Israeli Energy Minister Yuval Steinitz, gave a new assessment of a potential 2,100 BCMs of natural gas, in contrast to the 680 BCMs that the Tzemach Committee relied on to examine the government's policy regarding the natural gas market.[32]

Israel's Resources opportunities and challenges

These discoveries and the prospect of more discoveries being made in the future, will impact Israel on a number of levels. These impacts constitute both opportunities and challenges for Israel.

From a security perspective, these discoveries will allow Israel to improve its energy security as it reduces its dependence on imported sources of energy for domestic use, substituting them with locally produced natural gas.[33] For instance, in 2003, Israel produced electricity by using coal and oil. In 2010, Israel consumed 5.3 BCM of natural gas, of which 90 percent went to electricity generation, leading to a savings of 1.4 billion dollars for the economy. [34]

However, Israel's dependence on natural gas could be risky because Israel relies on only one production treatment platform and one pipeline to deliver the gas for local consumption.[35] The gas flow could be threatened by technical problems. Another possible threat may come from nature, like earthquakes. A third danger, and perhaps most significant, is a military one. The fields that are located in the southern waters (Mari-B and Noa) could be easily targeted by Hamas (in Gaza), and those in the northern waters (the Leviathan and Tamar) are within Hezbollah's missile range.[36] Also, terrorist acts that could destroy a gas or oil facility by means of a crashing plane, cyber-attacks, guided missiles, Unmanned Aerial Vehicles or suicide boats at sea still exist. [37]

In order to mitigate some of these risks, the Israeli government

took some preventative measures. Israel is planning to build a Liquid Natural Gas (LNG) facility that will draw natural gas supplies from the Tamar Field and the nearby Dalit Field. This would help the country in diversifying its energy sources[38] Militarily, the Israeli Navy protects offshore gas fields and installations, but with just 3 corvettes, 10 missile boats, 3 operational submarines, and 42 patrol boats; the naval fleet remains insufficient to cover the entire EEZ. [39]

Economically, Israel is facing many difficulties due to its growing prices and the degradation of salaries and social services; particularly in the housing market.[40] The domestic use of natural gas can ensure a more viable and a more sustainable economy by making industrial production cheaper and thus more competitive[41]. In addition, the growth of oil and gas exports will provide the Israeli government with a considerable source of income and could allow Israel a very high degree of financial independence.[42]

Scientific research could also benefit from the gas exploration. By searching for the best ways to use the gas in the local market, and by striving to protect gas fields and the infrastructure related to them such as pipelines, refineries, and platforms, Israeli security technology companies could develop advanced technologies.[43]

Moreover, natural gas, if used as source of power for desalination plants, could positively affect the conflict over water in the region[44]. Additionally, a bigger dependence of natural gas would decrease the CO2 emission levels.[45] However, an environmental risk resulting from offshore gas or oil drilling could be disastrous to not just Israel, but the region at large. An accident, such as even a minor leak, could pollute Israeli beaches (which are vital to its tourist industry) and even endanger its marine natural life. The Israeli government admits that the country does not possess

the experience, the tools, the control systems nor the emergency plans to prevent such kind of disasters. [46]

Finally, the gas fields discovered are large enough to enable Israel to export its resources. Accordingly, the Israeli Cabinet decided to export 40 percent of its production.[47] This decision is intended to make Israel a viable exporter of natural gas and thus play a positive role in the country's relationships with its neighbors such as Cyprus, Egypt, Jordan, the Palestinians, and Turkey. For instance, Israel and Cyprus are now planning to reach the European markets by means of a pipeline that goes through the Greek island of Crete, or by building a shared LNG plant at Vassiliko on Cyprus's southern shore.[48] Moreover, in early 2014, Israel signed a natural gas sales agreement to provide Jordan with 1.6 trillion cubic feet of natural gas from the Tamar Field over a 15 year period with exports beginning in 2016.[49] Another agreement approved by the Israeli government is to supply the Palestinian Authority with natural gas from Leviathan Field once production commences in 2017.[50] Finally, by restoring its relations with Ankara in June 2016, Israel is looking to explore a pipeline both for consumers in Turkey and as a connection to Europe.

The Lebanese-Israeli Maritime Disputed Borders

Lebanon and Israel have never been delineated because they have officially been at war since Israel declared independence in 1948. This on-going dispute over the shared maritime boundary could affect the two countries' abilities, and in particular Lebanon, to proceed with their offshore development plans because tensions could even make it impossible for firms to work in both countries at once. The two countries have avoided direct or even indirect negotiations to settle the maritime borders. In

fact, Lebanon as member of the Arab League, does not recognize Israel. Moreover, Israel recently rejected a compromise proposal put forward by the United States (US) on the dispute. The two countries then went to the UN to claim their rights using the United Nations Convention on the Law of the Sea (UNCLOS) as a legal basis.[51]

It is acknowledged that, in the absence of an agreement, delimitation should take place on the basis of the median line or the equidistance line from the baselines.[52] Further, a State should proclaim its Economic Exclusive Zone (EEZ) and express its delimitation in its national laws in order to obtain sovereign rights to explore, exploit, conserve, and manage the natural resources included.[53] UNCLOS article 75 provides that States must deposit charts and lists of geographical coordinates of the EEZ to the UN.[54] In addition, Mediterranean States should cooperate "in the exercise of their rights and in the performance of their duties" in cases of disagreement, because the Mediterranean Sea is a semi–enclosed one.[55] Finally, it is worth mentioning that Lebanon ratified UNCLOS in January 1995; unfortunately, Israel is not a party to UNCLOS. However, from a legal perspective, UNCLOS, and in particular the rules relating to maritime borders, binds all countries, including countries which have not signed it, since it has become part of customary international law.[56]

Before going to the UN to proclaim its EEZ, Lebanon started the process of the delimitation of its maritime border. The Lebanese government signed an agreement with Cyprus that delineates its western EEZ border (see figure 1) in defining six equidistant points along a West line from South to North.[57] However, the Lebanese Parliament did not ratify this agreement due to political pressure coming from Turkey who wanted to

include the Northern part of Cyprus in any agreement done by Cyprus. Another reason is that Lebanon wanted to reach a free trade agreement with Turkey; which was actually signed at the end of November 2010.[58] Therefore, this non-ratified Agreement does not bind Lebanon.

Figure 1. Lebanese EEZ borders in the Lebanese–Cyprus Agreement (2007)
Source: Lebanon Ministry of Public Works and Transportation.

In 2010, the Lebanese government, according to Article 74 of UNCLOS, took the next step by submitting to the UN a chart of geographical coordinates defining the limits of its EEZ, in particular its southern boundary with Israel and its southwestern boundary with Cyprus.[59] This proclaimed EEZ goes north beyond point 6 and south beyond point 1 (see figure 2).

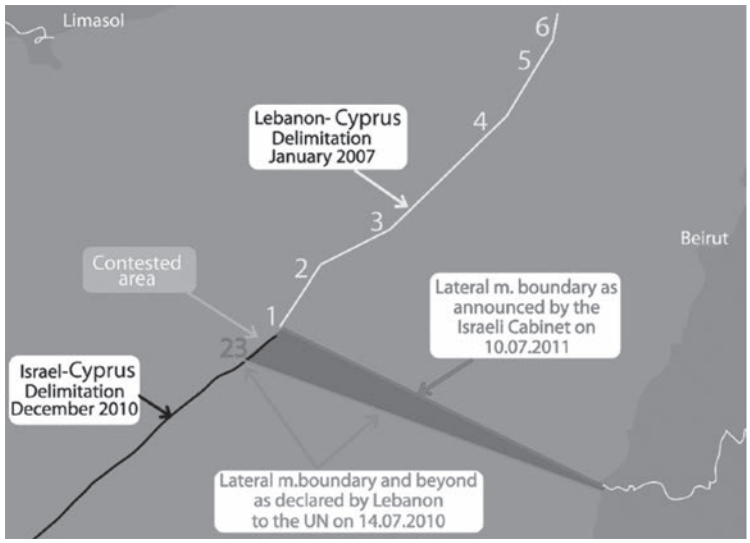

Figure 2. The contested area south-west of Lebanon's EEZ
Source: Offshore Border Dispute, "Oil and Gas in Lebanon,"

The boundaries depicted above added two points to the six points of 2007; Point 7 in the north and Point 23 in the south are respectively the northwest and southwest limits of the Lebanese EEZ. Point 23 is seventeen kilometers further. The speculations behind this difference are many. One could be simply a Lebanese diplomatic mistake done during the signing of the agreement with Cyprus in 2007. (60) Another explanation, more convincing, is that the Lebanese EEZ ended before reaching the triple point since this would need the involvement of the third state concerned (Israel), to give the opportunity to reexamine the geographical points.(61)

For its part, Israel also began the process of defining its EEZ by signing an agreement with Cyprus on their maritime boundaries in December 2010.(62) Lebanon rejected this agreement arguing that it conflicts with Lebanon's EEZ. In fact, this agreement used similar coordinates to the Lebanon-Cyprus Maritime Agreement by taking Point 1 as the terminal point of the northern limit of the Israeli EEZ, but overlapped a surface of 850 km2 with

Lebanon's rights over the maritime area according to its public delimitations at the disposal of the UN office in 2010.[63] Also, there is a provision in this agreement, similar to the one in the Lebanon-Cyprus agreement that opens the door for future modification.[64]

In July 2011, the Israeli Knesset sent a map to the UN of its maritime boundaries based on this Cyprus-Israel agreement, rejecting the EEZ's boundary deposited by Lebanon and ignoring its protest.[65] In this context, Prime Minister Binyamin Netanyahu declared:

Lebanon's boundary declaration contradicts the line Israel has agreed upon with Cyprus, and what is more significant to me is that it contradicts the line that Lebanon itself concluded with Cyprus in 2007. We have no choice but to set the borders ourselves.[66]

Based upon the positions of both countries through the lists of geographical coordinates submitted to the UN, it is obvious that Point 1 of the Israeli list of geographical coordinates is different from Point 23 of the Lebanese list of geographical coordinates.

In June 2011, Lebanon filed a protest against the Israel-Cyprus Maritime Agreement with the UN. Another letter was sent in September 2011 to protest against the Israeli submission of its EEZ to the UN.[67] Both letters highlighted the fact that the Israeli delimitation does not match the geographical points that Lebanon had deposited with the UN. The letter added that such attitudes could endanger international peace and security, and argued that Israel's coordinates violate the 1923 International Land Border established under the Paulet-Newcombe Agreement between France and Britain, and the 1949 Lebanon-Israel Armistice Line[68] Israel, on the other hand, notes that the Paulet-Newcombe Agreement never defined a point on the coast, and there is no

signed map or set of coordinates attached to the Israel-Lebanon 1949 Armistice Agreement. [69]

This contrast of proclamations and the overlapping zone between the two countries' EEZ resulted in a disputed area over 850 km2, in the shape of a triangle whose western apex is the Israeli-Lebanese land border and seaward base is Israel and Cyprus EEZs. Both sides agree that Ras al-Naqoura lies on the common land border. However, they disagree on the angle of the line drawn from Ras al-Naqoura toward the Cyprus EEZ. [70] The area is relatively small when compared with both countries' EEZ, which totals 48,000 km2, and does not overlap with the gas fields discovered so far, in particular the Tamar and Leviathan. Nevertheless, the area may contain potentially significant hydrocarbon resources given its location near the center of the Levant Basin.[71]

It is important to note that this legal dispute was accompanied by tensions between the two countries and appeared in the speeches of several Israeli and Lebanese government officials. Lebanese politicians declared that Lebanon has the right to explore its resources. Israeli officials have warned of retaliation for attacks on its oil and gas facilities, and have vowed they won't surrender any gas reserves and will use military forces to protect them.

Although the situation is not so stable on Lebanon's southern border and can quickly deteriorate, at present the Syrian war has diverted both Hezbollah and Israel for the time being.[72] This may give a real opportunity for the Lebanese government to continue its process of extracting the resources, allowing the revenues emerging from this sector to significantly improve the quality of life of Lebanese people, and improving the country's income. As a result, the government has the opportunity to fill the vacuum left to all parties who build much of their support on the provision of social services.

Options for Resolving the Boundary Dispute

It is true that the dispute is mainly between Lebanon and Israel; however, the border between Lebanon and Cyprus is not yet resolved as the Lebanese Parliament refused to ratify the agreement which was concluded between the two countries in 2007. Therefore, Lebanon should consider renegotiating this agreement on one hand, and settle the border dispute with Israel using one of several options cited by Article 33 of the UN Charter mentioned above, knowing that Israel's and Lebanon's maritime boundary submissions to the UN are only unilateral proposals.

In light of the circumstances surrounding this question that have been detailed previously, there are not many options in helping to resolve it. Negotiation between Israel and Lebanon cannot be considered as they are at war and will not negotiate face-to-face. Moreover, Israel has not signed UNCLOS, in contrast to Lebanon, which means that the two countries cannot refer to any of the known judicial systems, such as the International Court of Justice, the International Tribunal for the Law of the Sea, or the Permanent Court of Arbitration. Mediation could be the last option available. The UN, the US, or the EU could also play a major role in settling this issue.

Oil and Natural Gas SWOT Analysis

This section presents the new findings using SWOT analysis for Lebanon and Israel and is summarized in the following tables. These tables will identify, for each country, the energy sector potential internal strengths and weaknesses, as well as opportunities for prosperity and threats against each country. SWOT analysis exposes clear and significant strengths and weaknesses of the oil and natural gas discoveries, inherent to the findings themselves. A number of threats were revealed that may endanger the exploration program. The aim behind this study is to

think about whether threats and weaknesses can be transformed into opportunities by leveraging the countries' hydrocarbon sector strengths while confronting their weaknesses.

Lebanese Findings using SWOT Analysis	
STRENGTHS	**WEAKNESSES**
Strategic location (close to European market)	Underdeveloped infrastructure and little experience in the petroleum sector
Good relation with its neighbors (except for Israel)	Political instability, factionalism, corruption, weak rule of law and low transparency, High Public debt.
Strong banking sector and dynamic and active private sector companies	Reliance on imported energy for electricity production and for transportation
Prestigious education system which can generate qualified workforce and human resources	Repeated postponing risks deterring companies who would seek opportunities elsewhere
Extensive and high quality 2D and 3D seismic survey were conducted which can reduce the exploration phase	Lack of experience will lead to dependence on multinational corporations, especially with the fields depths
Possible benefits from Hezbollah arms if put under government authority	Unable to protect its resources
OPPORTUNITES	THREATS
Current attractive prices in the LNG market	Competition and entry of new players threaten to push prices down
Joint use of energy infrastructure, especially with Cyprus for liquefaction or using the AGP	Maritime dispute with Israel
Increasing global gas demand	Environmental and Operational Risks
Potential demand from Europe	Situation in Syria and the influx of Syrian refugees
Situation in Syria has diverted both Hezbollah and Israel	In long term, possibility for prices to decrease

Source: Created by author.

Israeli Findings using SWOT Analysis	
STRENGTHS	**WEAKNESSES**
Developed energy industry	Reliance on imported energy
Skilled labor	Geography (hostile surrounding) of the country
Innovative high-tech sector	Economic and social difficulties
Most advanced in terms of exploration and production: gas production operations commenced	Insufficient protection of energy installations especially at sea
Advanced military arsenal	Non redundancy of infrastructure
Strong institutions	Insufficient experience in handling disaster
OPPORTUNITES	THREATS
Alliance with US	Maritime dispute with Lebanon
Option for the joint use of energy infrastructure, especially with Cyprus	Technical problems, natural disasters (like earthquakes), military and terrorists attack.
Energy sufficiency, through the development of power generation facilities	Competition from other countries
Syria crisis may be a source diversion for Hezbollah	Environmental and Operational Risks
Potential Demand from Europe and Asia	Negative economic developments in the region, influenced by issues such as the civil war in Syria, could undermine demand, interrupt production and trade, and threaten the viability of several energy infrastructure projects.
Increasing global gas demand	Deteriorated relation with Turkey
State of fragmentation and weakness of Arab countries	Conflict with Palestinians to continue

Source: Created by author.

Impacts of Discoveries on the Conflict between Lebanon and Israel

The new gas and oil discoveries carry tremendous potential for Lebanon and Israel. It is clear that the legal issues between the two countries need time and better circumstances in order to be resolved through peaceful means. As escalation would bring the abstention of IOCs from operating in the region as well as great risk of collusion, the prospect of reaching a settlement for the maritime disputes between the two countries in the field of energy is not to be excluded, for many reasons.

First of all, reaching a settlement is in the interests of both countries. On one hand, Israel is in a very advanced stage of exploration and production of the new resources. The country is exporting its natural gas to its neighbors, and strengthening its relationship with them. In addition, the new findings will boost economic and social developments in Israel. On the other hand, Lebanon, which is still behind in the exploration race despite its potential to produce large quantities of natural gas, is pushing forward its efforts to exploit its share of oil and gas. The revenues from the exploitation of these national resources would provide all of the necessary funds to solve Lebanon's financial, economic, and social problems. The country could move its economy to an advanced development track and decrease its public debt.

The objective of exploiting of resources can lead to political settlements and resolve the disputes between countries. The most relevant example is the EU, an alliance which was established in 1950 to put an end to the repeated and devastating wars between European neighbors, including two world wars. The idea was that cooperation among countries in the fields of the coal and steel would lead to much more cooperation and to a lasting peace. As a result, six European countries, France and Germany in particular, has started coal and steel production together as a first step to perpetually eliminate wars from Europe. This idea of

shared resources production has brought political stability and economic prosperity to members of the EU, which could inspire some hope to countries in the Eastern Mediterranean region.

Prosperity could lead to modernization and thus, to cooperation. Extremism nurtures from poverty. Examples from the Arab countries hit by the Arab Spring illustrates well this fact. In the eastern parts of Syria, the Islamic State of Iraq and al-Sham's (ISIS) gains do not surprise experts because this region is one of the poorest in the country due to the long time that it was neglected by the central government. Similarly, in the Sinai Peninsula of Egypt, and in Yemen's rural areas, poverty and unemployment remain major factors cultivating radicalism among militant groups. In Lebanon, Extremism, gained popularity among deprived populations. Once Lebanon starts natural gas and oil production, the country has great potential for developing its economy. People could possibly have greater ease in finding jobs; especially those who benefit from political parties' allocations. When people earn money and live in prosperity, history reveals that they drop their arms and leave the ranks of their militias. Moreover, politicians who support militias at present, usually change caps and follow their interests in pursuit of the revenues from newly found wealth. Modernization can win against extremism and a feeling of well-being among people holds the greatest potential for improving the situation and easing tensions in the overall Lebanese-Israeli conflict.

Both countries have huge enormous capacities of natural gas and oil fields in their EEZs that could not possibly be fully consumed by the Israeli and Lebanese markets alone. Therefore, to make the exploration economically practical, each country needs to find ways to export the extra quantities. Two alternatives are possible: building a pipeline or investing in a LNG plant; especially if the gas will be exported to Europe. Therefore, it is unwise or unworthy to build multiple pipelines or even multiple LNG plants

because construction of such pipelines or terminals would incur enormous costs. Lebanon and Cyprus can cooperate in exploiting these resources with funding provided by any European country interested in diversifying its investments in a way that could help this country to benefit from the flow of Lebanese oil and gas into the European market. Another opportunity could be to use the existent AGP infrastructure that connects several Arab countries and transport gas further to multiple consumers in the region.

Regional and international players will push for cooperation between the two countries too. First, The EU is pursuing its efforts to increase its energy security and reduce reliance on Russia in the light of the Crimean crisis through diversification of gas imports. It is logical to assume that Russia will undoubtedly dialogue with Levant countries in order to create the conditions for mutual benefits from energy resources, especially knowing that the EU can offer investments, specialized technology and expertise. Second, The US is also involved in the new resources exploration through its IOCs; in particular, the Texas-based Noble Energy Company. As Noble Energy is the primary explorer in Israel, Washington has a keen interest in ensuring that the potential economic windfall in the Levant does not become an additional reason for war. The American partnership in the exploitation of such natural gas deposits, as well as oil, is considered a big incentive to mediate both current and future disputes between Israel and Lebanon. The US can (and should) assume the role of helping to defuse other potential causes for conflict, which would allow both countries to peacefully explore the hydrocarbon wealth beneath their waters, and thus present further opportunities to more US oil companies to sign exploration contracts.

End Notes:

1- BEMO Industry Report, "Hydrocarbons in Lebanon", Issue # 1/2014, accessed 10 September 2014, http://www.bemobank.com/files/Hydrocarbons.
2- Ibid.
3- George Sassine, "Lebanon's electricity sector between regulation and decentralization," A new vision for Lebanon, December 2012, accessed 16 September 2014, http://www.georgessassine.com.
4- Gebran Bassil, "Policy Paper for the Electricity Sector," Ministry of Energy and Water, June 2010, accessed 16 September 2014, http://www.tayyar.org/tayyar.
5- BEMO Industry Report.
6- Central Intelligence Agency, "The World Factbook, Lebanon, Economy," 20 June 2016, accessed 8 August 2016, https://www.cia.gov.
7- Ibid.
8- Ibid.
9- Middle East Strategic Perspectives, "Lebanon's emerging oil & gas sector: a discussion with Energy Minister Arthur Nazarian," 31 August 2014, accessed 8 September 2014, http://www.mestrategicperspectives.com.
10- Ibid.
11- Ibid.
12- Lebanese Petroleum Administration, "The Offshore Petroleum Resources Law (OPRL), Article 3," 13 January 2011, accessed 17 September 2014, http://www.lpa.gov.lb.
13- Compressed Natural Gas CNG Conversion Installs, "Environmental Benefits of CNG converted Vehicles," 25 April 2013, accessed 16 September 2015, http://cngconversioninstall.com/evironmental-benefits/.
14- Daily Star Lebanon, "Warm weather, weak wind make Beirut air pollution worse: study," 5 February 2011, accessed 16 September 2014, http://www.dailystar.com.lb.
15- Daniel Atzori, "Levant Basin: What lies within?" ABO - About Oil, Interview with Filippo Diomigi, London School of Economics Fellow, 20 January 2014, accessed 16 September 2014, http://www.abo.net/oilportal.
16- Ibid.
17- Ibid.
18- Map Action, "Lebanon, Baseline Information," 10 October 2013, accessed 16 September 2014, http://www.mapaction.org.

19- Ibid.
20- Transparency International, "Corruption Perceptions Index 2015," 2015, accessed 17 August 2016, http://cpi.transparency.org.
21- BEMO Industry Report.
22- Ibid.
23- Ibid.
24- Middle East Strategic Perspectives.
25- Ibid.
26- Ibid.
27- World Economic Forum, "The Global Information Technology Report 2015," 2015, accessed 17 July 2016, http://www3.weforum.org/docs/
28- Ibid.
29- Ibid.
30- Nathanson and Levy.
31- Walid Khadduri, "East Mediterranean Gas: Opportunities and Challenges," Mediterranean Politics, Vol 17, No. 1, (March 2012): 111-117, accessed 30 April 2014, http://www.tandfonline.com
32- Ministry of Energy and Water Resources of the State of Israel.
33- Arab Center for Research and Policy Studies.
34- Ministry of Energy and Water Resources of the State of Israel.
35- Allison Good, "Defending Israel natural's gas," Foreign Policy, 13 January 2014, accessed 10 September 2014, http://mideastafrica.foreignpolicy.com.
36- Nathanson and Levy.
37- Good.
38- Ministry of Energy and Water Resources of the State of Israel.
39- Ehud Eiran and Yaval Zur, "Israel's Missing Naval Strategy," Foreign Affairs, 19 March 2013, accessed 10 September 2014, www.foreignaffairs.com.
40- Gardner Patterson, "Israel's Economic Problems," Foreign Affairs, accessed 13 September 2014, http://www.foreignaffairs.com.
41- Arab Center for Research and Policy Studies.
42- Ibid.
43- Israeli Ministry of economy, "Israeli Technology in the Oil & Gas Sector," accessed 8 September 2004,.http://www2.kenes.com/watec-israel/Documents/OilGas.pdf.
44- Arab Center for Research and Policy Studies.

45- Ibid.
46- Nathanson and Levy.
47- Claudia Assis, "Israel Clarifies Gas Export Policy: We're Keeping 60 percent," Marketwatch, 19 June 2013, accessed 10 September 2014, http://blogs.marketwatch.com.
48- Daily Star Lebanon, "Cyprus Signs LNG Deal with US-Israeli Partnership," 26 June 2013, accessed 12 September 2014, www.dailystar.com.lb.
49- EIA.
50- Ibid.
51- UNCLOS Articles 74 and 83.
52- Swiss Association for Euro-Arab-Muslim Dialogue, "The Legal Framework of Lebanon's Maritime Boundaries: The Exclusive Economic Zone and Offshore Hydrocarbon Resources,"November 2012, accessed 17 September 2014, http://bric.lebcsr.org..
53- UNCLOS, art. 56.
54- Ibid., art. 75.
55- Ibid., part IX.
56- Swiss Association for Euro-Arab-Muslim Dialogue.
57- Middle East Economic Survey, "Agreement between Lebanon and Cyprus on the Delimitation of the Exclusive Economic Zone," accessed 10 September 2014, http://www.mees.com.
58- Daniel Meier, "Lebanon's Maritime Boundaries: Between Economic Opportunities and Military Confrontation," University of Oxford, June 2013, accessed 16 September 2014, http://lebanesestudies.com.
59- UN Maritime Space: Maritime Zones and Maritime Delimitation, "List of geographical coordinates of points," 12 July 2012, accessed 4 September 2014, http://www.un.org/depts/los/LEGISLATIONANDTREATIES/STATEFILES/LBN.htm.
60- Hassan Lakkis, "Negotiation Blunders Jeopardize Oil and Gas Campaign," Daily Star Lebanon, 14 July 2011, accessed 10 September 2014, http://www.dailystar.com.lb.
61- Swiss Association for Euro-Arab-Muslim Dialogue.
62- UN, "Agreement between the Government of the State of Israel and the Government of the Republic of Cyprus on the Delimitation of the Exclusive Economic Zone," 17 Decembre 2010, accessed 10 September 2014, http://www.un.org

63- Swiss Association for Euro-Arab-Muslim Dialogue.
64- "Agreement between Israel and Cyprus, Article 1(e)."
65- UN Maritime Space: Maritime Zones and Maritime Delimitation, "List of Geographical Coordinates for the Delimitation of the Northern Limit of the Territorial Sea and Exclusive Economic Zone of the State of Israel in WGS84," accessed 10 September 2014, http://www.un.org/depts/los/LEGISLATIONANDTREATIES/
PDFFILES/isr_eez_northernlimit2011.pdf.
66- Herb Keinon, "Cabinet Approves Northern Maritime Border," Jerusalem Post 10 July 2011, accessed 10 September 2014, http://www.jpost.com.
67- Adnan Mansour, "Letter to the Secretary-General of the United Nation," accessed 10 September 2014, http://www.un.org.
68- Ibid.
69- Nathanson and Levy.
70- Helmi Moussa, "US Tries to Mediate Lebanon-Israel Maritime Border Dispute," Al-monitor, 2 October 2013, accessed 10 September 2014, http://www.al-monitor.com.
71- EIA.
72- Ibid.

DEFENSE NATIONALE LIBANAISE

La politique étrangère d'Obama: le retour au pragmatisme et au réalisme

Dr. Amine Lebbos*

Introduction

L'élection du président des États-Unis préoccupe non pas simplement les États Unis et son peuple mais aussi une grande partie des États et cela à cause du grand rôle joué par le président américain sur la scène internationale. Les répercussions de cette élection changent considérablement en fonction de la personnalité de l'élu, du contexte politique particulier dans lequel se trouvent les États-Unis et de l'environnement international.

* *Universite Libanaise -Faculte de droit et de sciences politiques et administratives*

Après huit ans de politique extérieure agressive s'appuyant sur les interventions militaires, et d'une mise en avant du principe de la guerre préventive pratiquée par le président Bush, le président Obama a hérité deux guerres majeures (Irak, Afghanistan), une série de conflits avec plusieurs pays (la Corée du Nord, l'Iran etc.), un doute croissant vis-à-vis de la stratégie d'exportation par la contrainte de la démocratie, une économie américaine qui endure, une montée du

régionalisme et un accroissement de l'intégrisme, du fanatisme islamique et des actions terroristes.

Ces legs, qui présentent des problèmes et de contraintes pour l'administration Obama, ont poussé le président Obama à changer de cap vers plus de pragmatisme et réalisme avec un changement de ton et une tentative d'améliorer l'image des États Unis à l'étranger: pour lui c'est un nouveau départ un "reset". Ce changement dans la politique américaine, interprété par plusieurs pays comme un retrait américain de la scène internationale, affermit les positions des États comme par exemple: Israël, la Chine, la Russie, l'Iran, le Brésil, le Venezuela et les États qui sont classés par les États-Unis comme voyous. Même ces pays doutent de la volonté d'action des États-Unis pour les arrêter dans leurs entreprises extérieures et intérieures. Sous la présidence Obama, Israël s'est dégagée des pressions américaines et ne cherche plus une solution conciliante au problème palestinien qui facilite la création de l'État palestinien, et même continue sa politique d'implantation des colonies. La chine, consolide son économie et sa situation politique et militaire en Asie du Sud-Est et défie les États Unis dans cette région. L'Iran, intervient dans tous les conflits de la région et devient une interlocutrice inéluctable dans toutes les négociations de la région. La Russie, résolue de revenir au-devant de la scène internationale, empêche toute ingérence étrangère dans son espace immédiat et même intervient militairement quand elle voit que ses intérêts sont menacés (Ukraine, Géorgie, le Caucase et dernièrement la Syrie). La Corée du Nord est devenu, de plus en plus menaçante, provocatrice et hostile à toute tentative de pourparlers avec les américains.

Les États-Unis se retrouvent ainsi devant le paradoxe suivant: critiqués pour leur unilatéralisme et leur hégémonie grandissante entre 2001 et 2008, ils se voient aujourd'hui jugés pour leur impuissance et leur extrême défiance en matière de gestion de crises, voire leur inaction, en particulier au Moyen-Orient et surtout en Syrie et en Irak. De plus, le président Obama ne semble pas être en mesure de réconforter ses alliés sur la capacité des

États-Unis de jouer le rôle du gendarme du monde et il semble pour eux, que les États-Unis fassent du sur-place.

Même sur la scène politique interne, les adversaires politiques du président Obama du parti républicain, le considèrent différent des américains- il n'est pas Américain comme les autres[1]-, et ils lui reprochent toujours de défendre des valeurs non américaines.

L'objectif principal de cet article est de voir s'il y a un réel changement dans la politique américaine avec l'arrivée au pouvoir du président Obama, ou bien c'est un changement de stratégie et d'étudier la place des États Unis sur la scène internationale. Nous essayons plus particulièrement de faire une étude équilibrée d'une période de transition où les États Unis ne peuvent plus régler les problèmes du monde unilatéralement et ils sont réticents de céder leurs pouvoirs à d'autre pays.

1- Un héritage lourd

1.1. Une crise économique et financière aigue

Le président Obama a hérité d'une crise financière et économique qui a secoué les États-Unis à partir de 2008 et qui a débuté par une crise des subprimes.[2] La crise était tellement profonde que les experts financiers parlaient d'une mise en cause du bien-fondé du système économique et social américain.

La crise financière a tout d'abord ébranlé l'économie américaine et a entraîné des conséquences néfastes dans beaucoup de domaines. La crise a touché au début le monde financier pour s'étendre dans presque tous les domaines, de l'industriel jusqu'au social. Pas moins de 84 sociétés financières ont fait faillite au cours de l'année 2008. Le chômage a dépassé le taux de 7% et la contraction du PIB en 2009 a atteint un taux supérieur à 3%.[3]

1- http://observer.com/2012/01/mitt-romney-contrasts-his-vision-with-president-obamas-resentment-of-success/

2- La crise des subprimes s'est déclenchée au deuxième semestre 2006 avec le krach des prêts immobiliers (hypothécaires) à risque aux États-Unis (les subprimes), que les emprunteurs, souvent de condition modeste, n'étaient plus capables de rembourser.

3- La situation économique américaine, http://www.mondeforex.com/la-situation-economique-americaine.html

Avec cette crise les États-Unis se trouvent forcés de se remettre en cause, d'accepter les dysfonctionnements du marché et de partager avec les autres pays le prix de la crise et le coût de ses solutions. Une nouvelle réalité qui va remettre la légitimité de la puissance économique américaine en question.

1.2- les conséquences d'une politique extérieure impériale.

Dans les jours suivants les attentats du 11 septembre 2001 sur le sol américain, l'administration Bush adopta une nouvelle politique étrangère caractérisée par des expéditions militaires et un unilatéralisme affiché. Sous l'influence exercée par un petit groupe de néoconservateurs travaillant au sein de l'administration Bush une nouvelle politique étrangère a été adoptée et publiée officiellement en septembre 2002 sous le nom de National Security Strategy.(4)

Malgré le discours de l'administration Bush de démocratisation et de liberté, la politique américaine, est vue de plus en plus par beaucoup de peuples comme hégémonique, expansionniste et arrogante.

Les américains interviennent en Afghanistan et en Irak, luttent contre le populisme anti-libéral (spécialement contre le régime du président vénézuélien Hugo Chavez) qui s'installa en Amérique Latine, et continuent leur politique d'encerclement héritée de la guerre froide contre la Russie avec une mise en place d'un système de défenses antimissiles, ce qui complique les relations avec la Russie et bien davantage avec la Chine. Même, sur les questions environnementales, la position du président Bush était de réfuter l'engagement qu'il avait pris auparavant.

La doctrine de «guerre préventive» de l'administration Bush a été vue comme une tentative de justifier l'invasion de l'Irak, un pays qui ne formait pas une menace majeure ou probable, encore

4- Le préambule de la SSN met en avant la défense, la préservation et l'extension au monde de la liberté (politique et économique) et de la paix et définit la place des États-Unis. Pour mener à bien cette mission, et pour démontrer la volonté d'engagement international de l'administration Bush, les États-Unis, selon la SSN, s'appuie d'abord sur leurs propres ressources (politiques, militaires et économiques/technologiques), puis sur les réseaux d'alliances et d'accords multilatéraux et bilatéraux qui les lient à un grand nombre de pays Source: Assemblée parlementaire de l'Europe occidentale http://www.voltairenet.org/article9825.html

moins imminente[5], pour les États-Unis. La doctrine fut largement condamnée au niveau international car elle bafouait les règles du droit international.

Donc, la radicalisation idéologique et le discours néoconservateur de l'administration du président Bush avec la réorientation de la puissance souveraine américaine, étaient perçus par une très grande partie des États, comme un renforcement sans précédent de l'affirmation agressive de l'hégémonie américaine avec un leitmotiv de la «guerre contre le terrorisme» et de la «guerre contre la terreur». Ainsi, malgré que le discours officiel américain ait essayé de démentir l'idée d'un conflit civilisationnel impliquant un «choc des civilisations» entre l'Islam et l'Occident, l'intervention américaine dans le monde arabe et particulièrement en Irak était perçu par la population de la région comme une agression voire une croisade contre le monde arabe.

2- La nouvelle politique d'Obama: un réel changement ?

Le président Obama devait affronter un monde en mutation. Du Moyen-Orient en passant par l'Afrique vers l'Europe, la crise frappe le monde. Des acteurs non étatiques dangereux comme par exemple al Qaïda, Al Nasra et Daech et qui sont en pleine croissance, forment une série de nouvelles menaces pour le système international.

2.1 Le pivot vers l'Asie-Pacifique

L'administration Obama a fixé au cours de son premier mandat le fil conducteur de sa politique étrangère pour les quatre années à venir: une réorientation de la politique étrangère américaine «le pivot» vers la région Asie-Pacifique et l'Océan Indien. Cette nouvelle politique est une réorientation stratégique qui modèle les changements profonds de la politique étrangère américaine. Ce rééquilibrage sous-tend deux logiques complémentaires: d'une part, une redéfinition des priorités géostratégiques et d'autre part,

5- Les rapports des chefs des inspecteurs de l'ONU Hans Blix et Mohamed El-Baradei parlent d'une vraie coopération irakienne en matière de désarmement et indiquent une 'accélération du désarmement irakien depuis fin janvier.

une mise en avant de la «diplomatie de l'économie» au détriment du tout-militaire.[6]

La directive stratégique de janvier 2012 traduisait le déplacement du centre de gravité du monde vers l'Asie. La «bascule», ou pivot, vers l'Asie, propos principal de la DSG 2012, devrait donc se poursuivre. Cette réorientation était déjà mise en avant dès 2009 par le président Obama lui-même «l'Amérique nation du Pacifique».

Le pivot doit traduire au début, le réinvestissement américain en Asie qui met l'accent sur les instruments économiques pour répondre aux défis stratégiques: accords de libre-échange avec l'Asie (TransPacific Partnership) excluant la Chine, et avec l'Union européenne (Transatlantic Trade and Investment Partnership), le renforcement des organisations multilatérales régionales (East Asian Summit notamment), et l'appui des alliés traditionnels (Japon, Australie, Corée du Sud et Philippines). Dans ce «rééquilibrage» américain en Asie-Pacifique, l'administration américaine applique la théorie du «smart power»,[7] qui combine les manœuvres navales, basculement militaire, politique active de libre-échange (diplomatie économique) et diplomatie des «sommets» avec la Chine, etc.

La politique étrangère du président Obama était déterminée par plusieurs facteurs, parmi eux l'héritage de son prédécesseur, les traditions du Parti démocratique, la mise en œuvre de son programme politique présenté lors de la campagne électorale (relance de l'économie américaine, et mettre en place une politique sociale et médicale nouvelle), l'évolution et la réalité de l'environnement stratégique mondial, les perceptions nationales et internationales de la politique étrangère américaine et bien sûr, les intérêts stratégiques des États-Unis dans le monde.

6- Politique étrangère américaine: quels défis ? Rompre avec le tout-militaire et le nation-building, Alexandra De Hoop Scheffer, le 12 juin 2011http://www.diploweb.com/Politique-etrangere-americaine.html.

7- Combinaison d'outils propres au hard power et au soft power.

2.2- Le plan économique de sauvetage: une des priorités du président Obama .

Héritant d'une crise économique et d'une dette colossale,[8] le président Obama était décidé à résoudre les problèmes intérieurs et avoir comme priorité la réforme de la santé. «En fait, sous l'influence de son principal conseiller économique, Larry Summers, M. Obama a tenté de mener une politique économique "balancée", proche des débuts de la présidence de Franklin Roosevelt (1933): ni interventionnisme étatique keynésien assumé, hormis pour certains cas spécifiques (le sauvetage de l'industrie automobile), ni monétarisme exclusif propre à séduire les marchés. Le résultat se situe aussi dans un entre-deux».[9]

L'administration du président Obama a mis en place un plan de relance très ambitieux: 780 milliards de dollars, partagés entre allégements fiscaux et financements de projets (recherche, énergies propres, soutien aux États, santé, etc.). Parallèlement, la Réserve fédérale (la Fed) et le Trésor rachetaient jusqu'à 2 000 milliards de titres de dette.

2.3- Le Président Obama héritier des traditions du Parti démocratique.

Le Président Obama est l'héritier de la politique étrangère et de sécurité du parti démocrate. Il s'est associé explicitement aux traditions libérales de la politique étrangère du Parti. Dans un de ses premiers grands discours sur la politique étrangère, au Chicago Council on Global Affairs, le 23 Avril 2007, Obama a cité FD Roosevelt: "nous menons le monde dans la lutte contre les maux immédiats et de promouvoir le bien ultime" et A. Lincoln: «L'Amérique est le dernier, le meilleur espoir de la Terre".[10] Il

8- Quelques chiffres, révélateurs de l'ampleur de la crise. Le déficit américain a atteint en 2009, 1200 milliards de dollars, soit plus de 8% du PIB. Si l'on ajoute à ce chiffre colossal le coût du plan de relance de Barack Obama, qui devrait s'élever à quelques 800 milliards de dollars, on pourrait atteindre, fin 2009, un déficit budgétaire supérieur à 12% du PIB !.

9- Obama, l'espoir économique contrarié, Le monde économie, 17.09.2012, http://www.lemonde.fr/economie/article/2012/09/17/états-unis-la-crise-a-etouffe-la-volonte-de-changer-de-modele_1761265_3234.html

10- Barack Obama: "Remarks to the Chicago Council on Global Affairs," April 23, 2007. Online by Gerhard Peters and John T. Woolley, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=77043

a exprimé clairement son attachement aux principes de base de wilsonisme "Dans le monde globalisé d'aujourd'hui, la sécurité du peuple américain est inextricablement liée à la sécurité de toutes les personnes».[11] Il a souligné le rôle central de la coopération internationale, la consolidation des partenariats et des alliances dans la lutte contre les menaces et les défis mondiaux et aussi leadership moral américaine à l'échelle mondiale. Le président Obama a également confirmé l'auto-perception traditionnelle des États-Unis comme un «phare» et la «force de l'exemple américain» dans son discours inaugural.[12]

La doctrine d'Obama a été dévoilée plus en détail dans son article dans la revue Foreign Policy «Renouveler le leadership américain».[13] Le président Obama a retracé sa philosophie de base de la politique étrangère et de sécurité d'une manière libérale (wilsonien classique). Woodrow Wilson constate que son pays ne saurait vivre recroquevillé sur lui-même, maintenant qu'il occupe le premier rang des grandes puissances économiques. Les États-Unis, juge-t-il, offrent au monde un exemple: leur démocratie est presque idéale; leur organisation économique et sociale peut être améliorée, mais elle constitue dans l'ensemble une extraordinaire réussite et assure la paix. Pour lui, l'Amérique remplit une mission: transformer le monde à son image. L'américanisation de la planète, voilà ce qu'il cherche à réaliser. Le président Obama fortement inspiré de cette politique, promet le renouveau pragmatique et rationnel du rôle des États-Unis comme «leader» d'un «monde libre».[14] Il insiste sur le fait, que la sécurité et la richesse des Américains sont fortement liées à la sécurité et de la richesse des personnes vivantes au-delà des frontières des États-Unis d'Amérique.[15]

La philosophie du Président Obama se reflète dans sa conduite

---

11- Idem

12- Obama's Inaugural Address, Time, Tuesday, Jan. 20,2009, http://content.time.com/time/politics/article/0,8599,1872715,00.html

13- Barack Obama, Foreign Policy, renewing-american-leadership, July/August, 2007, http://www.foreignaffairs.com/articles/62636/barack-obama/renewing-american-leadership

14- Barack Obama, Foreign Policy, renewing-american-leadership, July/August, 2007, op.cit..

15- Barack Obama, Foreign Policy, renewing-american-leadership, op.cit.

envers la guerre d'Afghanistan, Al-Qaïda, le Taliban et contre l'Irak de Saddam Hussein. Alors qu'il décrit la guerre en Irak comme unilatérale, préventive et en violation des principes fondamentaux du droit international, il trouve dans le conflit Afghan un exemple de partenariat et de coopération internationale dans le respect du droit international. La guerre contre l'Afghanistan a débuté avec l'approbation de l'ONU avec une mise en place d'une coalition internationale large et en partenariat avec l'Europe (d'ailleurs dans un cadre-OTAN). En fait, cette guerre concorde parfaitement avec la vision de la politique étrangère du président américain: multilatéralisme, en concordance avec le droit international, «la guerre de nécessité» et non une «guerre de choix», comme il était dans le cas de l'Irak.

Le président Barack Obama marque ce retour au réalisme, voire au pragmatisme. Il est conscient que son pays a perdu beaucoup en capacité d'influence et doit se contenter de «maintenir leur leadership global».(16) En effet, la problématique majeure pour les États-Unis est aujourd'hui de maintenir une présence et une influence stratégique et économique dans le monde avec des ressources financières en baisse.

Dans un discours prononcé en juillet 2009, Hillary Clinton, donne des indications très importantes sur la manière dont son administration pense la place des États Unis dans le système mondial. La première indication consiste à affirmer sans détours que les États Unis sont bien décidés à continuer à exercer leur leadership: «la question n'est pas de savoir si notre pays peut ou doit diriger le monde, mais comment il le dirigera au XXI siècle».(17) Aujourd'hui il ne s'agit pas de se demander si les États Unis sont en déclin, mais d'admettre que la poursuite d'une stratégie basée sur le tout militaire, dans le contexte des difficultés actuelles, n'est pas supportable et sera coûteuse pour le pays. Le président Barack Obama considère, que la puissance militaire est plus un élément de

16- Formulation qui constitue le titre de la nouvelle stratégie de défense américaine de janvier 2012.

17- Hillary Clinton, Foreign policy Address at the Council in Foreign Relations, 15 July 2009, http://www.cfr.org/diplomacy-and-statecraft/conversation-us-secretary-state-hillary-rodham-clinton/p34589.

désordre que de résolution des conflits et qu'il faut en user le moins possible. Il l'a formellement exposé au sujet de la Syrie,[18] «Dans une situation comme celle de la Syrie, je dois me poser la question suivante: pouvons-nous faire une différence ? Une intervention militaire aurait-elle un impact ? […] Est-ce que cela pourrait aggraver les violences ou déclencher l'usage des armes chimiques ? Quelle est la meilleure option pour un régime post-Assad stable ?»

Pour le président Obama, c'est la menace de l'utilisation de la force armée et non son emploi direct qui, aura finalement poussé la Russie à user de son pouvoir auprès du régime du président Assad pour démanteler son arsenal chimique.[19]

Ainsi, la politique du président Obama avait transformé le statut des États-Unis de «nation indispensable» à celui de «catalyseur indispensable», toujours présent sur la scène internationale, mais pas trop engagé et en poussant d'autres États à s'impliquer beaucoup plus dans les règlements des différends.[20] Cette approche multilatérale de l'utilisation des forces armées était mise en œuvre pendant la guerre de Lybie. L'intervention pour destituer le président Kadhafi a duré cinq mois, n'a fait aucune victime américaine, a coûté un milliard de dollars, tandis que l'occupation de l'Irak a causé la mort de 4 484 militaires américains, s'est chiffrée à plus de 700 milliards de dollars et a duré neuf années.[21]

La stratégie du président Obama consiste toujours à éviter le déploiement des troupes américaines dans de nouveaux théâtres d'opérations, mais un support militaire et politique aux forces de l'opposition et des partenaires (OTAN, des États européens etc.) pour aider à renverser les régimes dictatoriaux ou bien arrêter l'avancée des forces fondamentalistes (le cas de Mali) et, surtout, pas d'ingérence dans la phase de transition et de reconstruction, mais des interventions ciblées ponctuelles des forces spéciales

18- Barack Obama Is Not Pleased, the New Republic, du 27 janvier 2013, ttp://www.newrepublic.com/article/112190/obama-interview-2013-sit-down-president.

19- Point sur le désarmement chimique en Syrie, http://www.cesim.fr/observatoire/fr/97/article/323.

20- Alexandra de Hoop Les États Unis, une puissance en crise d'adaptation, Alexandra DE Hoop Scheffer, http://ceriscope.sciences-po.fr/node/551

21- Alexandra de Hoop Scheffer, Les Éats-Unis, une puissance en crise d'adaptation, op.cit.

pour capturer ou éliminer des personnes qui peuvent menacer les intérêts des États Unis. Devant le Congrès, le 31 mars 2011, Robert Gates, alors secrétaire à la défense, assurait au sujet de la Libye que «la dernière chose dont les États-Unis aient besoin est une autre entreprise de nation-building»[22] et il ajoutait que les troupes américaines n'interviendront pas en Lybie.[23]

Aujourd'hui, le grand défi de l'administration Obama est de définir les instruments de réponse contre les menaces terroristes qui déstabilisent et agitent le Moyen-Orient et l'Afrique tout en évitant le recours à la force. Ainsi, les défis de déstabilisations qui vont du Yémen vers la Libye en passant par l'Irak et la Syrie et les intérêts stratégiques dans la région spécialement dans les pays du Golfe, pousseront les États-Unis à s'impliquer dans les affaires de ces États, avec pour conséquence de freiner la politique du rééquilibrage vers l'Asie qui avait marqué le premier mandat d'Obama.

3. Les inquiétudes profondes des alliées sont-elles justifiées ?

L'inquiétude dans le Golfe et en Europe du changement dans la politique étrangère américaine, avait commencé avec l'annonce du rééquilibrage de cette politique américaine vers l'Asie et qui était perçu comme un désengagement américain. La crainte était renforcée par l'accent mis sur les priorités intérieures par l'administration américaine du «nation-building at home», et par la révolution énergétique avec la production et l'exploitation de pétrole de schiste aux États-Unis.

Concrètement, le changement de la politique américaine vis-à-vis des pays du Moyen-Orient, et spécialement la position américaine vis-à-vis l'Iran, le nouveau régime du président Moursi en Egypte et la guerre en Syrie et les changements en Irak pour ne citer que ces exemples, ont provoqué une inquiétude croissante chez les alliés

22- Robert Gates: No US 'boots on ground' in Libya http://www.theguardian.com/world/2011/mar/31/gates-rules-out-american-troops-libya

23- Idem

régionaux les plus proches des États-Unis, notamment l'Arabie Saoudite et les pays du Golfe.

Ainsi, l'accord-cadre conclu début avril 2015 signé, en Suisse, entre le groupe 5+1 (Chine, États-Unis, France, Royaume-Uni, Russie et Allemagne) et l'Iran,[24] donne l'impression aux pays du Golfe, d'un désengagement américain. Au-delà de l'inquiétude que l'Iran se dote de l'arme nucléaire tout en ayant obtenu la levée des sanctions qui étranglent son économie, les pays du Golfe ont aussi, l'impression que les États-Unis renforcent la position de l'Iran dans la région. Le sentiment d'un désengagement américain était ressenti par les pays du Moyen-Orient alliée aux États-Unis avec les révolutions arabes qui ont débouché sur une période de déstabilisation et de désintégration étatique régionale, avec des évolutions particulièrement préoccupantes aujourd'hui en Syrie, en Irak, en Libye et au Yémen.

Les réactions américaines sur les révolutions arabes, ont provoqué l'inquiétude et les doutes de l'Arabie Saoudite et des pays du Conseil de Coopération du Golfe (CCG), sur la crédibilité de l'allié américain, au vu notamment de la vitesse avec laquelle le président Obama a abandonné le président Hosni Moubarak en Egypte. Cette inquiétude s'est renforcée fin août 2013 quand le président Obama a abandonné les frappes contre le régime Assad qui venait pourtant de franchir la ligne rouge annoncée par le même président sur les armes chimiques. Pour les opposants au régime du président Assad, il y avait là l'occasion idéale de faire fléchir le régime et ses alliées (la Russie, l'Iran et le Hezbollah). L'intervention en Libye en 2011, a représenté un cas particulier et dont le président Obama était hostile au départ. L'intervention a été rendu possible grâce à plusieurs conditions, d'une part sur sa légitimité, avec le soutien de l'ONU et de la Ligue arabe en particulier, d'autre part sur sa mise en œuvre, puisque la France et le Royaume-Uni notamment, ont

24- L'Iran a accepté de réduire des deux tiers le nombre de ses centrifugeuses, les machines servant à transformer l'uranium qui, enrichi à 90 %, sert à la fabrication d'une bombe. Téhéran s'est engagé à ne pas construire de nouveau réacteur à eau lourde pendant quinze ans. L'AIEA sera chargée de contrôler régulièrement tous les sites nucléaires iraniens. L'accord prévoit que les mesures unilatérales américaines et européennes seront suspendues dès que le respect de ses engagements par l'Iran aura été certifié par l'AIEA..

assuré l'essentiel des combats, alors que les États Unis ont suivi la stratégie du «leading from behind».[25] Depuis, les pays alliés des États-Unis posent des questions sur le degré de l'engagement américain dans la région et s'il s'agit d'une rupture pour la politique américaine. Pour répondre à ces questions, il est nécessaire de revenir sur les aspects plus permanents de la politique américaine dans la région, notamment ses intérêts.

Les États-Unis, réengagés militairement pour la première fois en Irak depuis leur retrait en décembre 2011, ont mené avec une coalition d'une soixante d'états, depuis le 8 août 2014, des centaines de raids aériens contre l'État Islamique. Le président Obama a affirmé que son pays entendait "poursuivre une stratégie à long terme" de lutte contre l'EI, en soutenant le nouveau gouvernement irakien du premier ministre Haïdar al-Abadi.

En ce qui concerne le Yémen, le 25 mars 2015, la Maison Blanche a posté sur son site un texte où l'on pouvait lire: «Le président Obama a autorisé une assistance, un soutien logistique et de renseignements aux opérations militaires menées par la coalition».[26] Les États-Unis pourvoient des renseignements pointus, comme le Wall Street Journal l'a révélé: «Les stratèges américains utilisent des flux de renseignements issus des survols de reconnaissance du Yémen pour aider l'Arabie saoudite à décider de ce qu'elle doit bombarder et quand, a déclaré un représentant américain».[27]

Le soutien logistique se traduit, par des renseignements collectés par les drones américains et qui aident à diriger les frappes aériennes, par des opérations de récupérations et de sauvetages et même, par des ravitaillements en vol des chasseurs saoudiens par des avions citernes américains.[28]

25- Le président Obama avait déclaré que les États-Unis ont réussi à obtenir le mandat de l'ONU pour l'opération et l'accord des pays arabes et l'intervention n'était pas unilatérale. Les États-Unis n'ont pas déployé des troupes américaines sur le sol. Obama never said 'leading from behind', http://content.usatoday.com/communities/theoval/post/2011/10/obama-never-said-lead-from-behind/1#.VVX5dbOJjVI

26- Statement by NSC Spokesperson Bernadette Meehan on the Situation in Yemen https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2015/03/25/.

27- Micah Zenko, Ne vous y trompez pas, les États-Unis sont en guerre avec le Yémen http://www.slate.fr/story/100079/états-unis-sont-en-guerre-avec-le-yemenyopie –voire d'une totale hypocrisie.

28- Idem

Mais reste à rassurer les monarchies du Golfe que les levées des sanctions économiques ne fassent, que raffermir l'interventionnisme d'Iran dans la région, à l'image de son soutien aux rebelles chiites houthis au Yémen, le Hamas, le régime syrien, le Hezbollah et les milices chiites en Irak et ceci grâce en partie à la manne financière due au retour de Téhéran dans le système économique international. L'administration américaine ne cesse de déclarer, depuis plusieurs mois que l'accord sur le nucléaire iranien permettra de supprimer l'une des principales menaces à la sécurité de cette région et qu'il ne s'agit pas "d'un rapprochement plus large" avec la République islamique. Le président Obama déclara, «Nous pouvons imaginer combien l'Iran pourrait être encore plus provocateur s'il disposait de l'arme atomique, c'est l'une des raisons pour lesquelles l'accord auquel nous souhaitons aboutir est si important: en empêchant que l'Iran ne se dote de la bombe atomique, on supprimerait l'une des principales menaces à la sécurité de cette région». Le sommet à Camp David qui s'est conclu le 14 mai 2015 avait pour objectif de rassurer les pays du Golfe sur l'engagement américain dans cette région .Le président Barack Obama s'est employé le jeudi 14 mai 2015 à rassurer les monarchies du Golfe inquiètes de l'influence croissante de l'Iran. Il réaffirmait "l'engagement immuable" des États-Unis envers ses partenaires arabes, et il soulignait que les États-Unis étaient prêts à aider à répondre à "toute menace extérieure" contre leur intégrité territoriale. De plus, dans un communiqué, les États-Unis et les six pays du Conseil de coopération du Golfe (Arabie saoudite, Bahreïn, Émirats arabes unis, Koweït, Oman et Qatar) ont par ailleurs dénoncé les "activités déstabilisatrices de l'Iran" au Moyen-Orient.(29)

Par ailleurs, la grande quantité de matériels, d'infrastructures et de soldats américains sur place démontre qu'on est très loin d'un retrait américain de la région. Le président Obama considère que la consolidation des capacités des pays du Golfe pourrait leur permettre de faire face à l'Iran dans une position "de confiance et

29- Nicholas Kamm, AFP http://www.i24news.tv/fr/actu/international/71201-150515-obama-promet-un-engagement-inebranlable-pour-la-securite-des-états-du-golfe.

de force".[30] Le dispositif militaire américain dans les pays du Golfe montre l'importance et l'engagement de ce pays dans cette région,[31] et confirme que les États-Unis respectent les fondamentaux de sa politique vis-à-vis des monarchies du Golfe en demeurant les garants de leurs sécurités.

En ce qui concerne la Syrie, le Président Obama a donné son feu vert, pour des livraisons des missiles TOW (missiles américains anti-chars) à certains opposants syriens, des missiles qui ont été achetés en décembre 2013 par l'Arabie Saoudite aux États-Unis, et sont arrivés peu après entre les mains de rebelles syriens soutenus par Riyad et Washington. De plus, les États-Unis viennent de commencer à entraîner des opposants syriens modérés en Jordanie pour lutter contre l'État islamique, le but est d'entraîner cinq milles opposants pour combattre l'État Islamique.[32]

Le rééquilibrage de la politique américaine vers l'Asie et le pacifique, donnait le sentiment, aussi, aux européens que leur continent serait moins important pour les États-Unis. Ainsi, les événements en Europe, comme par exemple en Ukraine, et les menaces Russes de couper les approvisionnements en gaz aux européens, renforcent le sentiment chez les européens de repli américain.

Pour l'administration du président Obama, sa politique de rééquilibrage vers l'Asie, vise premièrement, non à désinvestir l'Europe pour investir en Asie, mais à réattribuer des ressources et moyens excédentaires – essentiellement en Europe et au Moyen-Orient– pour s'adapter aux changements des deux décennies passées. Deuxièmement, les États-Unis ont besoin que l'Europe soit un partenaire qui s'assume et non un poids en matière sécuritaire.[33] «Beaucoup de sénateurs du Congrès américain jugent que, en ce

30- Maya Kandel / Réassurance toujours: la stratégie américaine dans le Golfe,7 juin 2014 http:// froggybottomblog.com/2014/06/07/reassurance-toujours-la-strategie-americaine-dans-le-golfe/

31- Le secrétaire à la Défense Chuck Hagel a détaillé l'ensemble des forces militaires américaines dans le Golfe (35 000 hommes dont 10 000 pré-positionnés, 40 navires de guerre, les équipements les plus avancés notamment les F-22, enfin le déploiement prévu de Littoral Combat Ships face à l'Iran pour 2018).

32- Les États-Unis peinent à trouver des opposants "fiables" pour les entrainer.

33- Biscop Sven, «And what will Europe do ? The European Council and military strategy», Egmont Institute, Security policy brief, n°46, mai www.euglobalstrategy.eu/upl/files/90636.pdf 2013.

qui concerne la défense européenne, le continent est subventionné par le contribuable américain».[34] Ainsi, les États-Unis poussent les Européens à prendre en charge une partie du fardeau (burden shifting). Pour l'administration américaine, si les Européens veulent continuer de faire de l'OTAN la pierre angulaire de leur sécurité, ils devront affermir le pilier européen de l'Alliance pour combler la diminution de participations des États-Unis. Donc le discours américain est claire: si les Européens demandent plus d'OTAN, ils doivent investir plus, financièrement ou bien matériellement dans l'Alliance. Donc, le tournant américain vers l'Asie n'a fait que confirmer la nécessité de créer une Europe «coproductrice de sécurité» et non plus seulement «consommatrice de sécurité».[35]

Sur la question ukrainienne, l'Europe et les États-Unis collaborent étroitement.[36] La coopération porte sur les sanctions financières et économiques, mise en place par les Américains et les Européens. Même, les États-Unis ont pris la décision très significative d'interdire tout crédit à moyen terme à Serbank, la banque la plus populaire en Russie et qui abrite un quart des actifs financiers du pays, est aussi proscrite la vente à Gazprom, à Lukoil (entreprise à actionnaires minoritaires américains) et à Rosneft, d'équipements servant à la prospection pétrolière dans la région stratégique de l'Arctique.[37]

Reste que dans la pensée stratégique américaine, l'Europe est un voisin et un allié. Les deux partenaires coopèrent étroitement et se consultent au sujet des priorités internationales. Leur collaboration s'illustre sur plusieurs questions, mais les priorités du moment se concentrent au Moyen-Orient et en Afrique du Nord (notamment

34- Kandel Maya, «Les États-Unis, l'Europe et la défense antimissile», Institut de recherches stratégiques de l'école militaire, 23 octobre 2012, http://www.defense.gouv.fr/irsem/publications/lettre-de-l-irsem/lettres-de-l-irsem-2012/lettre-de-l-irsem-n-8-2012/dossier-strategique/les-états-unis-l-europe-et-la-defense-antimissile1

35- Pothier Fabrice, «L'OTAN après le Sommet de Lisbonne: nouveau concept stratégique, opérations et réponses», Études et Débats, no.4, journée d'étude du 1er décembre 2010, p. 1-48. http://www.isn.ethz.ch/Digital-Library/Publications/Detail/?ots591=0c54e3b3-1e9c-be1e-2c24-a6a8c7060233&lng=en&id=139527

36- Mais la divergence persiste entre l'Europe et les États-Unis, et porte sur la question brûlante est les livraisons d'armes aux forces loyalistes. Les États-Unis ont laissé entendre qu'ils envisageaient cette possibilité alors que la majorité des pays européens y sont opposés.

37- Yves Bourdillon, Fermeté américaine et position européenne alambiquée face à Moscou, Le 14/09/14, http://www.lesechos.fr/14/09/2014/lesechos.fr/0203774318988_fermete-americaine-et-position-europeenne-alambiquee-face-a-moscou.htm#KBSYbMZ1Ftm6ajy5.99

en Iraq et en Syrie) ainsi que dans le voisinage oriental de l'Union européenne (surtout en Russie et en Ukraine).

Même si l'Europe et les États-Unis ne sont pas d'accords sur toutes les questions de politique étrangère, ils demeurent, l'un pour l'autre, l'allié le plus important et le plus fidèle. Mais pour l'administration américaine, reste à l'Europe de s'occuper des affaires européennes, et dans le cas de l'Ukraine, de l'aider économiquement. Les États-Unis appuient l'accord d'association Union-Ukraine.

Conclusion

L'ancien vice-président néoconservateur Dick Cheney dans une interview sur Fox News le 28 mai 2014, a déclaré que, «Barack Obama est un très, très faible président, certainement le plus faible que j'aie vu de mon vivant et ne fera que renforcer l'idée que nous sommes faibles, que nous avons un chef qui ne comprend pas les obligations et engagements des États-Unis à travers le monde et qui n'est pas disposé à les remplir».(38) Il affirme que des gens au Moyen-Orient lui ont dit être «absolument convaincus que le leadership de B. Obama a dramatiquement réduit la capacité de l'Amérique à mener et à influencer dans cette partie du monde».(39)

Unique superpuissance globale à ce jour, les États-Unis du président Barack Obama semblent pourtant, en position de retraite, peiner à réunir et à consolider un certain nombre de conditions et critères du leadership.(40) Alors que les États-Unis aujourd'hui, donnent l'impression qu'ils ont des difficultés à faire entendre une voix décisive et claire, alors que le président Obama contredit «ceux qui suggèreraient que l'Amérique est en déclin et que son leadership dans le monde s'amenuise».

Le rapport Global Trends 2015,(41) publié par le National

38- Dick-cheney,Obama-is-a-very-weak-president http://insider.foxnews.com/2014/05/28/ex-

39- Idem.

40- Maya Kandal, États-Unis, la fin de l'hyperpuissance, https://froggybottomblog.com/2015/11/11/états-unis-la-fin-de-lhyperpuissance-mise-a-jour/

41- Global Trends 2015, A Dialogue About the Future, http://www.dni.gov/files/documents/Global%20 Trends_2015%20Report.pdf.

Intelligence Council (NIC) en 2000, voyait, parmi d'autres scénarios, une réduction de l'influence américaine dans les affaires internationales en raison d'une économie intérieure stagnante et d'une reconfiguration de l'ordre international. Fin 2012, le rapport du NIC Global Trends 2030[42] confirme l'évolution du système international vers une géopolitique multipolaire, privée d'une puissance hégémonique identifiable et surtout disposée à jouer ce rôle, et s'interroge sur l'avenir du leadership des États-Unis dans le système international.

Mais le président Obama considère toujours que «l'Amérique a rarement été aussi forte par rapport au reste du monde», ses forces armées sont «inégalées», réduisant infiniment la probabilité d'une menace directe contre elle, son économie demeure «la plus dynamique du monde», ses entreprises sont «les plus innovantes», son indépendance énergétique s'accroît et son pays est le «centre d'alliances de l'Europe à l'Asie inédites dans histoire des nations».[43] L'Amérique est au moins certaine de rester primus inter pares pour les quinze ou vingt prochaines années dans la plupart des domaines, mais cela ne suffit pas nécessairement à maintenir une perception optimale de son leadership.[44]

Pour les conseillers du président «Chaque situation est unique, nous ne prenons pas de décision sur une question comme une intervention sur la base d'une cohérence ou d'un précédent. Nous décidons sur la base de ce qui peut le mieux faire avancer nos intérêts dans la région».[45]

Le monde aura changé Barack Obama plus qu'il ne l'a changé[46].

42- Global Trends 2030, Alternative Worlds, http://www.dni.gov/files/documents/GlobalTrends_2030.pdf.

43- Le leadership américain par l'exemple: fondements théoriques, applications et perspectives en Irak et au Levant
https://stratpolitix.com/2014/06/24/le-leadership-americain-par-lexemple/CM89

44- Idem

45- Corine Lesnes, Barack Obama, gendarme du monde malgré lui, op.cit.

46- Idem.

Livres

1- Alter Jonathan, The promise: president Obama, year One, Simon and Schuster, 2010.

2- Cox Michael et Stokes Doug, US Foreign Policy, Oxford University Press, 2012.

3- Gerges Fawaz, Obama and the Middle East: The end of Amercia's Moment, Palgrave, Macmillan, 2012.

4- Ikenberry John, Liberal Leviathan: The Origins, Crisis, and Transformation of the American World Order, cloth 2011.

5- Nye Joseph, The powers to Lead, Oxford University Press, 2010.

6- Laidi Zaki, le monde selon Obama, la politique etrangere des Etats Unis, ed.Champs actuel, Paris, 2012.

Articles

7- Biscop Sven, «And what will Europe do ? The European Council and military Strategy», Egmont Institute, Security policy brief, n°46, mai 2012.

8- Bourdillon Yves, Fermeté américaine et position européenne alambiquée face à Moscou, Le 14/09/14, http://www.lesechos.fr/14/09/2014/lesechos.fr/0203774318988_fermete-americaine-et-position-europeenne-alambiquee-face-a-moscou.htm#KBSYbMZ1Ftm6ajy5.99

9- Cheney Dick, Obama-is-a-very-weak-president http://insider.foxnews.com/2014/05/28/ex-

10- De Hoop Scheffer Alexandra, Politique étrangère américaine: quels défis ? Rompre avec le tout-militaire et le nation-building, le 12 juin 2011http://www.diploweb.com/Politique-etrangere-americaine.html.

11- De Hoop Scheffer Alexandra, Les Etats Unis, une puissance en crise d'adaptation, Alexandra DE Hoop Scheffer, http://ceriscope.sciences-po.fr/node/551

12- www.euglobalstrategy.eu/upl/files/90636.pdf 2013.

13- Gates Robert, No US 'boots on ground' in Libya

http://www.theguardian.com/world/2011/mar/31/gates-rules-out-american-troops-libya

14- Gerhard Peters and John T. Woolley Barack Obama: "Remarks to the Chicago Council on Global Affairs," April 23, 2007. Online, The American Presidency Project. http://www.presidency.ucsb.edu/ws/?pid=77043

15-Hillary Clinton, Foreign policy Address at the Council in Foreign Relations, 15 July 2009, http://www.cfr.org/diplomacy-and-statecraft/conversation-us-secretary-state-hillary-rodham-clinton/p34589

16- Kamm Nicholas, AFP http://www.i24news.tv/fr/actu/international/71201-150515-obama-promet-un-engagement-inebranlable-pour-la-securite-des-etats-du-golfe.

17-Kandal Maya, Réassurance toujours: la stratégie américaine dans le Golfe,7 juin 2014 http:// froggybottomblog.com/2014/06/07/reassurance-toujours-la-strategie-americaine-dans-le-golfe/

18- Kandel Maya, «Les États-Unis, l'Europe et la défense antimissile», Institut de

recherches stratégiques de l'école militaire, 23 octobre 2012, http://www.defense.gouv.fr/irsem/publications/lettre-de-l-irsem/lettres-de-l-irsem-2012/lettre-de-l-irsem-n-8-2012/dossier-strategique/les-etats-unis-l-europe-et-la-defense-antimissile1

19- Kandal Maya, Etats-Unis, la fin de l'hyperpuissance, https://froggybottomblog.com/2015/11/11/etats-unis-la-fin-de-lhyperpuissance-mise-a-jour/

20- Le leadership américain par l'exemple: fondements théoriques, applications et perspectives en Irak et au Levant

https://stratpolitix.com/2014/06/24/le-leadership-americain-par-lexemple/CM89

21- Lesnes Corinees, Barack Obama, gendarme du monde malgré lui, http://www.lemonde.fr/international/article/2012/08/31/contraint-au-realisme-en-politique-etrangere_1754157_3210.html

22- La situation économique américaine, http://www.mondeforex.com/la-situation-economique-americaine.html

23- Micah Zenko, Ne vous y trompez pas, les Etats-Unis sont en guerre avec le Yémen http://www.slate.fr/story/100079/etats-unis-sont-en-guerre-avec-le-yemenyopie –voire d'une totale hypocrisie.

24- Mitt Romney, http://observer.com/2012/01/mitt romney contrasts his vision with president obamas resentment of success/

25- Obama, l'espoir économique contrarié, Le monde économie, 17.09.2012, http://www.lemonde.fr/economie/article/2012/09/17/etats-unis-la-crise-a-etouffe-la-volonte-de-changer-de-modele_1761265_3234.html

Point sur le désarmement chimique en Syrie, http://www.cesim.fr/observatoire/fr/97/article/323.

26- Obama's Inaugural Address, Time, Tuesday, Jan. 20,2009, http://content.time.com/time/politics/article/0,8599,1872715,00.html

27- Obama Barack, Foreign Policy, renewing-american-leadership, July/August, 2007, http://www.foreignaffairs.com/articles/62636/barack-obama/renewing-american-leadership

28- Obama Barack Is Not Pleased, the New Republic, du 27 janvier 2013, ttp://www.newrepublic.com/article/112190/obama-interview-2013-sit-down-president.

29-Pothier Fabrice, «L'OTAN après le Sommet de Lisbonne: nouveau concept stratégique, opérations et réponses», Études et Débats, no.4, journée d'étude du 1er décembre 2010, p. 1-48. http://www.isn.ethz.ch/Digital-Library/Publications/Detail/?ots591=0c54e3b3-1e9c-be1e-2c24-a6a8c7060233&lng=en&id=139527

Rapports

30- Global Trends 2015, A Dialogue About the Future, http://www.dni.gov/files/documents/Global%20Trends_2015%20Report.pdf

31-Global Trends 2030, Alternative Worlds, http://www.dni.gov/files/documents/GlobalTrends_2030.pdf.

32-Statement by NSC Spokesperson Bernadette Meehan on the Situation in Yemen https://www.whitehouse.gov/the-press-office/2015/03/25/.

Abstracts

In order to facilitate the task of those interested in benefiting from the published researches, the «Lebanese National Defense» magazine is publishing summaries in Arabic of the researches written in French and English, and summaries in these two languages for the researshes published in Arabic.

• *Prof. Nassim al-Khoury*

The Arab's situation on the International map

.....52

• *COL. Naji Bou zayyan*

The strategy of the conflict over the North Pole

.....54

• *LTC. Pilot P.S.C. Roland Merheb*

The repercussions and dimensions of illegal immigration to Europe

.....56

The Arab's situation on the International map

Prof. Nassim al-Khoury

The Arab's current bloody and fragmented reality leads us to bring forward the notion of expulsing them or expulsing themselves out of the historic term of the "Arab Nation" and into the term of the "Arab World" which are both immature terms while warning of the dangers emanating from what the current distinction means between the notions of "Nation" and "World" and the huge differences in determining both presumed identities in the future.

The Arabs were constantly worried by many wars and incidents in addition to cultural burdens and crisis as well as cloned major threats during almost a century which stretched between the collapse of the Islamic State's Caliphate and the rise of the Turkish Republic under Moustapha Kamal Ataturk (on the third of March 1924) and the proclamation of the Islamic State's Caliphate led by Abi Baker el-Baghdadi (on the 29th of June 2014).

We found ourselves, patriotically and nationally, unavoidably drawn to search once again in the usefulness of the concept of vacillation or confusion or the quick reactions that regulates the relations between the east and the west. We are furthermore drawn between the religious destination, its necessities and perpetuity and the modernization destination which was basically the result of the Western industrial revolution. These destinations led us to the shocking discovery that took place and uncovered the veils that hid stagnant societies and the calls to be more receptive by adopting the policy of openness toward other civilizations and cultures.

With the transformation that the world is encountering in what can be called as the era of globalization and its alteration into a vast open space that is available to anyone wishing to put forward his ideas, innovations and challenges, the civilizational challenge has grown larger between the edges of dialogue and conflicts of unlimited dangers.

The Arabs found nothing but the concept of the "Arabization" as a reaction to the concept of Globalization.

This study tackles the concept of "Arabization" in a time when the notions of Arabism and Arabic Nationalism are crumbling, and addresses the idea of linking between globalization and wars while studying thoroughly the triangle of war, peace and media and finishes by contemplating the features of change in light of the conflict between globalization and privatization.

This research also attempts to determine the location of the Arabs inside the new "global village" and shows that they are surrounded by tough choices that distort Islam, mixes between politics and religion and between Islam and Muslims and the growing fear from terrorism and the escalation of violence in a way that makes wars a recurrent phenomena.

Based on the following ideas, the study addresses the collapse of the Arab States which were once allied with the Soviet Union and raises questions concerning the Arab's situation nowadays on the global map.

The strategy of the conflict over the North Pole

COL. Naji Bou zayyan

Humanity has been racing since the beginning of time to explore new horizons that allow it to evolve and excel. However, the common factor between these discoveries is that with every discovery comes more conflict. A new phenomenon in the world is the melting snow in the North Pole as a result of global warming which is still baffling scientists till nowadays regarding its true reasons, and the ways to confront it or even the necessity to do so.

The North pole is the highest point of the globe's axis and is located in the North Arctic Ocean. The North Pole receives the least possible sunray, for it is the second coldest region in the planet, covered with a thick layer of snow all over the year.

Military interventions have increased in the North Pole since the year 2007, when Russia hoisted its flag in a polar region, resulting in dispute concerning the sovereignty of its country neighboring the sea. Therefore, each country began to boost its naval force in the region, particularly concerning naval units that have the ability to shovel snow.

What worries the 5 main states neighboring the North pole the most is the climate change that will lead to several changes in political, military and commercial concepts formed over the years. These 5 states avoid signing any abiding agreement in between them concerning the North Pole, as they don't want to limit themselves to such an agreement that might lead to complications regarding the division of the polar region and that would control the relation between the states, the North Pole Council."

The changes that are occurring in the North Pole are leading to radical geostrategic changes in the world, by presenting a new naval pathway that did not exist previously. Therefore, it would have an impact on the most important naval pathway in the world which is the Suez Canal. The exclusive role of this canal, which has been a cause for conflicts and wars and a location for major states to compete in domination and power, will fade away. The international relations web has changed through the Suez Canal, and it will inevitably change once again through the polar naval pathways formed by the extreme increase in the earth's temperature.

The repercussions and dimensions of illegal immigration to Europe

LTC. Pilot P.S.C. Roland Merheb

The massive flow of illegal immigrants has short term repercussions on the economy of European Union states that emanate from receiving, fighting or deporting these immigrants. However, this immigration has long term positive impacts, particularly in being the solution for the aging problem facing Europe, which leads to a major decrease in the working hand.

The statistics of the European commissariat indicate that the age average of the European people will rise from 39 in the year 2004 to 49 in the year 2050. These numbers indicate the transformation of the structure of the European population into an aging community.

There are currently 2 different opinions in the European Union regarding immigration, for left wing parties consider that ISIS organization aims to attract Europeans and not export its fighters to Europe. Therefore, illegal immigrants have no relation with terrorism. However, extremist right wing parties consider that immigrants in general, whether illegal or European citizens from previous generations of immigrants, are the source of terrorism. In order to know the truth behind the relation of terrorism with immigration, it is necessary that we identify who is committing the terrorist attacks in Europe and whether terrorism is only hitting Europe where the phenomenon of illegal immigration exists.

We witness today an illegal immigration that is unprecedented, not only in numbers, but also in importance, for it is a main factor in the development of incidents in the Middle East and Europe.

If we wanted to describe what is currently happening in these 2 regions, the best expression to do so would be "hoist with their own petard", for the Arab revolutions that were started in the name of Human Rights and with the encouragement of several states including European states, due to the phenomenon of illegal immigration, have led Europe to demand receiving the same immigrants resulting from these revolutions, in the name of the same Human Rights.

Illegal immigration has become a lifeline between the Middle East and Europe. Therefore, instability in the Middle East will definitely lead to instability in Europe. Today, Europe needs to bring back the "union" to its states and needs a bold decision to be firm in the Middle East and in its land borders in order to halt the flow of immigrants, provided they give substitutes to those immigrants that would be under the control of these states. If not, war will definitely blaze inside Europe. However, the question is, when?

Résumés

Pour faciliter la tâche de ceux qui désirent bénéficier des recherches publiées, le magazine «Défense Nationale Libanaise» publie des résumés traduits du français et de l'anglais vers l'arabe et des résumés des recherches publiées en arabe et traduits vers le français et l'anglais.

•*Prof. Nassim el-Khoury*

La place des Arabes sur la carte internationale

*.....**59***

•*COL. Naji Bou Zayyan*

La stratégie du conflit sur le pôle nord

*.....**61***

•*LTC. B.E.M. pilote Roland Merheb*

Les répercussions de l'émigration illégale sur l'Europe et ses dimensions

*.....**63***

La place des Arabes sur la carte internationale

Prof. Nassim el-Khoury

La situation actuelle des arabes, aussi sanglante que cruelle, nous mène à poser l'idée de les faire sortir ou de leur sortie des traits du terme «Nation/Pays arabe» historique pour se classer sous les traits du terme «Monde arabe». En effet, ces deux termes sont toujours incomplets, sans jamais oublier les dangers de la signification de cette distinction actuelle entre la nation et le monde en tant qu'énormes différences au niveau de la définition des deux identités dans le futur. En fait, pour accéder à la réalisation des deux termes ou identités, le trajet des arabes fut toujours bondé d'incidents, de guerres, de difficultés et de crises civilisés ainsi que de grand défis calqués, et ce datant d'un siècle environ qui a duré depuis l'annulation de la califat islamique qui fut remplacé par la république turque avec Mostapha Kamal Atatürk le 3 mars 1942, et la déclaration de «Daech» comme étant l'état de califat islamique et la reconnaissance d'Abou Bakr el-Baghdadi le 29 juin 2014.

C'est ainsi que nous nous trouvons obligés, allant des deux notions nationale et patriotique, de puiser à nouveau dans l'utilité de se balancer, de se réconcilier entre l'Est et l'Ouest, ou entre l'aspect religieux et ses nécessités, et l'aspect de la modernisation et de la modernité résultant de la révolution industrielle de l'ouest, arrivant au «choc» qui a dévoilé les sociétés en stagnation tout en les appelant à s'ouvrir sur le monde à travers la légalisation des débouchés vers la plupart des directions et des cultures.

Avec le changement du monde lors de ce qu'on nomme «l'ère de la mondialisation», vers un espace énorme à la portée de tout le monde afin d'exposer les idées et les défis, le défi des cultures a augmenté entre

les limites du dialogue et des conflits dont les dangers n'ont pas de limites. Les Arabes n'ont trouvé autre que «l'arabisation» comme étant une réaction incapable de produire un choc quant à la mondialisation.

Cette recherche évoque la question de l'arabisme dans le temps où l'idée de «l'arabisation» et du nationalisme arabe a commencé à se dissiper. Elle évoque également le phénomène liant la mondialisation aux guerres, tout en mettant l'accent sur le triangle de la guerre, de la paix et des médias, pour définir ensuite les aspects du changement à l'ombre du conflit entre la mondialisation et la particularité.

Cette recherche essaie de définir la position des Arabes dans le nouveau «village global», et ce à travers différents angles: la guerre de l'Iraq, «les révolutions du printemps arabe» et le terrorisme, où les Arabes apparaissent comme s'ils sont coincés par des choix difficiles qui déforment l'Islam… ne pas distinguer entre la politique et la religion, entre l'Islam et les musulmans, et l'accroissement de la peur du terrorisme, c'est alors que le phénomène des guerres se répète et leurs durées se prolongent.

Allant de ce qui a été cité, la recherche traite les effondrements dont souffrent les pays arabes qui furent les alliés de l'URSS, tout en posant des questions sur la position des Arabes aujourd'hui sur la carte internationale.

La stratégie du conflit sur le pôle nord

COL. Naji Bou Zayyan

Depuis la nuit des temps et les hommes se précipitent à découvrir de nouveaux horizons qui leur permettent de se développer et de se distinguer des autres, or le trait commun entre toutes ces découvertes est, qu'après chacune d'elles, les conflits s'accroissaient.

Un des nouveaux phénomènes mondiaux est celui de la neige fondante au pôle nord, causé par l'Effet de serre que témoigne le globe, ce phénomène dont les vraies causes et les moyens servant à lui faire face sont toujours ignorés par les scientifiques qui méconnaissent même s'il est indispensable ou pas de faire face à un tel phénomène.

Le pôle nord est le point ayant l'altitude la plus élevée au niveau du globe sur son axe de rotation. Il est situé dans l'océan glacial nord. En effet, la région du pôle nord reçoit le moins possible de rayons solaires et est qualifiée comme étant la deuxième région la plus froide du monde, avec une couche épaisse de neige qui la couvre tout au long de l'année.

L'intensité des interventions militaires dans la région du pôle nord fut amplifiée depuis l'année 2007, lorsque la Russie a dressé son drapeau dans une des zones du pôle, fait qui a déclenché un conflit concernant la souveraineté de chaque pays donnant sur la mer, tout en poussant chacun de ces pays à renforcer sa force naval dans cette région, notamment au niveau des unités navales capables d'enlever la neige.

Cependant, ce qui préoccupe assurément le plus les cinq pays principaux limitrophes du pôle nord, est ce changement climatique qui aboutira sans doute à des différents changements au niveau des principes politiques, militaires et commerciaux formés tout au long

des années. Les cinq pays principaux évitent de s'engager à tout accord entre eux en ce qui concerne le pôle nord, et ce, pour ne pas se limiter par un tel accord qui pourrait aboutir à des complexités en rapport avec le ratissage continental, mais c'est en fait le "Conseil du pôle nord" qui gouverne les relations entre ces pays.

Les changements témoignés au niveau du pôle nord aboutissent à des changements géostratégiques fondamentaux à titre mondial, et ce, en fournissant un nouveau canal maritime qui n'existait jamais. Un canal, qui par la suite, affectera le canal de Suez le plus important du monde et dont le rôle exclusif disparaîtra, ce canal qui dès sa constitution fut la raison de divers conflits et guerres, et a constitué un lieu de rivalité pour les grands pays précipités à gagner le pouvoir et jouir de l'autorité. En fait, le réseau des relations internationales a varié à travers le canal de Suez, et devra sans doute varier de nouveau à travers les canaux maritimes polaires percés par l'élévation continue de la température de la terre.

Les répercussions de l'émigration illégale sur l'Europe et ses dimensions

LTC. B.E.M. pilote Roland Merheb

L'afflux illégal des émigrés a des répercussions à court terme sur l'économie des pays de l'Union Européenne, résultant que ce soit de l'accueil, la lutte ou la déportation de ces émigrés. Par contre, cette émigration porte des effets positifs à long terme, surtout qu'elle constitue la solution au problème du vieillissement qui constitue un des problèmes démographiques de l'Europe et qui mène à une diminution énorme au niveau de la main d'œuvre.

Les statistiques du Commissariat Européen signalent que la moyenne des âges des peuples Européens augmentera de 39 ans en 2004, à 49 ans en 2050, et ces chiffres indiquent que la structure des habitants de l'Europe va changer pour devenir une société âgée.

Deux avis différents existent aujourd'hui à l'Union Européenne concernant l'émigration. Les partis de gauche voient que l'organisation «Daech» veut attirer les Européens et non pas exporter ses combattants en Europe, et il n'existe pas par la suite, une relation entre les émigrés illégaux et le terrorisme. Alors que les partis de droite extrême voient que les émigrés en général, qu'ils soient illégaux ou des citoyens Européens provenant des générations successives d'émigrés, sont la source du terrorisme. Afin de savoir le véritable lien entre le terrorisme et l'émigration, il faut savoir qui est en train d'exécuter les attaques terroristes en Europe? Est-ce que le terrorisme est entrain de viser l'Europe seulement dans les lieux où se trouve le phénomène de l'émigration illégale?

Nous témoignons aujourd'hui une émigration illégale et sans précédent, non seulement au niveau de son nombre mais aussi grâce

à son importance, vu qu'elle constitue un facteur essentiel dans le développement des événements au Moyen Orient et en Europe. Si on désire décrire ce qui se passe actuellement dans ces deux régions, la meilleure expression serait «Tel est pris qui croyait prendre»; les révolutions arabes déclenchées au nom des droits de l'homme, et qui furent encouragées par de nombreux pays dont les pays Européens, et à cause du phénomène de l'émigration illégale, ont fait de l'Europe, et au nom même des droits de l'homme, le continent revendiqué pour accueillir les émigrés qui sont le résultat de ces révolutions.

L'émigration illégale est devenue comme la délivrance entre le Moyen Orient et l'Europe. L'instabilité au Moyen Orient aboutira nécessairement à l'instabilité en Europe. L'Europe a besoin aujourd'hui de rendre «l'union» à l'Union des ses pays, tout comme elle a besoin d'une décision brave d'un accouchement césarien et ce, en montrant la fermeté dans la région de la Méditerranée et sur ses frontières terrestres afin d'empêcher l'afflux des émigrés, en contrepartie d'assurer des remplaçants à ces émigrés et qui seront sous son contrôle, sinon la guerre s'enflammera en Europe, mais la question qui reste à poser: quand cela aura-t-il lieu?

الدفاع الوطني
DEFENSE NATIONALE
LIBANAISE

The Impact of Oil and Natural Gas Discoveries on the Lebanese-Israeli Conflict

La politique étrangère d'Obama: le retour au pragmatisme et au réalisme